



أسرار المحبين  
في رمضان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ياقوب

yaqob.com





# سورة الاحقاف

## في رمضان

جمع وترتيب

محمد حسين يعقوب

مكتبة سورة الاحقاف

مكتبة النقي





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُعْتَمِدًا

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، تَحْمَدُهُ وَتُسْتَعِينُهُ وَتُسْتَغْفِرُهُ ، وَتَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ،  
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مِنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ  
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَتَّى يُفْلِحَ لَكُمْ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آلہ عمداً: ۷۰۷]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ فِيهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَقَالِبُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَبًّا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا قَوَّامِينَ عَلَيْهِ ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَسْلَافَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ لَكُمْ مَغْفِرَةٌ وَلَاحِقَةٌ ۚ قَدْ فَازَ قَوْمًا عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

فلا تخوتي في الله ، والذي فلق الحبة ويرأ النسمة ؛ إني أحبك في الله ،  
وأسأل الله جل جلاله أن يجمعنا بهذا المحب في ظل عرشه يوم لا ظل إلا  
ظله ، اللهم اجعل عملنا كله صالحا ، واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل  
لأحد غيرك شيئا .



## أحبني في الله ..

أجل شيء في هذه الدنيا أن يستعملك الله عز وجل في الطاعة ، الشعور أن الله عز وجل يستعملك في طاعته إحساس رائع يتملكك ، حتى إنك لتكاد تشعر أن يدًا حانية تلمس خدك لتدير وجهك وتلفت نظرك إلى ما يرضي ربك ، وتشعر بهذه اليد تمسك بيدك بحنو بالغ فيه قوة ، لتتوذك وترفعك إلى عبادات وطاعات وقربات لم تكن لك على بال ، وتستشعر هذه اليد حانية قوية دافئة في ظهرك تمنعك من التراجع ، وتدفعك إلى التقدم ، تمنعك من السقوط وتشعرك أنك مستود .

سبحان الملك ١١ ، والله إنه لشعور رائع حقًا ، إحساس الإنسان أنه مدفوع لفعل الخير مشغول به ، تنفتح أمامه أبواب الطاعات ويُسَرُّ له ويُعانٍ عليها . ولك أن تقارن بين هذا الإنسان وبين آخر كلما اتجه إلى طاعة تعمّرت عليه وشرف عنها ، وأينما التفت أخذت قلبه وعيَّنه ويده ورجله معصية من المعاصي .

**قال ابن القيم عليه رحمة الله :** « إذا أصبح العبد وأمسى وليس منه إلا الله وحده ، تحمّل الله سبحانه حوائجه كلها ، وحمل عنه كل ما أهمّه ، وفرّغ قلبه لمحبهته ، ولسانه لذكره ، وجوارحه لطاعته ، وإن أصبح رأسى والدنيا هيئه ؛ حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ١ ، ووكله إلى نفسه .

فشغل قلبه عن محبة بمحبة الخلق ، ولسانه عن ذكره بذكرهم ، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم ، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره ، كالكير يتفخ ببطته ويعصر أضلاعه في تقع غيره ، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبة بولي بعبودية المخلوق ومحبة وخدمته ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] اهـ (١).

(١) القوائد (١٥٩) ط مكتبة المؤيد ، تحقيقه : بشير محمد عيون .



فإذا سألت كيف أكون ذلك الأول ، وأنجو من ذلك الثاني ، قلت : إن الأمر يحتاج ابتداءً إلى رحمة من الله سبحانه وتعالى ، فيجعلك من هؤلاء المحرومين ، وينأى بك عن هؤلاء الخاسرين .

فإن قلت : ألا من سبل للأسباب ؟

قلت : بلى ، وارد ، يحتاج ابتداءً إلى همة عالية ، ونية صحيحة ، فإذا رأى الله عز وجل من عبده صدق النية ، ووصل إليه من العبد عملٌ عليّ ، أخذ بيده إليه واعتنى به أشد من عناية الأب الشفيق بولده ، فدبر له الأمور ، وأصلح له الأحوال ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ۝۱ قَالَا مِمَّنْ أَعْطَى وَالْقُرْآنَ ۝۲ وَصَدَقَ بِالْحَقِّ ۝۳ فَتَبَيَّرُوا ۝۴ وَإِنَّمَا مَن يُجِدْ وَاتَّقِ ۝۵ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ۝۶ فَتَبَيَّرُوا ۝۷ ﴾ [الليل : ١-٤] .

**يقول ابن القيم - عليه رحمة الله :** « المطلب الأعلى موقوفٌ حصوله على همة عالية ونية صحيحة ، فمن فقدتهما تعذر عليه الوصول إليه ، فإن الهمة إذا كانت عالية تعلقت به وحده سبحانه دون غيره ، وإن كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه ، فالثنية تُفرد له الطريق ، والهمة تُفرد له المطلوب ، فإذا تَوَحَّدَ مطلوبه والطريق الموصلة إليه كان الوصول غايته .

وإذا كانت همته سافلةً تعلقت بالسفليات ولم تتعلق بالمطلب الأعلى ، وإذا كانت النية غير صحيحة ، كانت طريقته غير موصلة إليه ، فمدار الشأن على همة العبد ونيته وهما مطلوبه وطريقه ، **ولا ينم إلا بترك ثلاثة أشياء :**

**الأول :** العوائد والرسوم والأوضاع التي أحدثها الناس .

**الثاني :** هجر العوائق التي تعوقه عن أفراد مطلوبه وطريقه وقطعها .

**الثالث :** قطع علائق القلب التي تحول بينه وبين تحريد التعلق بالمطلوب <sup>(١)</sup> .



### ظهر لك الآن أيها الحبيب جملة الأسباب المطلوبة :

(١) جمع الهم ، فلا يكون همك إلا رضا الله وحده .

(٢) همّة عالية ونية صحيحة .

(٣) هجر العوائد ، وقطع العلائق ، وتخطي العوائق .

ثم إنك - أيها الحبيب المحب - إن كنت تشعر ثقلاً ، وصعوبة في الأخذ بالأسباب التي ذكرتها لك ؛ فإن من رحمة الله بعباده وإكرامه لهم سبحانه أن هيا لهم فرصاً ومناسبات في أيام زمانهم يكون الوصول فيها أسهل ونصيح الإحسانات مجانية للجميع ، قال سبحانه : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَنۡ يَتَذَكَّرَ أَرۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢] ، فهناك مواسم ومناسبات يكون الوصول والدخول على الله سبحانه وتعالى في هذه المراسم يمرافق وهدايا ولطائف في يوم أو ليلة بلمحة خاطفة من خفايا لطفه سبحانه ، قال رسول الله ﷺ : «إن لله في أيام النحر نفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبداً»<sup>(١)</sup> .

من هذه المراسم شهر رمضان المعظم ، أنعم وأكرم ، بيوم واحد من .

في أول ليلة من رمضان تُصَفَّد الشياطين ، وتغلق أبواب النيران ، وتفتح أبواب الجنان ، ويأتي المدد من الله الرحمن ، بأن يأمر متادياً ينادي : يا باغي الخير أقبل ، يا باغي الشر أقصر ، فإذا بك ترى الاستجابة السريعة في كل مكان ، المساجد امتلأت بالمصلين ، وسمعت من التوافد والأبواب صوت الأذان والقرآن ، كثرت الصدقات ، وتوقلت المصاحف ، وتنافس الأئمة في ختام القرآن ، يا باغي الخير أقبل ، يا باغي الشر أقصر .

(١) أخرجه الطبراني (٢٣٣ / ١٩) ، وحسنه الألباني (١٨٩٠) في «السلسلة الصحيحة» .

فإذا بك في ساعة واحدة بمجرد رؤية الهلال ترى ثورة شاملة في حياة المجتمع كله ، وتغيراً عميقاً على كل صعيد .

**• يا باغي الخير أقبل •**

فرصة ثمينة نادرة فيها الرحمة والمغفرة ودواهيهما متبصرة ، والأعوان عليها كثيرون ، وعوامل الفساد محدودة ومردة الشياطين مصفدون ، ولله عتقاء في كل ليلة ، وأبواب الجنة مفتحة ، وأبواب النيران مغلقة ، فمن لم تنله الرحمة مع كل ذلك فمتى تناله إذن ؟ ، ولا يهلك على الله إلا هالك ، ومن لم يكن أهلاً للمغفرة في هذا الموسم ففي أي وقت يتأهل لها ، ومن خاض البحر اللجاج ولم يظهر فماذا يطهره ؟ !

إذا الروض أسنى مجلبنا في ربيعہ فقی أي حین یستیز ونغضب

وقد وضعت هذا الكتاب بين يديك إعانة على الطاعة ، وتحذيراً من الغفلة ، فاغتنم ما فيه واستعن بالله وأعن خيرك ، ولن أعدم منك دعوة صالحة يظهر الغيب كل ليلة من رمضان ، أستودعكم الله ، وأنا أحبكم في الله .

وكتب

أبو العلاء

**محمد بن حسين آل يعقوب**

عفا الله عنه وغفر له ولوالديه وزوجاته وأولاده

والمسلمين والمسلمات

القاهرة : ليلة الجمعة ، السابع والعشرون من رجب ١٤٢٦ هـ

٢٠٠٥/٩/١ م





# فَضَائِلُ الْمَضَائِكِ

الْغَنِيْمَةُ الْبَارِدَةُ  
وَفُرْصٌ لَا تَقْوُضُ





## فضائل رمضان .. وفرص لا تعوض

الحمد لله اللطيف الرؤوف العظيم العنان ، الكبير القدير الملك الديان ،  
الغني العلي القوي السلطان ، الحليم الكريم الرحيم الرحمن ، الأول فالسابق  
لسبقه ، المنعم بما قام مخلوق بحقه ، الموالى بفضلته على جميع خلقه بشرائف  
المناخ على توالي الزمان ، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

جلّ عن شريك وولد ، وعزّ عن الاحتياج إلى أحد ، وتقدس عن نظير  
وانفرد ، وعلم ما يكون وأوجد ما كان ، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

أنشأ المخلوقات بحكمته وصنّعها ، وفرّق الأشياء بقدرته وجمعها ، ودحا  
الأرض على الماء وأوسعها ، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ .

سالت الجوامد لهيبته ولانت ، وذلت الصعاب لسطوته وهانت ، وإذا بطش  
﴿انفثت السَّمَاءُ لُحُوتًا وَوَدَّ كَاذِبُهَا نَ﴾ .

## \* السبحانه \*

يُعزّ ويذل ، ويُفقر يُغني ، ويُسعد ويُشقي ، ويُقي ويُفني ، ويُشِين ويُزِين ،  
وَيَنْقُضُ وَيَبْنِي ، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ .

قدر التقدير فلا راد لحكمه ، وعليم سِرّ العبد وباطن عزيمه ، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ  
أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ ، ولا يستقل قدم من مكان ، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝  
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ .

مدّ الأرض فأوسعها بقدرته ، وأجرى فيها أنهارها بصنعه ، وصبغ ألوان  
نباته بحكمته ، فمن يقدر على صبغ تلك الألوان ، ﴿وَلَقَدْ ذُو الْقَرْفِ



وَالرَّيْحَانُ ﴿١٠﴾ ، ثبتها بالجبال الرواسي في نواحيها ، وأرسل السحاب بمياه  
تحييها ، وقضى بالفناء على جميع ساكنيها ، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ .

من خدمه طامعاً في فضله نال ، ومن لجأ إليه في دفع كربه زال ، ومن  
عامله أويح وقد قال : ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ .

### • للبحانه •

إله يثيب عباده ويعاقب ، ويهب الفضائل ويمنح المناقب ، فالفرز للمتقي  
والعز للمراقب ، ﴿وَلَيْتَ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ .

أنعم على الأمة بتمام إحسانه ، وعاد عليها بفضله وامتنانه ، وجعل شهرها  
هذا مخصصاً بعيم غفرانه ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

أحمد على ما خصنا فيه من الصيام والقيام ، وأشكره على بلوغ الآمال  
وسبرغ الإنعام ، وأشهد أنه الذي لا تحيط به العقول والأذهان ﴿يَسْتَلْهُمْنَ فِي  
الْأَمْوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةٍ فِي شَأْنٍ﴾ .

وأن محمداً ﷺ أفضل خلقه وبريته ، المقدم على الأنبياء بقاء معجزته ،  
الذي انشق لبنة ولادته الإيوان ، ﴿فَيَأْتِي مَالَهُ رِيحًا مَكْدِبًا﴾ .

وعلى أبي بكر رفيقه في الغار ، وعلى عمر فاتح الأمصار ، وعلى شهيد  
الدار عثمان ، وعلى علي كاشف غممة سيد الشجعان ، ﴿تَبَرَّكَ أَنتَ يَا مَنْ فِي الْمَلَكُوتِ  
رَآلِكِرَامٍ﴾ .

### إخوانه . .

جاء شهر الصيام بالبركات ، فأكرم به من زائر هو آت ، كان النبي ﷺ يبشر  
أصحابه بقدوم رمضان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يبشر  
أصحابه بقول : «قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك كتب الله عليكم



صيامه ، فيه تُفْتَحُ أبواب الجنان ، وتُغْلَقُ فيه أبواب الجحيم ، وتُغْلَى فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ<sup>(١)</sup>.

**قال بعض العلماء :** هذا الحديث أصل في عهدة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان ، وكيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان ؟! ، كيف لا يبشر المذنب بغلاق أبواب النيران ؟! ، كيف لا يبشر العاقل بوثوث نغل فيه الشياطين ؟! ، فمن أين يشبه هذا الزمان زماناً ؟! ، وكان بعض السلف يدعو ببلوغ رمضان ، فكان إذا دخل رجب يقول : «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان».

### إخوانه ..

جاء رمضان بما فيه من خير وبركة .. جاء رمضان يحمل البشريات للعاملين .. ويهيج بطيب أيامه قلوب المتقين .. جاء رمضان قرصة للعابدين .. جاء رمضان ليغسل ذنوب التائبين التادمين .. جاء ليرفع في الجنة درجات المحبين الصادقين .. جاء رمضان إخوانه فهل من مشر ١٩ .. جاء رمضان فإليكم بعض مناقبه ؛ لعلكم تَقْدُرُونَ الضيف قَدْرَهُ ، لعلكم تعرفون مكانته وفضله :

**أولاً :** رمضان هو الشهر الذي اختاره الله واصطفاه ليكون ميقاتاً لنزول كتبه ورسالاته ، فهو شهر الصلة بين الأرض والسماء ، يُنْزِلُ اللهُ فيه كلامه ، ويخاطب فيه خلقه ، ويث في نوره ، ويوحى فيه إلى صفوة عباده ، فأعظم به من شهر ، سبب الخير ، ومنبع النور ، ومنطلق الرحمة ، ومهبط البركة من السماء إلى الأرض ، فمن وائلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ أنه قال : «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان ،

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٣٠) ، وصححه شعيب الأرنؤوط (٧١٤٨).



وانزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان ، وانزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان ، وانزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان<sup>(١)</sup>.

واختصه الله بصفة أخص بنزول أعظم كتاب لأعظم أمة ، اختصه من بين الشهور بذلك فقال جل جلاله : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، فالقرآن العظيم الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور نزل في هذا الشهر العظيم الفضيل ، فهل بعد هذه منة ١٩

**ثانياً :** قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : كل حمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به »<sup>(٢)</sup> ، استأثر الله سبحانه وتعالى بالصيام لنفسه سبحانه من بين سائر الأعمال ، ولهذا قال بعد ذلك : « إنه إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ».

**قال ابن عبد البر :** كفى بقوله : « الصوم لي » فضلاً للصيام على سائر العبادات ، وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى : « الصوم لي وأنا أجزي به » ، مع أن الأعمال كلها له ، وهو الذي يجزي بها ، على أقوال : أحدها : أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره ، **قال القرطبي :** لما كانت الأعمال يدخلها الرياء ، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله ، فأضافه إلى نفسه .

وقال أبو عبيد في غريبه : قد علمنا أن أعمال البر كلها لله وهو الذي يجزي بها ، فنرى والله أعلم أنه إنما خص الصيام ؛ لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب ؛ وذلك لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات ، إلا الصوم فلأنما هو بالنية التي تخفى على الناس .

(١) أخرجه أحمد (١٠٧/٤) ، وحسنه الألباني (١٥٠٩) في « صحيح الجامع » .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري (١٨٥٠) ، مسلم (١٦٥١) .



وكما هو معلوم أن كل ما تُسبب إلى الله عز وجل نال شرفاً بذلك فهو أشرف الأمور، فنسب الله تعالى الكعبة إلى نفسه وهي أشرف الأماكن على الإطلاق، ونسب لنفسه شهر المحرم؛ فقال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم»<sup>(١)</sup>، ونسب لنفسه الصوم فدل ذلك على أنه من أفضل الأعمال.

**قال الحافظ ابن رجب** - عليه رحمة الله تعالى: وقد كثر القول في معنى «الصوم لي» وتكروا فيه وجوهاً كثيرة، ومن أحسن ما ذكر فيه وجهان:

**أحدهما:** أن الصيام هو مجرد ترك حفظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها لله عز وجل، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام؛ لأن الإحرام إنما يُترك فيه الجماع ودواحيه من الطَّبِّ دون سائر الشهوات من الأكل والشرب، وكذلك الاعتكاف مع أنه تابع للصيام، وأما الصلاة فإنه وإن ترك المصلي فيها جميع الشهوات إلا أن مدتها لا تطول، فلا يجد المصلي قُتْدَ الطعام والشراب في صلاته، بل قد نُهي أن يُصلي ونفسه تتوق إلى طعام بحضرته حتى يتناول منه ما يُسكن نفسه؛ ولهذا أمر بتقديم العشاء على الصلاة.

وهذا بخلاف الصيام؛ فإنه يستوعب النهار كله، فيجد الصائم قُتْدَ هذه الشهوات، وتتوق نفسه إليها خصوصاً في نهار الصيف لشدة حرّه وطوله؛ ولهذا روي أن من خصال الإيمان الصوم في الصيف، وقد كان رسول الله ﷺ يصوم رمضان في السفر في شدة الحر دون أصحابه، **كما قال أبو الدرداء:** كنا مع النبي ﷺ في رمضان في سفر، وأحدنا يضع يده على رأسه من شدة الحر

(١) أخرجه: مسلم (١١٦٣).



وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة ، وفي الموطأ أنه ﷺ كان بالترج يُصَبُّ الماء على رأسه وهو صائم من العطش أو الحر .

فإذا اشتد ثَوَقَانُ النفس إلى ما تشهيه مع قدرتها عليه ثم تركته لله عز وجل في موضع لا يَطْلُع عليه إلا الله ، كان ذلك دليلاً على صحة الإيمان ، فإن الصائم يعلم أن له رباً يطلع عليه في خلوته ، وقد حُرِّم عليه أن يتناول شهواته المحبولة على الميل إليها في الخلوة ، فأطاع ربه وامتلأ أمره واجتنب ثيبه ، خوفاً من عقابه ورغبة في ثوابه ، فشَكَرَ الله تعالى له ذلك ، واختص نفسه عمله هذا من بين سائر أعماله ؛ ولهذا قال سبحانه بعد ذلك : « إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي » .

**قال بعض السلف :** طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعِد غيب لم يره .

لما علم المؤمن الصائم أن رضا مولاه في ترك شهواته قُدِّمَ رضا مولاه على هواه ، فصارت لذته في ترك شهوته لله لإيمانه باطلاع الله عليه ، وإيمانه بثوابه وعقابه ، فصار ذلك أعظم من لذته في تناول شهوته في الخلوة لثبارة لرضا ربه على هوى نفسه ، بل المؤمن يكره ذلك في خلوته أشد من كراهته لألم الضرب ، ولهذا نجد كثيراً من المؤمنين لو ضُرب على أن يفطر في شهر رمضان لغير عذر لم يفعل ؛ لعلمه كراهة الله لفطره في هذا الشهر .

وهذا من علامات الإيمان ، أن يكره المؤمن ما يلائمه من شهواته إذا علم أن الله يكرهه ، فتصير لذته فيما يرضي مولاه ، وإن كان مخالفاً لهواه ، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه ، وإن كان موافقاً لهواه ، إذا كان هذا فيما حُرِّم لمعارض الصوم من الطعام والشراب ومباشرة النساء ؛ فينبغي أن يتأكد ذلك فيما حرم على الإطلاق ، كالزنا وشرب الخمر وأخذ الأموال أو الأعراض بغير حق ، ومفك الدماء المحرمة ؛ فإن هذا يُسَخِّطُ الله على كل حال وفي كل زمان ومكان .



فإذا كُمل إيمان المؤمن كره ذلك كله أعظم من كراهته للقتل والضرب ؛ ولهذا جعل النبي ﷺ من علامات وجود حلاوة الإيمان : « أن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار »<sup>(١)</sup> ، وقال الله سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ الْتَجِئُ إِلَيْكَ بِمَا يَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ [يوسف: ٣٣] .

**سئل ذر التون المصري :** متى أحب ربي ؟ ، قال : إذا كان ما يكرهه أمرٌ عندك من الصبر ، **وقال غيره :** ليس من أعلام السحبة أن تحب ما يكرهه حبيبك ، وكثير من الناس يمشي على العوائد دون ما يوجبه الإيمان ويقتضيه ؛ فلهذا كثير منهم لو ضرب ما أفطر في رمضان لغبر عذره ، ومن الجهال من لا يفطر لعذر ولو تضرر بالصوم جرئاً على العادة ، مع أن الله يحب منه أن يقبل رخصته ، وقد اعتاد مع ذلك ما حرم الله من الزنا وشرب الخمر وأخذ الأموال والأعراض أو الدماء بغير حق ، فهذا يجري على عوائده في ذلك كله ، لا على مقتضى الإيمان .

ومن غيّل بمقتضى الإيمان صارت لذته في مصابرة نفسه عما تميل نفسه إليه إذا كان فيه سخط الله ، وربما يرتقي إلى أن يكره جميع ما يكرهه الله منه ، وينفر منه وإن كان ملائماً للتفوس كما قيل :

إن كان رضاكم في شهري      فسلام الله علي وسبي  
وقال آخر :

هلا بة فبك حذب      وبغلة فبك قزب  
وانت عندي كزوجي      بل انت منها أحب  
خشي من الحب اني      لما تحب أحب

(١) متن عليه ، البخاري (٥٦٩٤) ، ومسلم (٤٣) .



**الوجه الثاني :** أن الصيام سرٌّ بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره ؛ لأنه مُركَّب من نية باطنة ، لا يطلع عليها إلا الله ، وترك تناول الشهوات التي يَسْتَخْفِي بِتَناولها في العادة ؛ ولذلك قيل : لا تكتبه الحفظة ، وقيل : إنه ليس فيه رياء ، فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه لله عز وجل حيث لا يطلع عليه غيرٌ من أمره ، أو نهاه ؛ دل ذلك على صحة إيمانه .

والله تعالى يحب من عباده أن يعاملوه سرًّا بينهم وبينه ، وأهل محبته يحبون أن يعاملوه سرًّا بينهم وبينه ، بحيث لا يطلع على معاملتهم إياه سواه ؛ حتى كان بعضهم يود لو تمكن من عبادة لا تشعر بها الملائكة الحفظة . وقال بعضهم لما أُطْلِعَ على بعض سرائره ، إنما كانت تطيب الحياة لما كانت المعاملة بيني وبينه سرًّا ، ثم دعا لنفسه بالموت ، فمات .

**المحبون يغارون من اطلاع الأعيان على الأسرار التي بينهم وبين من يحبهم**

**ويحبونه .**

وقوله : « ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي » ، فيه إشارة إلى المعنى الذي ذكرناه ، وأن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح ، وهذه أعظم شهوات النفس ، **وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد منها :**

(أ) كسر النفس ، فإن الشَّبَع والرِّي ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبَطَر والغفلة .

(ب) تُخَلِّي القلب للفكر والذكر ؛ فإن تناول هذه الشهوات قد تُقْسِي القلب وتُغَيِّيه ، وتحوِّل بين العبد وبين الذكر والفكر ، وتستدعي الغفلة .

وخلو المباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رِقَّة ويُزِيل قسوته ويخلِّبه للذكر والفكر .



(ج) أن الغني يعرف قدر سعة الله عليه ؛ بإقداره له على ما منعه كثيراً من الفقراء من فصول الطعام والشراب والنكاح ؛ فإنه يامتنعه من ذلك في وقت مخصوص ، وحصول المشقة له بذلك يذكّر به من مُنع من ذلك على الإطلاق ؛ فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنّى ، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك .

(د) أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم ، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فتسكن بالصيام وساوس الشيطان ، وتنكسر سؤرة الشهوة والغضب ؛ ولهذا جعل النبي ﷺ الصوم رجاء ؛ لقطع شهوة النكاح .

### إشارة مهمة :

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حُرّم في كل حال ، من الكذب ، والظلم ، والعدوان على الناس في دماءهم وأموالهم وأعراضهم ؛ ولذلك قال النبي ﷺ : « من لم يدع قول الزور ، فلم يلبس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »<sup>(١)</sup> ، في حديث آخر : « ليس الصيام من الطعام والشراب ؛ إنما الصيام من اللغو والرفث »<sup>(٢)</sup> ، وقال بعض السلف : « من الصيام ترك الشراب والطعام ، وقال جابر : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقارٌ وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء ، وقال النبي ﷺ : « ربّ صائم حفلة من الصيام الجوع والمطش ، وربّ قائم حفلة من القيام السهر »<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٤) .

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢٤٢/٢) ، وصححه الألباني (٥٣٧٦) في « صحيح الجامع » .

(٣) أحمد (٣٧٣/٢) ، وصححه الألباني (٧٥٩) في « صحيح الجامع » .



**وسبر هذا :** أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات ، فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل ، وإن كان صومه مجزئاً عند الجمهور بحيث لا يؤمر بإعادته ؛ لأن العمل إنما يبطل بارتكاب ما نهى عنه فيه لخصوصه دون ارتكاب ما نهى عنه لغير معنى يختص به ، أهـ كلام ابن رجب .

ولهذا المعنى والله أعلم ورد في القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشراب على الصائم بالنهار ، ذكر تحريم أكل أموال الناس بالباطل ، فإن تحريم هذا عام في كل زمان ومكان بخلاف الطعام والشراب ، فكان إشارة إلى أن من امتثل أمر الله تعالى في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه ، فليمتثل أمره في اجتناب أكل أموال الناس بالباطل فإنه محرم على كل حال ، لا يُباح في وقت من الأوقات .

**ثالثاً :** المنقبة الثالثة من مناقب رمضان : فيه ليلة خير من ألف شهر ، هذه من بركات الله سبحانه ورحمته وإكرامه لهذه الأمة فتحن أمة مرحومة ، لما كانت هذه الأمة تتراوح أعمارها بين الستين والسبعين وقليل منهم من يجاوز ذلك ، أعطاه الله البركة في الأعمال ، فالحسنة بعشر أمثالها ، وقراءة حرف من القرآن بعشر حسنة ، وليلة القدر في رمضان خير من ألف شهر . هل تأملت هذا المعنى : خير من ألف شهر ١؟ ، فوالله لا يحرم خيرها إلا محروم مخذول ، وقيامها فيه غفران ما تقدم من الذنوب ؛ فبالها من نعمة على المؤمنين صابغة .

**تأمل معي :** أنك لو فمت ثلاثين أو أربعين ليلة قدير ، كل ليلة يضع وثعائين سنة ؛ لصار عمرك أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، سبحان الملك !! ، اللهم زدنا من بركاتك ، اللهم وفقنا لقيام ليلة القدر ولا نحرمنا أجرها .



**رابعًا :** تُفتح فيه أبواب الجنة وتُغلق فيه أبواب النار .. أخي في الله .. حبيبي في الله .. هل استشعرت هذا المعنى أيضًا : أن أبواب الجنة تكون مفتحة لطلابها وتُغلق فيه أبواب الجحيم ، وليست هذه الفتحة لشهر آخر من الشهور ، فاعرف شرف الشهر العظيم .. ولست أدري إن لم تدخل الجنة وهي مفتحة الأبواب متى تدخلها؟ ، وإذا كنت لا تتصرف عن النار وهي موصدة الأبواب ، وترجع راجيًا عنها فمتى تنصرف؟ .. عفا الله عنى وعنك .

**خامسًا :** في رمضان تُسلسل الشياطين .. تُغلُّ مردة الجن .. تصبر فيه الشياطين مكبلة مفيدة تثبثها الأغلال وتعرقلها القيود ، وكل هذا لتنتقل النفس حرة طليقة في أجواء العبودية لله جل جلاله ، فماذا يمنعك من أن تكون رجلًا بذولاً فيه للخير وقد قيدت الشياطين ؟

هكذا أزيلت حجتك ، وأبطلت أعذارك ، وأزيلت معوقاتك ؛ فلا شيطان يوسوس لك ، ولا ماردًا يحاربك ويحجبك ؛ إنما هي نفسك الأمارة وتسويلها بالسوء ، أقبل وتخلص من سلطانها ، كفانا الله وإياك شرها .

**سادسًا :** قال رسول الله ﷺ «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر»<sup>(١)</sup> .. من أراد الطاعة في هذا الشهر الكريم نسبلها سهل ميسور ، فأقبل بكل عزيمة .. بادر بكل أشواقك .. ومن أراد معصية الله في هذا الشهر نودي : كُفْ عن عصيانك واحذر ..

**يا باغي الخير أقبل .. فإنك معات موفق مسدد ..**

**ويا باغي الشر أقصر .. فإنك مخذول مكروه منبوء مطرود ..**

(١) أخرجه الترمذي (٦٨٢) ، وصححه الألباني (٧٥٩) في «صحيح الجامع» .



**سابعًا:** جماعية الطاعة في رمضان تبعث في النفس نشاطًا وثباتًا؛ فالناس كلهم صائمون، ويجتمعون في صلاة التراويح، والنفس من عاداتها أنها تنشط عند المشاركة وتغتر بالكثرة الكاثرة؛ ولذلك تثبت كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبته بعدما ضلّط عليه أهله حتى كاد يعود فيكذب نفسه، تثبت لما علم برجلين صالحين شهدا بدلًا أصابهم ما أصابه، وكذلك قال موسى عليه السلام: ﴿وَلَجَلَّ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ ۚ هَٰزِرُونَ لِيْ ۚ أَشَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَأَشْرَكَ ۚ وَأَمْرِي ۚ كَيْ تَسْحَكَ كَيْمًا ۚ وَتَذْكُرَكَ كَيْمًا ۚ﴾ [طه: ٢٩-٣٤]، هكذا يشند أوزك في العبادة بكثرة المشاركين لك فيها، فانطلق واعبد ومنجد لك أعوانًا ومحيين، فتستفيد وتستفيد منك.

ولذلك يعتبر رمضان ثورة عبادية شاملة، فتجد من بركته إقبال الناس على الخير... وبحث الناس عن الخير... تعيل القلوب إلى الدين... وتقبل نحو المساجد، فيا دعاة الإسلام... يا وثة الأنبياء هذه فرصتكم فاغتنموها... لا تضيعوا هذه الفرصة من أيديكم ودلوا الناس على الله... عرفوا الناس دينهم، فإني في هذا الشهر مهبطون للاستجابة السريعة؛ فاغتنم دعوتهم واكسب أجرهم...

**ثامنًا:** في رمضان تجتمع أمهات الطاعات... فالصلاة والصيام وزكاة الفطر فيه فرائض واجبة، ثم هناك تلاوة القرآن... والذكر... والدعاء... والصدقة... والعمرة... وإطعام الطعام... من المستحبات المؤكدة، وحصول هذه الطاعات وغيرها في هذا الشهر يجعله بمثابة توبة أمة؛ ولكن أين المشغرون لاستغلال الفرص؟

**تاسعًا:** في رمضان أسباب كثيرة لغفران الذنوب والعتق من النار، قال



رسول الله ﷺ : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(١)</sup> ، وقال ﷺ : « من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(٢)</sup> ، وقال ﷺ : « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(٣)</sup> .

خذ هذه الغنيمة البادرة ثلاث فرص في شهر لمغفرة ما تقدم من ذنبك .

ثلاث فرص لتطهر من ماضيك وتبدأ صفحة جديدة على بياض .

يالها من فرصة لو كنت رجلًا ..

**حاشراً :** ثم أيضًا فرصة لتدخل في زمرة الأكابر ، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرايت إن شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمت رمضان وقمته ، فممن أنا ؟ ، قال رسول الله ﷺ : « من الصديقين والشهداء »<sup>(٤)</sup> ، سبحان الملك ، أمامك فرصة لتكون ممن قال الله فيهم : ﴿ وَحَسَنَ أَزْوَاجِكَ زَافِقًا ﴾ [النساء : ٦٩] ، سبحان الله العظيم ، غنيمة واللّهِ باردة ، وفرص واللّهِ لا تعوض ، سبحان الملك ، كم فرصة في الشهر للمغفرة والعفو ، بل كم فرصة كل ليلة ، حقًا يا ويله من فاتته تلك الفرص أو أضاعها .

وعن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أثناني جبريل فقال : يا محمد ، من أدرك أحدَ والدَيْهِ لمات فدخل النار فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين ، قال : يا محمد ، من أدرك شهر رمضان لمات ولم ينفق الله

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٨) ، ومسلم (٧٦٠) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٣٧) ، ومسلم (٧٥٩) .

(٣) متفق عليه ، البخاري (٣٥) ، ومسلم (٧٦٠) .

(٤) أخرجه ابن حبان (٢٧٣/٨) ، وصححه الألباني (٩٩٣) في «صحيح الترغيب

والترهيب» .



فدخل النار فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين ، قال : ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك نعات فدخل النار فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين<sup>(١)</sup> .

**الحادي عشر :** شُئنا الاعتكاف في رمضان تعد بمثابة غرفة عناية مركزة ، لاستئصال سرطان الذنوب من القلوب . . . تعتبر بيثة معقمة بعيدة عن شوائب الدنيا وأدرانها ، وكان حبيبنا ونبينا محمد ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، وفي العام الذي توفّي فيه اعتكف عشرين يوماً ، ولما فاتته الاعتكاف مرة قضاء فاعتكف العشر الأول من شوال ، وفعله هذا يُنيك عن أهمية هذه العبادة ، وحرصه ﷺ عليها يدفعك لأن تحرص عليها .

وفي الاعتكاف خلوة ، وقطع التعلق بالبشر ، والتخلص من سموم المخالطة ، وفوائد أخرى عظيمة منها جمع الهم على الله ، وجمع شمل القلب بعد تشتته ، وتغيير الطباع البشرية في العادات من الأكل والشرب والنوم ، وقضاء الحاجة والوجوه المخالطة ، وفي كل هذا فوائد نفيسة لمن استحضرها واستجمعها واستفاد منها فأقبل ، واستمن بالله ولا تعجز ، اعتكف ولا تهمل ، اخسر شيئاً من الدنيا واكسب الآخرة ، واعلم أن كل هذه الطاعات والعبادات مسيل لتزول رحمة الله جل جلاله ، فتعرض لرحمة الله صاك أن ترحم ، اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

**الثاني عشر :** لله في كل ليلة من هذا الشهر عتقاء من النار ؛ فكن منهم تسعد في الدنيا والآخرة ، قال رسول الله ﷺ : « لله عند كل فطر عتقاء »<sup>(٢)</sup> .

**أخي الحبيب . .** هل تعرف معنى هذه الجملة ؟ ( اللهم أعنّ رقابنا من النار ) برغم أنها تتكرر كثيراً على الألسنة ، إلا أننا لم نتدبر معناها جيداً كما

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٩) ، وصححه الألباني (٧٥) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٦/٥) ، وصححه الألباني (٢٦٧٠) في « صحيح الجامع » .



يَنْبَغِي ، لَكَ أَنْ تَتَّصِرَ فِي مَعْنَى الْعَتَقِ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ  
وَالْمُشْرِكُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظِرْنَا فِي قُلُوبِكُمْ يَقُولَ زُرْنَا ثُمَّ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ فَيُلَاقُونَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَصْهَارًا فَصُفِّرُوا كُرُورًا فَصُفِّرْ بَيْنَهُمْ  
يَوْمَ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَوْمٌ فِيهِ الَّرَّحْمَةُ عَلَيْنَهُمْ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا  
بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرْتَمِسُونَ وَاذْكُرُوا الْأَوَّلِينَ حِينَ جَاءَهُمْ آيَةُ اللَّهِ وَفَرَّكُمْ بِاللَّهُ  
الْفَرُودُ ۝١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ  
وَيَقْسُ الْقَصِيرُ ﴿[المعبد: ١٣-١٥] .

وكرر جيداً على قوله تعالى : ﴿ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا نَارًا مِّنْ مَّوَلَانَا ﴾ ،  
فقههم حيث أن العتق هو الخروج من هذه الولاية ، ألا تكون النار مولاك ، وفي  
الآيات الأخرى : ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ، فالعتق :  
التخلي عن هذا الملك ، ملكية النار للإنسان ، سبحانه الملك العظيم ، أدركت  
الخطر المُذْلِم الذي تنجو منه بالعتق ، اللهم أعنق رقابتنا من النار . . اللهم  
اجعلنا من عتقائك من النار ومن المرحومين ، هذه فرصة عظيمة في هذا  
الشهر ، فكاكك من النار .

**الثالث عشر:** قال رسول الله ﷺ: «إن لله عطاء في كل يوم وليلة لكل عبد منهم دعوة مستجابة»<sup>(١)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا تُرد دعوتهم» وذكر منهم «الصائم حتى يفطر»<sup>(٢)</sup>، أخى: هل لك إلى الله حاجة؟

أبشر... مسموح لك في ثلاثين حاجة، سبحانه الله العظيم، كم يشتهي الإنسان أشياء تُقضى بدعوة عند الإفطار لأن قبل الإفطار في آخر النهار يكون الإنسان في أحسن حالات امتشعار الانكسار، وإظهار الافتقار، ومد يد الضراعة، ويظهر الذل والحاجة، يستجيب الله دعاء الصائم المكين.

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٥٤)، وصححه الألباني (١٦٩) في «صحيح الجامع».

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٤) ، وصححه الألباني (٣٠٣٠) في صحيح الجامع .



اغتمت الفرصة واستعد قبل الغروب بتجهيز كنف المطالب والتبرؤ من العيوب، واجعل لنا نصيباً في دعائك أيها الحبيب المحبوب، ولا تنس أن تجعل من دعائك دعاء للأمة جميعاً أن يفرج الله عنها جميع الكرب.

**الرابع عشر:** الصيام يشفع لأهله يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة»، يقول الصيام: أي رب منعه الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: أي رب منعه النوم بالليل فشفعني فيه؛ فيشفعان<sup>(١)</sup>، يقول الله تعالى: «وَعَنَتُهُ هَكَذَا هَكَذَا جَدَلْتُهُ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا» [النساء: ١٠٩]، يحتاج الإنسان يوم القيامة إلى وكيل يدافع عنه، وشفيع يشفع له في مدلهومات هذا اليوم العظيم، فإذا وجد هذا الشفيع المشفع كانت فعة السعادة، فاحرص أن تعرفك الصيام وتعرفك رمضان، وتعرفك القرآن، وتعرفك الرسول ﷺ؛ فيجتمع لك الشفعاء، فتكون النجاة بفضل الله.

**الخامس عشر:** قوله ﷺ: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»<sup>(٢)</sup>، وكم يشتهي الإنسان في هذا الزمان وسط الحزن والنكد، والهم والألم فرحة تشجده قلبه، وينشرح لها صدره؛ فإذا به عند الإفطار يجد فرحة عظيمة بثما الله في قلبه، فأما فرحة الصائم عند فطره، فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومتكح، فإذا مُنعت من ذلك في وقت من الأوقات، ثم أبيع لها في وقت آخر؛ فرحت بإباحة ما منعت منه، خصوصاً عند اشتداد الحاجة إليه؛ فإن النفوس تفرح بذلك طلباً، فإن كان ذلك محبوباً لله كان محبوباً شرعاً.

(١) أخرجه أحمد (١٧٤/٢)، وصححه الألباني (٣٨٨٢) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٠٥).



وأما فرحته عند لقاء ربه فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مُدْخَرًا ، فيجده أخرج ما كان إليه ، كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا تَقْضُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تُجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [الزمر: ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿يَوْمَ تُجِدُ كِفْلًا نَقِيرًا مَا كُنْتَ مِنْ خَيْرٍ مُنْجَرًّا﴾ [آل عمران: ٣٠] ، وقال سبحانه : ﴿تَمَنَّى يَتَمَلَّ يَتَفَسَّلَ دَرَجَاتٍ خَيْرًا يَسُوِّرُ﴾ [الزلزلة: ٧] . ومن أهم مميزات الصيام أنه لا يحبط بالقصاص في أداء مظالم العباد .

**قال سفيان بن عيينة - رحمه الله :** فإذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم ، فيحمل الله عز وجل ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة .

الصيام لله عز وجل ، فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام ، بل أجره مُدْخَرٌ لك عند الله عز وجل ، وحيثُة فقد يقال : إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها ، فلا يبقى لها أثر ، فإنه روي أنه يوازن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ويقتص بعضها من بعض ، فإن بقي من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها إلى الجنة ، فيحتمل أن يقال في الصوم : إنه لا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها ، بل يوفر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة فيوفى أجره فيها . قال سبحانه : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِحَسَبِ﴾ [الزمر: ١٠] .

**السادس عشر :** رمضان شهر التقوى : **قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» :**

«لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات ، وفطانتها عن المألوفات ، وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها ، وقبول ما تزكو به معاني حياتها الأبدية ، ويكسر الجوع والظما من جذتها وسؤورتها ، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين ، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب ، وتُحبس قوتى الأعضاء عن



استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها ، وسكن كل عضو وكل قوة عن جماعه ، وتلجم بلجامه ، فهو لجأ المتقين ، وحنّة المحاربين ، ورياضة الأبرار والمقربين ، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال .

فإن الصائم لا يفعل شيئاً ، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده ، وهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إثاراً لمحبة الله ومرضاته ، وهو سرّ بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه ، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة ، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده ؛ فهو أمر لا يطلع عليه بشر ، **وذلك حقيقة الصوم .**

وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنة ، وحيثها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة ، التي إذا استولت عليها أفدتها ، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها ؛ فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات ، فهو من أكبر العون على التقوى كما قال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُيِّبَ عَلَيْهِمُ الْقِيَامُ كَمَا كُيِّبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ لَمَّا كَانُوا فِي أَعْيُنِنَا ﴾ [البقرة: ١٨٣] هـ .

بعد هذا الكلام المتين لابن القيم في ذكر أسرار الصيام ؛ علمت أن المقصود الأعظم من الصيام التقوى ، وهي الدرة المفقودة والغاية المنشودة ، وفرصتك في تحصيلها في هذا الشهر أعظم ؛ فبادر والله المستعان .

### وقفه

بعد هذه الفوائد والمنافع والتحف والطرائف لفضائل شهر رمضان

المعظم ؛ لأبد من وقفة :

هل تحصيلها بمجرد ترك الطعام والشهوة من الفجر إلى المغرب أم أن لذلك شروطاً أخرى ؟



وهنا أقول لك - أيها الحبيب المحب - : إن حقيقة وسر الصيام المطلوب ليست أمراً شكلياً يؤدي كيفما اتفق ؛ ولكن هناك أسرار لهذه العبادة العظيمة لا بد من معرفتها وإتقانها علماً وعملاً ، ثم هناك مراتب للصائمين .. ليسوا سواء .. وإنما تتفاوت الأعمال بقدر ما تتفاوت الهمم وأحوال القلوب :

**قال الحافظ ابن حجر :** نقل ابن العربي عن بعض الزهاد أن الصوم على أربعة أنواع :

• **صيام العوام :** وهو الصوم عن الأكل والشرب والجماع .  
• **وصيام خواص العوام :** وهو هذا مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل .

• **وصيام الخواص :** وهو الصوم عن غير ذكر الله وعبادته .  
• **وصيام خواص الخواص :** وهو الصوم عن غير الله ، فلا فطر لهم إلى يوم القيامة ، وهذا مقام عالي .

**وقال ابن الجوزي :** الصوم ثلاثة : صوم الروح وهو قصر الأمل ، وصوم العقل وهو مخالفة الهوى ، وصوم الجوارح وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع .

**وقال :** وما من جراحة في بدن الإنسان إلا ويلزمها الصوم في رمضان وغير رمضان ، فصوم اللسان : ترك الكلام إلا في ذكر الله تعالى ، وصوم السمع : ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سماعه ، وصيام العينين : ترك النظر والغرض عن معارم الله .

**فيا أخي ..**

يا من طالت غيبته عن الله أبشر .. أبشر يا من دامت خسارته طول العام ؛



فقد أقبلت التجارة الراححة ، من لم يربح في رمضان متى يربح ، من لم يتب فيه إلى مولاة ؛ فهو على بُعْدٍ لا يبرح .

**كم يتأذى :** حي على الفلاح وأنت خاسر ، كم تدعى إلى الصلاح وأنت على الفساد مثابر ، إذا رمضان أتى مقبلاً فأقبل فبالخير يُستقبل ، لعلك تخطئه قايلاً وتأتي بعد فلا تُقبل .

**إخوته ..** من يضمن أن يعيش إلى رمضان ١٩ ، كم من أمل أن يصوم هذا الشهر فخاته أملة ؛ فصار قبله إلى ظلمة القبر ! كم مستقبل يوماً لا يستكمل ، ومؤمل غداً لا يدركه !!

**إخوته ..**

تالله لو قيل لأهل القبور تمنوا لتمتوا يوماً من رمضان ..

**قيل :** الشهور الاثنا عشر كمثل أولاد يعقوب عليه السلام ، وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته ، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب ، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب .

إن كان في يوسف من الحلم والعفو ما غمر جفاهم حين قال : ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ [يوسف : ٩٢] ؛ فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات ، والعفو من النار ، والغفوان من الملك القهار ، ما يغلب جميع الشهور .

جاء إخوة يوسف معتمدين عليه في سد الخلل ، وإزاحة العلل بعد أن كانوا خطايا زلل ، فأحسن لهم الإنزال ، وأصلح لهم الأحوال ، وبلغهم غاية الآمال ، وأطعمهم في الجوع ، وأذن لهم في الرجوع ، وقال لغنيانه : ﴿أَجْعَلُوا بِضَاعَكُمْ فِي يَدَيْهِمْ لَعَلَّكُمْ يَرْفُقُوْهُمْ﴾ [يوسف : ٦٢] ، فسد الواحد خلل أحد عشر ؛



كذلك رمضان واحدٌ والشهر آتدَ عشر، وفي أعمالنا خللٌ وأي خلل، ويرجو العبد أن يتلافى في شهر رمضان ما قرط فيه في سائر الشهور .

كان ليعقوب أحد عشر ولداً ذكوراً بين يديه حاضرين، ينظر إليهم ويأمرهم ويطلع على أحوالهم وما يبدو من فعالهم، ولم يرتد بصره بشيء من ثيابهم، وارند بقميص يوسف بصيراً، وصار بصره منيراً، فكذلك المذنب، إذا شم روائح رمضان، وجلس فيه مع المذكرين وقراء القرآن، وصحبهم بشرط الإسلام والإيمان، وترك الغيبة والبهتان؛ يصير إن شاء الله مغفوراً له بعد ما كان عاصياً، وقريباً بعد ما كان قاصياً، ينتظر بقلبه بعد العمى، ويسعد بقربه بعد الشقا، ويقابل بالرحمة بعد السخط .

**قال الله:** اغتثموا هذه الفضيلة، في هذه الأيام القليلة، تعقبكم النعمة الجزيلة، والدرجة الجليلة، والراحة الطويلة .

والحالة الرضية، والجنة السرية، والعبشة الرضية، لا تُنال إلا بالوقار لهذا الشهر، ومن لا يُوقره كان مصيره إلى النار .

من رُجم في رمضان فهو المرحوم، ومن حرم غيره فهو المحروم، ومن لم يتزود لمعاده فهو ملوم . .

فإلى متى أنت في ثياب البطر، أما تعلم مصير الضور؟، أما يغفك ما ترى من العبر؟، أضمت السمع أم عشي البصر؟، نالته إنك لعل خطر . . أن الرحيل ودنا السفر، وعند الممات يأتيك الخبر . . كلما خرجت من فنوب دخلت في آخر؟، يا قليل الصفا إلى كم هذا الكدر؟، أنت في رمضان كما كنت في صفر؟ . . إذا خسرت في هذا الشهر فمتى تربع؟، وإذا لم تسافر فيه نحو الفوائد فمتى تبرح؟ . .

يا من إذا تاب تقص، يا من إذا عاهد غدر، يا من إذا قال كذب، كم سترناك على معصية، كم غطيناك على مخزية !!



يا ذا الذي ما كفاة الذنب في رجب  
قد أظلك شهر الصوم بدمعها  
ورتل القرآن وسبح فيه مجتهدًا  
واحمل على جسد ترجو النجاة له  
كم تعرف من صام في سلف  
أفناهم الموت واستبقاك بعدهم  
ومنحيت بثياب العيد يقطعها  
حتى متى ينمُر الإنسان منكم  
حتى عصي ربة في شهر شعبان  
فلا تصيرة أيضًا شهر عسبان  
فإنه شهر تسبب وقرآن  
فسوف تضرّم أجساد بنيران  
بين بين أهل وجيران وإخوان  
خيّا فما أقرب القاصي من الدان  
فأصبح بها هذا ألوانا واكفان  
مُصير منكم قهر لإنسان

### أحبي في الله ..

إنتي واثق من أنكم تريدون أن تعرفوا كيف نصوم رمضان ، وإن مطالعتك الآن لهذا الكلام دليل على ذلك ، فهلاً تصيغون إلى ذلك العمل .. نويتم أن تعلموا فهل نويتم أن تعملوا ؟ .. ولكن اعلموا أنه قبل العمل لابد من الاستعداد والتهيؤ للعمل ؛ فلذلك أبدأ معكم مشدّجاً : نبدأ بالاستعداد للعمل .. هيا خذ عُذَّتَكَ .. والبس لَأَمَتَكَ .. وأصلح نيتك .. واشحذ عزيمتك .. وامض ولا تلتفت متوكلاً على الله .. خذ كلامي عملاً .. وبادر به الأجل .. اللهم ارزقنا العمل بما علمنا ، وعلمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، واجعل ما علمتنا حجة لنا لا علينا ، اللهم ارزقنا العمل ، واكتب لنا خير رمضان وما فيه ؛ إنك ولي ذلك والقادر عليه .

### أحبكم في الله ..





# الاستعداد للإبْرَاضَاتِ

( وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً )

وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ

وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ )





## كيف نستعد لرمضان؟

### أحيتي في الله . . .

لقي أحد السلف أخًا له فقال له : أترضى حالتك التي أنت عليها للموت؟ قال : لا .

قال : فهل عرضت عليها توبة من غير تسويف؟ قال : لا .

قال : فهل تعلم دارًا تعمل فيها غير هذه؟ قال : لا .

قال : فهل للإنسان نفعان إذا ماتت إحداهما عمل بالأخرى؟ قال : لا .

قال : فهل تأمن هجوم الموت على حالتك هذه؟ قال : لا .

قال : فما أقام على ما أنت عليه عاقل .

إنني - إخوتاه - إذا تخيلت أن هذه الأسئلة وجهت إلي أو إليكم ، فلن نجيب بأكثر مما أجاب هذا الرجل الصالح ، إنها أسئلة أود أن أوجهها لكل منكم بذاته وشخصيته ، **أسألك وأجب أنت فيما بينك وبين ربك :**

(١) أترضى حالتك التي أنت عليها للموت؟ ، بمعنى هل ترضى أن تموت الآن؟

(٢) أترضى أن تقبض روحك هذه الساعة؟

لعل بعض الناس يقول : نعم ، لكي أستريح ، أقول : وما يدريك أنك مستريح؟ ، لعلك تخرج من نكد الدنيا وعذابها إلى نار الجحيم التي هي أنكى وأشد وأبقى .

(٣) أترضى حالتك التي أنت عليها للموت؟

لعل بعضنا يقول : نعم وهو لا يدري ماذا في قلبه ، إنه لا يرضى بالموت الساعة إلا غافل جاهل .

(٤) أترضى حالتك التي أنت عليها للموت ، لا ؟

(٥) فهل عزمت على توبة من غير تسويف ؟ ، الصادق سيقول : لا ، ذكرت في كتاب « كيف أتوب » أن الذي يقرأ القرآن وينظر إلى النساء ، يقوم الليل ثم يدخن .. يصوم ثم يكذب ، أن هذا علامة من علامات فساد القلوب ، وهو قدح في التوبة .

لا بد لهذه التوبة من شروط ، وشروطها ثلاث وهي : الإقلاع والندم والعزم ، الإقلاع عن الذنب والندم على ما فات والعزم على عدم العودة ، فإذا استحضرت هذا ومثلت الآن : هل تتوي توبة من غير تسويف ؟ ، ستقول : لا .

**ثم يأتيك السؤال التالي :**

(٦) هل هناك دار للعمل غير هذه الدنيا ؟ يعني هل هناك زمان للعمل غير عمرك ؟ ، بالطبع لا .

(٧) فهل لك نفسان إذا ماتت إحداهما تعمل بالأخرى ؟ ، بالطبع لا .

(٨) فهل تأمن من هجوم الموت عليك الآن ؟ ، بالطبع لا ، فهذه حالة لا يقيم عليها عاقل .

اللهم بلغنا رمضان ، فإن الذنوب تتكاثر علينا ، اللهم بلغنا رمضان ، فإن القلوب قد اسودت منا ، اللهم بلغنا رمضان ؛ فقد أثقلت الخطايا كراهلنا ، اللهم بلغنا رمضان فقد اشتد شوقنا إليه ، اللهم بلغنا رمضان فقد طال انتظارنا له ، إنا نتنظر بالفرح حلول رمضان ، وكيف لا يشر المؤمن بفتح أبواب الجنان ؟ ! ، وكيف لا يسعد المذنب بفتح أبواب النيران ؟ ! فالسعادة في دخول رمضان .



ولكن أي فرح ؟، إنه الفرح بفضل الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ يُضَلِّلُ الْقَوْمَ زَيْحَتُهُمْ يَبْتَغِيكَ الْيَاسِرَ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْ خَيْرٍ وَمِمَّا يَحْتَسِبُونَ﴾ [يونس: ٥٨] ، إننا ننتظر رمضان الساعة نلو الساعة ، فلا بد أن نعلم بماذا نفرح ؟

فالفرح فرحان : فرح بالحق ، وفرح بالباطل ، الفرح بالحق هو الفرح برحمة الله وفضله ، أن تفرح بتوبة الله عليك من المعاصي والذنوب ، تفرح بتوفيق الله لك بقيام الليل كل ليلة لمدة شهر ، تفرح لأن الله أعطاك فرصة لأن تحسن إلى الخلق فتطعم المساكين ، وأن تدعو الله في صيامك وعند فطرك وتشعر أن للصائم دعوة مستجابة .

**أما الفرح بالباطل** فهو كمن يفرحون بالمسلسلات والأفلام ، ينتشي أحدهم لأن في رمضان سيكون هناك فوازير ومسرحيات ، يفرح لأن في رمضان كرة ومباريات ، دورات رياضية واحتفالات ، خيام رمضان وسهرات ، فهذا فرح بالباطل ، قال تعالى : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَثْرِ الْإِنْفِقِ وَإِنَّمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٧٦﴾ أَذْخَلُوا الْيَوْمَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فَذَا هِيَ فَلَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [المز: ٧٥-٧٦] .

**يفرح المؤمن بالحق** ، فيفرح بفتح أبواب الجنة وخلق أبواب النار ، ويستبشر فيه بوقت تغل فيه الشياطين ، ولكن لا بد من الاستعداد لهذا الفرح ، لا بد من إعداد العدة لهذا المهرجان ، لا بد من التجهيز قبل قدوم الضيف ..

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أَيْمَانَهُمْ فَتَبَحَّوهُمْ وَقِيلَ أَخْسِدُوا مَعَ الْفَاسِقِينَ﴾ [هود: ٤٦] ، إن من من الله العظيمة وآلائه الجسيمة ونعمه الكريمة علينا أن يبلغنا رمضان ، واعلم أيها الحبيب أن من النعم التي يغفل أكثر الناس عن شكرها نعمة الإمهال .

سبحان الملك الحليم ! ، كُتِبَ في كتاب فهو عندك فوق العرش أن رحمته



سبقت غضبه ، وأن مؤاخذته سبقت عقابه ، سبحانه فهو الكريم ، فاشكر  
نعمة الله على ذلك ، كم رآك على معصية طيلة السنة فسترك وعافاك وأمهلك  
وأخرك حتى أدركك رمضان ، ومنحك الفرصة لتتوب فيتوب عليك ويكرمك  
ويعطيك ويمنحك ويغفر لك ما تقدم من ذنوبك طيلة عمرك ؛ ولكن لا بد من  
الاستعداد لهذا الشهر قبل مجئه ، حتى تروض النفس على الطاعة قبل الشروع  
فيها ، لا بد من إعداد العدة وأخذ الأهبة لرمضان .

قال سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٨٦] ،  
فلما لم يعدوا العدة للخروج علم أنهم غير صادقين ؛ لذلك عوقبوا بالسيط  
والخذلان ، فإن كنت تريد العتق من النار في رمضان . . إن كنت تريد أن  
تقبل ، ونمحي خطيئتك فلا بد من إعداد العدة ، **يقول ابن القيم رحمه الله** : «حذار  
حذار من أمرين : أن يأتي واجب الوقت وأنت غير مستعد له ومنتهى لفعله ،  
فتعاقب بالسيط عن فعله والتخذيل عن تحصيله ، قال تعالى : ﴿فَإِنْ رَجَعْتَ اللَّهَ  
إِنْ طَأْمَنُوا مَبْثُتَاتِكُمْ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُفْرَجُوا مِنْ أَهْكَ وَلَنْ تُقِيلُوا مِنْ عَذَابِ إِنْكَرِ  
رَضِيئُكُمْ وَالْقُعُودِ أُولَئِكَ مَرَّةً فَاغْتَدُوا مَعَ الْفَاقِلِينَ﴾ [التوبة: ٨٣] .

وحذار من رد الأمر لأول وهلة لمخالفته هواك ؛ فتعاقب بتقليب القلب ،  
قال تعالى : ﴿وَتَقَلِّبُ آبِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُدْمِنُوا يَوْمَ أُولَئِكَ مَرَّةً﴾ [الأنعام:  
١١٠] اهـ .

**من هنا علم أنه لا بد من الاستعداد لشهر رمضان قبل دخوله حتى لا تعاقب**  
بالتسيط عن أفعال الخير والتخذيل عن زيادة الطاعات في رمضان ، وافهم الآية في  
ضوء هذا الكلام ، أن كراهية الله انبعاثهم وتثبيطهم كانت نتيجة عدم استعدادهم  
أصلاً وعدم صدق رغبتهم في ذلك ، إما إذا استعد الإنسان للعمل ونجهز لأدائه  
واقبل على الله راغباً إليه ؛ فإن الله سبحانه أكرم من أن يرذ عبداً قبل عليه .



ولذلك كان السلف يستعدون لرمضان استعدادًا حقيقيًا يبدأ ذهنيًا ، فيدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعون الله ستة أشهر أخرى بعد رمضان أن يتقبل رمضان ، فكان السنة كلها رمضان ، ومن الاستعداد أيضًا أن رسول الله ﷺ كان يكثر الصيام في شعبان حتى كان يصومه كله إلا قليلًا ، وما روي في شهر هو أكثر صيامًا من شعبان ، وما استكمل صيام شهر قط إلا رمضان .

هؤلاء السلف كانوا يعرفون قدر رمضان ، قال يحيى بن أبي كثير : كان من دعائهم : اللهم سلمني إلى رمضان وسلم إلى رمضان ، اللهم سلمنا لرمضان وسلم رمضان لنا ، وتسلمه منا متقبلًا .

### بلوغ رمضان نعمة من الله علينا :

أيها الإخوة ، إن بلوغ شهر رمضان ، وصيامه نعمة عظيمة على من أقدمه الله عليه ، يدل على ذلك هذا الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان وجلان من بلن من قضاة أسلماء مع النبي ﷺ ، واستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة ، قال طلحة بن عبيد الله : فأريت الجنة فرأيت فيها المؤخر منهما أَدْخِلَ قبل الشهيد ففجيت لذلك ، فأصبحت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « ليس قد صام بعد رمضان ، وصلى ستة آلاف ركعة أو كذا وكذا ركعة صلاة السنة ٤٩ » ، وفي رواية قال : « وأدرك رمضان نصامه ، وصلى كذا وكذا سجدة في السنة ١٩ » قالوا : بلى ، قال رسول الله ﷺ : « إن الذي بينهما لأبعد مما بين السماء والأرض »<sup>(١)</sup> .

فبلوغ رمضان نعمة ، ومن حرم من رمضان فهو المحروم ، من حرم خبره فهو المحروم ، ومن لم يتزود لاستقباله فهو ملوم . .

(١) أخرجه أحمد (٣٣٣/٢) ، وصححه الألباني (٢٧٢) في « صحيح الترغيب والترهيب » .



أنتى رمضان مزرعة العبادة      لتطهير القلوب من الفساد  
فلا حقوقه قولاً وفعلاً      وزادك فاعلة للمعاد  
فمن زرع الخبوت وما سقاها      تأوة نادماً يوم الحساب

وقد ذكر العلماء أن شهر رجب شهر البذر، وشعبان شهر السقي،  
ورمضان شهر جني الثمار، فلنكي تجني الثمار في رمضان لأبد من بذر يبذر،  
وأن يسقى حتى تكون له ثمرة.

**أيها الإخوة، إنا ينبغي ابتداء أن نستعد لرمضان وذلك بخطوتين :**

**الأولى :** إثارة الشوق، بأن يثور من قلوبنا شوق لأن نستقبل رمضان فنرحم  
فيه وتعتق رقابنا من النار.

**والثانية :** إنك لو اشتقت لشممت ريح رمضان عن بعد كما شم يعقوب ريح  
يوسف، فلو شممت ريح رمضان ولبست قميصه لماد قلبك بصيراً،  
فالاستعداد لرمضان بخطوتين : الشوق، وبصيرة القلب.

أما الشوق فإنه عملية غليان في القلب تحفزاً لاستقبال محبوب غائب طال  
انتظاره، وأما البصيرة والنور في القلب فلأنها تجعل الإنسان يرى فضل الأيام  
وثمرات الأعمال ووعود الآخرة، فيكون ذلك دافعاً لعلو الهمة في الاستقبال  
والاستعداد.

**إخوتاه،** حري بنا أن نستعد استعداداً حقيقياً لاستقبال شهر رمضان، أن  
نعلم كيف نصومه حقاً. إنك في عبادة من ساعة نويت الصوم عند طلوع الفجر  
كأنك دخلت الصلاة بتكبيرة إحرام، فأياك أن يلتفت قلبك عن الله أثناء  
النهار، في أثناء النهار أنت صائم يعني عابد لله، فاحذر من الضات القلب،  
وهذه هي بصيرة القلب، أن ترى بعين قلبك طيلة نهار الصيام نفسك قائماً بين  
يدي الله عز وجل.



وشهر رمضان عند الله شهرٌ عظيم ، قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وهذا يكفي تعظيمًا له ؛ أن القرآن أنزل فيه ، وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر ، فهو شهر عظيم تعظم فيه الطاعة وتعظم فيه كذلك المعصية ، فانهم هذه القضية لتعلم خطورة الجناية على النفس بالمعاصي في رمضان .

**قال العلماء :** إذا قوي الداعي وتم الترك عظم الأجر ، وإذا ضعف الداعي وتم الفعل عظم الوزر .

وقد استخرجوا هذه القاعدة من حديث النبي ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : «ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال : إني أخاف الله»<sup>(١)</sup> ، الداعي إلى المعصية هنا قوي ؛ لأنها هي الطالبة ، ولأنها ذات منصب وجمال ، ولكنه ترك ذلك لله ، فهو في ظل عرش الرحمن ، « وشاب نشأ في عبادة الله » هذا في ظل عرش الرحمن أيضا ؛ لأن الداعي إلى المعصية الحامل عليها قوي ، وتم الترك فعظم الأجر .

**والعكس بالعكس :** إذا ضعف الداعي وتم الفعل عظم الوزر ، قال النبي ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكّيهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر»<sup>(٢)</sup> ، شيخ زان أي رجل كبير السن وقع في الزنا ، فهذا إضافة إلى عقوبة الزنا أنه لا يكلمه الله ، ولا يزكّيه ، ولا ينظر إليه ، فكيف إذا جئت يوم القيامة فلم يكلمك الله ؟ ، ولم ينظر إليك ؟!

(١) البخاري (١٣٥٧) ، ومسلم (١٠٣١) .

(٢) أخرجه مسلم (١٠٧) .



**يا له من هجر !** لعنك تمنني ساعتها أن تكون تراباً ، فليس ثمة عقوبة أشد من أن تحرم من رؤية الله ، فكيف إذا أعرض عنك لا يكلمك ، ولا يزكك ، ولا ينظر إليك ، بالها من عقوبة ! ، لو علمتها قلوبنا لانفطرت ، اللهم لا تصرف وجهك في القيامة عنا . .

وفي رمضان يضعف - بلا شك - الداعي إلى المعصية ؛ لأن المعين على المعصية مفقود ، أبواب الجنة مفتحة ، وأبواب النار مغلقة ، والشياطين ملسة وأكثر المسلمين مشغولون بالطاعات ، ثم تعصي الله !! فيكون المعاصي في رمضان قد ارتكب عظيمًا اللهم عاقنا من الذنوب والمعاصي .

### أخي الحبيب :

إنه زمان طاعة ، وقد يسر الله لك الأمر وأعانتك عليه ، بل وذكر سبحانه أيام الصيام فقللها بقوله جل وعلا : ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ﴾ [البقرة : ١٨٤] ، فاحترم الشهر ولا تحترم الأثام في تلك الأيام ، وأنا أحذرك من قطاع الطريق إلى الله ، الداعين إلى معصيته في هذا الشهر من وسائل الإعلام المختلفة في الجرائد والمجلات ، والراديو والتليفزيون ، والمسارح والسهرات ، إياك والمعاصي في هذا الشهر ؛ فإنه كما تضعف الحسنات فيه تضعف أيضاً السيئات ؛ لأنه يضاف إلى المعصية الظاهرة من رذائل العين بالنظر إلى الحرام وكذب اللسان بالزور والفحش والبهتان ، يضاف إلى ذلك معصية قلبية من الكبائر وهي عدم تعظيم حرمان الله ؛ فاحذر أن ينزل بك بطش الرحيم الرحمن في شهر رمضان .

**أيها المسلمون . .** عباد الله المؤمنين . . شهر رمضان كله رحمة ، وزيادة طاعات ، ومضاعفة حسنات ، فأبشروا يا معاشرة المسلمين ، فهذه أبواب الجنة الثمانية في هذا الشهر لأجلكم قد فتحت ، ونسماتها على قلوب المؤمنين قد



تفتح ، وأبواب الجحيم كلها لأجلكم مفتحة ، وأقدام إبليس وذريته من أجلكم موثقة .

ففي هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالشار ، وتستخلص العصاة من أسره ، فما يبقى لهم عنده آثار ، كانوا غراخه قد غداهم بالشهوات في أركاره ، فهجروا اليوم تلك الأوكار ، نقضوا معاقل حصونه بمعاول التوبة والاستغفار ، خرجوا من سجنه إلى حصن التوبة والإيمان ، فأمنوا من عذاب النار ، قصموا ظهره بكلمة التوحيد ، فهو يشكو ألم الانكسار ، في كل موسم من مواسم الفضل يحزن ، ففي هذا الشهر يدعو بالويل لما يرى من تنزل الرحمة ومغفرة الأوزار ، غلب حزب الرحمن حزب الشيطان ، فما بقي له سلطان إلا على الكفار ، عزل سلطان الهوى ، وصارت الدولة لسلطان التقوى فاعتبروا يا أولي الأبصار .

### إخواناه ..

شهر رمضان شهر الثبوت ، شهر التحفظ ، إخواناه .. بين أيديكم سفر ، والأعمار فيها قصر ، وكلكم والله على خطر ، كونوا على حذر من الجبار وقد قدر ، احرقوا قلز من قدر ، تذكروا كيف عصيتم وستر ، وأيم الله لو نعمتم على البصر ، وسجدتم شكراً لله سجدتم على الإبر ، ما وفيتم شكر نعمة الله ولا على نعمة السر ، أما طوى القيح والجميل نشر ؟ ، أما بعض نعمة السمع والبصر ؟

إخواناه .. أن الرحيل وما عندكم خبر ، إلى كم توعظون ولا تهفظون ؟ ، إلى كم توقظون ولا تبصرون ، أكلفتم ما لا تطيقون ، أكلفتم بما لا تفهمون ؟ ، ما لكم عن ما لكم تعرضون ؟ ، ما هذا الفتور وأنت سالمون ؟ ، ما هذا الرقاد وأنتم متبهون ؟ ، إخواناه .. أدركوا أنفسكم اليوم بتوبة قبل أن يدرككم الموت .. اللهم ارزقنا قبل الموت توبة ، وعند الموت راحة ، وبعد الموت جنة ونعيمًا .



هذه هيئة لرمضان ، وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها : « ما كان رسول الله ﷺ يصوم في شهر من السنة أكثر من صيامه من شعبان كان يصومه كله »<sup>(١)</sup> ، وفي رواية : « كان يصومه إلا قليلاً » ؛ فلذلك استعد لرمضان بكثرة الصيام حتى تعود النفس على الصيام . . قم الليل في شعبان ، أكثر من تلاوة القرآن ، وأكثر من ذكر الله تعالى . . تمهيداً للدخول في رمضان .

**قال الشريفي الشافعي** : السنة شجرة ، والشهور غروعها ، والأيام أغصانها ، والساعات أوراقها ، وأنفاس العبد ثمرتها ، ف شهر رجب أيام توريقها ، وشعبان أيام تفريعها ، ورمضان أيام قطفها ، والمؤمنون قطفها .

**ويقول بعض السلف** : رجب شهر الغرس ، وشعبان شهر السقي ، ورمضان شهر جني الثمار ، فإذا أودت جني الثمار في رمضان ؛ فلا بد من الغرس في رجب وسقي ذلك الغرس في شعبان .

**إنني عندما أقول لك** : صم في رجب وشعبان ، وقم الليل فيهما ، وتصدق فيهما ، واغرس الأعمال الصالحة في رجب وتعاهد بها بالسقي في شعبان ؛ إنما أقول ذلك لكي تستشعر بعد ذلك في رمضان لذة الصيام ، ولذة القيام وقراءة القرآن ، ولذة الصدقة وسائر اللذات ، لأن الأمر يحتاج إلى صبر ومصابرة وطول مُكث . . لا يأتي من أول رحلة ، وأيام رمضان قليلة ، ومرور أيامه سريعة ؛ فلذلك لا بد من الاستعداد الجدي قبله بفترة كافية .

**فإذا كنت من أهل الصدق وأردت فعلاً الاستعداد ؛ فإليك أيها الحبيب برنامجاً عملياً للتأهيل والاستعداد :**

**\* هيا إلى العمل \***

\*\*\*



## تمريثات الاستعداد

### التمرين الأول: التدريب على تجويد التوبة:

إن أول واجب للاستعداد لرمضان: التوبة، اللهم تب علينا توبة نصوحاً،  
اللهم تب علينا توبة ترضيك..

وذلك لأن التوبة وظيفة العمر، تلزم العبد في كل لحظة، قال الله عز وجل: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وكان ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، وكان يسمع منه في المجلس الواحد مئة مرة يقول: «وب اغفر لي وبقه هلي؛ إناك أنت المتواب الرحيم»<sup>(١)</sup>.

**ولست التوبة كما تفعل دائماً:** تبت.. تقول: أستغفر الله بلسانك وقلبك غافل لاه.. أو نظن أن التوبة هي التوبة من النظر إلى المنبرجات، أو التوبة من الكذب والغيبة والنميمة فقط لا غير.. إنني أريد التوبة هذه المرة من حياتك.. التوبة من نمط الحياة التي نعيشها.. التوبة من نمط التفكير الذي تفكر به.. التوبة من الآمال المريضة التي نعيش لها.. التوبة من حياتنا ككل.. التوبة من هذه الحياة.. إننا نريد حقاً أن نتوب، إننا نريد تجويد التوبة، نريد تدريباً عملياً على توبة جديدة جيدة.

**أخي..** قبل دخول شهر رمضان جدد التوبة.. حسن التوبة.. اتقن التوبة.. اصدق التوبة.. إنك بحاجة إلى أن تتوب أخي لا من الذنوب

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٤)، وصححه الألباني (٧٢١) في «صحيح الترمذي».



والمعاصي فحسب - وإن كانت هي الأزل والأولن ؛ ولكننا بحاجة إلى توبتين آخر . . بعد التوبة من الكبائر الظاهرة والباطنة ، والتوبة من المعاصي الملازمة والعارضة . . بحاجة إلى التوبة من أشياء آخر منها :

### أولاً : التوبة من تضييع الأوقات :

(١) الليل :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ إِسَاءًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [النبا: ١٠-١١] ، وقال تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۚ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَفِرِّجُونَ ﴾ [النار: ١٧-١٨] ، وحين وصف عباد الرحمن قال عنهم سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُبَيِّتُونَ لِوَجْهِهِ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٤] ، فهذه وظيفة الليل في الإسلام ، السكون والراحة والمخلوة مع الله والتعبد ، هذا هو ليل المسلمين ، ولكن مع شديد الأسف ! انظر إلى ليل المسلمين هذه الأيام : يا حيرة على العباد !!

تحول ليل المسلمين إلى لعب ولهو ومعاص وغلظة ، وحول بعضهم ليله تهاوياً ونهاره ليلاً ، وضاع الليل . . ضمن الأوقات الضائعة . . ضاع الليل بساعاته الغالية وأوقاته النفيسة ، ضاع الليل بفرصه الذهبية وفتوحاته الربانية . . ضاع الليل وهم يقولون : شهر رمضان شهر السهر !! . . هذه فرصتك . . فتقرب إلى الله تعالى وتب من تضييع ليلك في المعاصي واللهو ، وأثبت صدق توبتك هذه بقيامك بين يديه تتاجيه وتستجديه أن يغفر لك ، فرصة لا تضيعها .

(٢) بالشروء الفعني في الفراغ :

أخي في الله ، هل تمر بك أوقات تهلس صامتاً لا تفعل شيئاً ، فقط تهلس شاخصاً ببصرك إلى الفراغ وتفكر في لا شيء ، هذا هو التجسيد الحقيقي للغلظة . . غلظة مطبقة على القلب . . على العقل . . غلظة مستحكمة ، وكلما



ازداد شغورك هذا زاد تمكثها منك ، تب من ذلك ولا تجلس فارغاً ، اشغل لسانك وقلبك بذكر الله ، واشغل عقلك بالتفكير في هذا الذكر . . توبة يتبعها عمل صالح .

### (٣) مأساة المواصلات :

كم من الوقت يضيع منك يوميًا في المواصلات أخي غي الله ؟ ، على الأقل ثلاث ساعات يوميًا ، وتضيع كلها في معصية الله ، من الاختلاط بالنساء وإطلاق البصر ، وغيرها ، ولو شئت في هذه الساعات لذكرت الله . . اغتتم هذا الوقت ولا تضيعه ، هذا الوقت يكفيك لآلاف من الذكر يوميًا ، أيضا جود هذه التوبة ييقنك أن هذه الفترة فرصة سانحة لذكر الله والانشغال به . . جود التوبة .

### (٤) النوم :

قلت لكم سابقًا : هذا الشهر يحتاج لهمة عالية ، وأصحاب العشر ساعات نوم يوميًا ليسوا ذوي همة عالية ، بل هم أهل البطالة والكسل ، فإذا قلت لي : إنك تحسب نومك هذا لله ، قلت : تحسب عشر ساعات !! بل وثمان أيضًا ، كيف تحسبها ؟ الاحتساب أن تقول : يا رب . . سأرقد فقط لاتقوى على طاعتك . . وهل تقوى على طاعة الله بعشر ساعات نوم ، لن أحدد لك عدد ساعات نومك ، ولكن كل هذا وقت ضائع من عمرك . . حدد أنت ما يكفيك ، والتوبة من ذلك أن تتوب من الخداع بأن تعلم أن الله الذي يرافقك يعلم مباحاته ما يكفيك ، فجود التوبة ولا تخادع .

### ثانيًا : التوبة من اللسان :

قال رسول الله ﷺ : « وأعوذ بك من شر لساني »<sup>(١)</sup> ، وفي حديث معاذ بن

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٩٢) ، وصححه الألباني (٢٧٧٥) في « صحيح الترمذي » .



جبل الطويل حين سأل رسول الله ﷺ عن عمل يقربه من الجنة ويبعده عن النار، فقال له رسول الله ﷺ في نهاية الحديث: «ألا أدلك على وأمن الأمر وهمومه وفروقه يسأله»، ثم قال: «هل أدلك على ملاك ذلك كله»، قال: نعم، قال: «أسك عليك هذا»، وأسك بلسان نفسه، فقال معاذ: أومأخذون نحن بما نتكلم فيه؟، فقال رسول الله ﷺ: «وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصاؤ السنتهم»<sup>(١)</sup>.

وهل بجر لسانك عليك إلا كل شر، فأنت إن تركته أهلكك: كذب.. غيبة.. نميمة.. بهتان.. رياء.. عجب.. احتقار.. زنا.. اللهم إنا نعوذ بك من شرور ألسنتنا. ومن مآسي اللسان في عصرنا:

#### (١) مأساة التليفونات:

لا شك أن ثورة الاتصالات التي حدثت في عصرنا لها فوائد ونفع الله بها المسلمين في جوانب، وخدمت الدعوة الإسلامية في نواح متعددة، لكن مأساة التليفونات في عصرنا عجيبة، ولا يد لها من رقعة شرعية أيها الإخوة، فأكثر الناس في هذه الأيام يحمل أكثر من تليفون في جيوبه، والسؤال لك أيها المسلم الملتزم السني، يا طالب الآخرة، يا حريقاً على رضا الله، ماذا تصنع بهذا التليفون؟

دعونا من المراوغة وتعالوا نتكلم في الصميم، إن وجود التليفون في يد كثير من الناس مجرد منظرة مثل الناس، تقليد أعمى، فليس صاحبنا رجل أعمال خطير، ولا شخصية مهمة، ولا يمثل التليفون بالنسبة له أي

(١) أخرجه أحمد (٢٣١/٥)، وصححه الألباني (٥١٣٦) في «صحيح الجامع».



دور ولا أثر، فما الذي كان؟، الآفات الثلاثة التي يكرهها الله، قال رسول الله ﷺ: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»<sup>(١)</sup>.

اجتمعت تلك الآفات الثلاثة في التليفون، فليس في هذه الاتصالات إلا الفيل والقال، وقواتير التليفونات وثمان الكروت صار إرهاقاً للميزانية يُقتطع من فم الأولاد.

**أخي الحبيب**، تب إلى الله، وألق عنك هذا الجهاز قبل دخول رمضان، تستجمع شمل قلبك، وتفرغ همك للطاعة، ويقل الانشغال.

(٢) القصص والحكايات والمنامات، وكرة القدم والفن:

أيها الأحبة في الله، الكلام شهوة، حتى إنك تجد بعض الناس لا يكف عن الكلام، وإنك إذا جلست في مجلس - وجرب ذلك - ساكناً صامتاً تأمل، تقل بصرك وأذنك لتسمع الأطراف المتعاطرة، تجد كلاماً فارغاً وحوارات سقيمة وحكايات عقيمة، قصص وحكايات، أخبار وروايات، كلها لا قيمة لها، تضر ولا تنفع.

ومما زاد الطين بلة كثرة الافتراءات في ذكر المنامات، فتجد الكل يؤلف ويحكي أنه رأى، والآخر يفتي ويؤول... ومثله الكلام عن كرة القدم والفن وأكثره زور وبهتان...

فتب إلى الله أيها الأخ الكريم من القصص والحكايات قولاً وسمعاً، واختم الوقت بذكر الله...

(١) متفق عليه، البخاري (١٤٠٧)، ومسلم (٥٩٣).

### (٣) الوصف والمبالغات والنفاق والمجاملات :

قال رسول الله ﷺ : «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»<sup>(١)</sup> ، وآفة الاختلاط بالناس ويدافع الفضول البشري والاستشراف للاطلاع على أسرار الخلق ، يجعل كل ذلك شغف الناس بكثرة الكلام ، ولكن المصيبة الأكبر أن يحصل نوع من المبالغات أو التوسع في الوصف الدقيق لموضوعات لا تحتاج ولا تحتمل ..

والأبشع من كل ما مر : المجاملات الزائفة الكاذبة والنفاق الاجتماعي المتبادل ، فهل من توبة من هذا الخطر المستطير الذي يهدد بخسف ومسح ونذف؟!

### (٤) التهريج والمزاح ، والفحش والبذاء :

قال رسول الله ﷺ : «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»<sup>(٢)</sup> ، وقال رسول الله ﷺ : «لا تكثرُوا الضحك ؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب»<sup>(٣)</sup> .

صار من سمات الباطل في عصرنا خفة الدم زعموا .. وليس ثمة أثقل من كذوب فاحش يستضحك الناس بالباطل ، والأخبت في الموضوع أن يشارك في هذا الأمر من يلتزمون بالدين ويظهرون حب الله ورسوله ، فيحولون أكثر المواقف جدية إلى مزاح !!

فاتقوا الله يا قومنا ، ونزهوا ألسنتكم عن فضول الكلام ، فضلاً عن الفحش والبذاء والتهريج والمزاح .

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣) ، وصححه الألباني (١٨٨٦) في «صحيح الترمذي» .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٦٠) ، وصححه الألباني (١٦١٠) في «صحيح الترمذي» .

(٣) أخرجه ابن ماجه ، وصححه الألباني (٤١٩٣) في «صحيح ابن ماجه» .



**ثالثاً : التوبة من العلاقات :****(١) معارف للظروف :**

كثيراً ما تسأل أحدكم : كم جزءاً قرأ من القرآن اليوم ، ويكون الجواب :  
 أنا أتمنى والله أن أقرأ ، ولكن المشكلة .. ليس هناك وقت ! ، وحين تسأل :  
 أين ضاع الوقت ؟ ، وكيف ضاع الوقت ؟ ، فإليك مستجد أن من أخطر ما يضع  
 الوقت كثرة الاختلاط بالناس ..

إننا نستهيبن بمكالمة لمجرد المجاملة ، قد يضع فيها نصف ساعة ،  
 ومصافحة وكلمتين مع الماشي ، بعد الصلاة أمام المسجد يضع فيها نصف  
 ساعة أخرى ، وهكذا ، تضع الأوقات بنجر قائدة ، والعيد مشول عن عمره  
 فيما أفناه .

أرجو أخي الحبيب قبل دخول رمضان أن تمحيم علاقاتك .. ان تختصر  
 معارفك .. ليس هناك مجال لأداء حقوق كل هؤلاء ..

والتوبة من هذا تكون بتحقيق الإخلاص في العلاقات ، بإقامة صرح الحب  
 في الله ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، فتتضبط العلاقات بضابط الحب  
 في الله والبغض في الله فتكون عبادة .

**(٢) مجاملات بالحرام :**

في العلاقات الكثيرة المتشعبة لا بد من المجاملة ، وأحياناً لا مجال  
 للمجاملة إلا بالكذب ، أو على حساب الآخرين وكلاهما حرام ، فلا بد من  
 التوبة من المجاملات ؛ قل الحق ولو كان مرأ ، والساكت عن الحق شيطان  
 أخرس فلا تجامل بالحرام ، وكُفَّ لسانك .

### (٣) الاختلاط المحرم :

أكبر آفات العلاقات أن تكون العلاقة آثمة بين رجل وامرأة مهما زعموا أنها علاقة بريئة ، دعونا نكون صرحاء ، ليست هناك علاقة بريئة ، كلها علاقات محرمة ، إتنا يا قوم عبيد ، يحكمنا دين يقوم على أمر ونهي ، وليس الحاكم في ذلك العادات والتقاليد أو الهوى والشهوات . .

فتجب التوبة قبل دخول رمضان من كل علاقة آثمة حتى يطهر القلب . .

### رابعاً : توبة القلب :

#### (١) التوبة من الخواطر :

أحلام اليقظة متعة بعض الناس ، أخي الحبيب : لا يقتلك الوهم ، عش الحقيقة وإياك وأحلام اليقظة ، إياك من الخواطر الرديئة ، اجعل خواطرك تحت السيطرة ، لا تدعها تخرج من تحت يدك ، إنك إذا تركت الخواطر ترعى في قلبك وعقلك بغير ضابط ولا رابط ، فسعش الوهم وتصدقه ، كم من أناس قتلهم وقم المشيخة ، وهم ليسوا على شيء ، وآخرون قتلهم وهم طلب العلم وعاشوا أحلام اليقظة في ثياب فضفاضة ليست من ثيابهم .

**أخي الحبيب . .** قبل رمضان عش الحقيقة وانس الوهم ، وتب إلى الله ، انشغالك بالعمل يخرجك من هذا الوهم .

#### (٢) التوبة من التعلق بغير الله :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَكُمْ عَرَاكًا ۚ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِبَعَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [سرم: ٨١-٨٢] ، إياك أخي الحبيب والتعلق بغير الله ، الكل سيخذلك ويتخلى عنك إلا الله العظيم ، فلا تنشغل



بالآخرين ، واجعل انشغالك بمن ينفعك انشغالك به ، تب من التعلق بالأسباب والتعلق بغير الله .

### (٣) التوبة من الأمانى والتسويق وطول الأمل :

تلكم الثلاثة أمراض خطيرة تقتل الإيمان . .

**إخواني في الله :** أحذركم من السين وسوف . . أحذركم من الاغترار بالأمانى ، قال الحسن البصري **ثلاثة** : ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قومًا غرتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، قالوا نحسين الظن بالله وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

### (٤) التوبة من العجب والكبر والغرور ورؤية النفس :

وهذه الأمراض أيضًا تقتل الإيمان ، وتذهب بالعبد إلى الجحيم ، فالمعجب محبط عمله ، ولن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، والغرور قتال ، ورؤية النفس تجعلك تخال ، فاحذر يا مسكين ، فإنك لا تدري بم يختتم لك ، تب من كل ذلك وانكسر واخضع وذل لربك لعل أحد هؤلاء الذين تودريهم قد سبقك إلى الجنة بمراحل ، والله في خلقه شئون ، فاحذر . . عجل بالتوبة ، ومن تواضع لله رفعه .

### خامسًا : التوبة من الكسل :

#### (١) كم بين العلم والعمل :

ونحن على أبواب رمضان ، والكل بلا استثناء يعرف فضائل رمضان ، ويحفظ الرعود على الأعمال ، ولكن ماذا أفاد هذا العلم ؟ ، وبم تقع هذا الحفظ ؟ ، أين العمل ؟ !



تب أيها المسكين من الكسل ، فقد استعاذ النبي ﷺ منه ، قال رسول الله ﷺ : «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال»<sup>(١)</sup> ، فاستعد بالله وانتفض قائما ، واعمل بما علمت ، هذه توبة ..

### (٢) ضعف اليقين في الوعد والوعيد :

قال رسول الله ﷺ : «من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة في الجنة»<sup>(٢)</sup> ، أنا قلت الآن : سبحان الله وبحمده ونظرت في الساعة فإذا هي ثانية واحدة ، لو ثبت يقينك في هذا الوعد أنك تكتسب بالثانية الواحدة نخلة في الجنة ، وقد قال رسول الله ﷺ : «ما من نخلة في الجنة إلا وساقها من ذهب»<sup>(٣)</sup> فوزن ساق نخلة من ذهب مئات الكيلوات ، هذا ثمن كل ثانية من عمرك ، وأنت تضعه شنو منور .. لا تبالي ولا تذر ، وإنما أتيت من ضعف يقينك ، لو ثبت يقينك في ذلك الوعد : ما ضيعت لحظة من عمرك وما ركت إلى الكسل وترك العمل .. اصعل يا كلان .

### (٣) الترخص المهين :

بعض الناس يريد التفلت من الدين ولكن يدين ، فهو يبحث عن الترخص ، ويتخذ الخلاف بين العلماء مسوغا للهروب ، فكل المسائل عنده فيها خلاف بين العلماء ، وهو يرجح فيها جهواه ، ويختار ما يوافق شهوته ، ويظن أنه على شيء ، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٣﴾ استعوذ

(١) متفق عليه ، البخاري (٢٧٣٦) ، ومسلم (٢٠٨٨/٤) .

(٢) أخرجه الترمذي (٥١١/٥) ، رصحه الألباني (٦٤٢٩) في «صحيح الجامع» .

(٣) أخرجه الترمذي (٦٧١/٤) ، رصحه الألباني (٥٦٣٧) في «صحيح الجامع» .



عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ وَذَرَاهُمْ يُجَاهِلُونَ ۚ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُكَرٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ ۚ [المجادلة: ١٨-١٩] .

تب أخي الحبيب من هذا الترخص المهبين واستعن بالله على الأخذ بالمعزائم ، والعمل الجاد المستمر ، والله المستعان .  
وقد جعلت الكسل آخر هذه العناصر ؛ حتى لا تكسل في التوبة ، فلنسارع الآن .. حالا .. ونسب إلى الله ..

**إخوتنا ..** هذه توبة لازمة .. ليست استعدادا لرمضان فحسب ؛ فلعلنا لا ندرك رمضان ؛ ولكنها لازمة استعدادا للموت ، فقد تموت الآن في هذه اللحظة ؛ إذا قلب ولا تسوف .

### التمرين الثاني : التدريب على تعظيم الشعائر :

غفلة القلب من أضر الأشياء على العبد ؛ ولذلك لا بد في الاستعداد لرمضان من التدريب على يقظة القلب ، ولا شك أن من يقظة القلب أن يراعي شعائر الله وأن يعطيها حظها من التوقير والتعظيم وحفظ الحرمة ، وهذا مطلب خطير يجب أن يراعى في الاستعداد لرمضان .

فيجب أن نكون من داخلنا خائفين قلقين ؛ أن يفوتنا رمضان من غير أن نعتق من النار ونكتب من أهل الجنة .. أصحاب السبت لما لم يعظموا أمر الله في عدم الصيد يوم السبت ؛ مسخهم الله قرودا ، قال تعالى : ﴿ قُلْنَا مَثَلًا مِّن مَّا تَبَوَّأُوا مِنَ اللَّهِ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا حَقَّ تَعَالَىٰ ۖ فَنُفِثْ بِكُمْ فِي الْأَرْضِ ۖ فَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۗ قُلْ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ تَعِدُ بِاللَّهِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۚ ﴾ [البقرة: ١٨٢] ، فهذا أمر وقروض وشعيرة عظيمة ، من عظمها فهو الصبي ، قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ ۚ ﴾ [الحج: ٢٢] .

والله سبحانه وتعالى قال : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمَيْمَاتُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تُشْكُونَ ۚ ﴾ [البقرة: ١٨٢] ، فهذا أمر وقروض وشعيرة عظيمة ، من عظمها فهو الصبي ، قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ ۚ ﴾ [الحج: ٢٢] .



### التعريف الثالث : التدريب على استقامة القلب :

لكي نستعد لرمضان لابد من استقامة القلب ، بأن يكون الله أحب إلينا من كل شيء ، فنقدم محبة على كل شيء ، وأن نعظم أمره ونهيه ، لأن تعظيم الأوامر والنواهي من تعظيم الأمر الناهي ، وأن نقوم بعملية تطهير ظاهري وباطني .

### ويكون ذلك بأمور منها :

#### ١ - التعلق بالله :

أن يتعلق القلب بالله وحده ، وإن من أكبر عوامل فساد القلب التعلق بالأسباب ، لا تظن أنك بهذه الأسباب وحدها ستوفق لطاعة الله ، بل لابد من عون من الله لك ، لابد أن يتعلق قلبك بالله ، فانت لا حول لك ولا قوة ، والحول والقوة لله وحده ، ومن أخطر نتائج التعلق بالأسباب أن يحول الله بينك وبين قلبك ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرَّةِ وَبَيْنَ إِلَيْنَا يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤] .

لابد لك من شوق محرق يأخذ بيدك إلى ربك ، ولا يحصل لك ذلك إلا بأن تطالع أسماء الله وصفاته ، وتشاهد من الله عليك وفضله السابغ ، وتطالع جنائتك فتتحسر على فوات الزمان في غير طاعة الله ، فتشوق لاستدراك الفائت ، وتهتم نفسك إلى عمل صالح يكفر ما قد كان من فعالك ، تذكر سبى السابقين وانت لازلت قابع في شهواتك ، تذكر يوم الوعيد وانت تأكل يديك حسرة وأهل الإيمان في الفردوس الأعلى قد تناءوا عن أمثالك .



### ٢- استيعاب القلب لأسرار الطاعات :

واستلھام خلاوة الإيمان . . فإذا فقه القلب أسرار الطاعة ، وذاق لذّة الطاعة ، انصلح حاله .

إن آفة الأعمال أيها الأحبة أن تجري على الشكليات . . على المناظر . . على ما يبدو في الظاهر . . هكذا نشأ أكثر أهل عصرنا ، يتوضئون ويصلون ويصومون ويعتصرون ويحجّون ، وكل العبادات يؤدّون كما رأوا آباھم وأجدادھم يفعلون ، هكذا يستمرون ، كما يفعل الناس يفعلون ، دون دراسة حقيقية لأسرارها أو فقه لروحها ، وبالتالي ضاع أثرها .

وُعدت ثرى صلاة بغير خشوع ، وقرأنا بغير تدبر ، وصياماً بغير تبتل ، وحجّاً وعمرة بغير حُب وشغف وشوق . . كل العبادات تزدى شكلياً أداءً للواجب ؛ ولكن دون وعي صحيح بأسرار العبادة ؛ فكانت النتيجة أن تھد أعمالاً بغير نتيجة ، ولا أثر لها على شخصية العبد ولا على حاله مع الله .

إننا أيها الأحبة . . إذا أردنا أن نفدق طعم العبادة ، ولذّة الطاعة فلا بد من معرفة حقيقية لأسرار العبادة ، ورمضان له أسرار ، وأسرار الصيام أعظم ، ولعلك إن قرأت هذا الكتاب بكامله تجمع لك من متفرقة أسرار هذه الطاعة العظيمة .

### التحريم الرابع : تدريب القلب على الأنفة من المعاصي :

الأصل في القلب وجود هذه الأنفة بالفطرة ، ولكن الفطرة تبدل كما هو معلوم ، وكما قيل : كثرة المساس تفقد الإحساس ؛ فلذلك ينبغي على الإنسان أن يتحرى قبل رمضان إعادة هذه الحاسة إلى قلبه عند عھدھا ، أو تقويتھا حال ضعفھا ، ليستتکف أن يعصي الله عز وجل وخصوصاً إذا استشعر حاله الإيمانية أثناء الصيام . ولا بد لكي تُدرّب القلب على الأنفة من المعاصي قبل



رمضان من معاشة المعاني الروحية العليا ، كي تعود القلب على النور من الكذب واستهجان الغيبة والنميمة وإنكار المعاصي والحدو منها ، ولابد أن يعايش معاني تدبر القرآن ونفهم الأذكار ، ويذوق لذة المناجاة والتضرع بين يدي الله ، فمن ذاق الحلاوة أينف من مرارة المعاصي ؛ فتصبح همته متطلعة إلى معالي الأمور وتكره سفاسفها .

وقرصة الاستعداد لرمضان تدريب فعلي على الأنفة من المعاصي بكثرة الصيام وتلاوة القرآن ، وحال الانشغال بذلك لا يتصور عاقل أن يمارس المعصية حال أدائه للطاعة ، والأمر يحتاج إلى استتكار عقلي ، ثم رفض ذهني ، ثم انصراف فعلي عن المعاصي .

### **التعريف الخامس : الترويض على الانكسار لله عز وجل :**

قال سبحانه وتعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا مُرْكٍ ۚ ﴾ [العلق : ٦-٧] ، إن رؤية الإنسان لنفسه بعين الغنى تجره إلى الطغيان ومجاوزة الحد ، فلا يليق بالمؤمن إلا الفقر ، وهو أصل خلقته ، ولكن هذا الفقر الداخلي يحتاج إلى استشعار حقيقي ليظهر أثره على الجوارح وفي الفكر والتعب .

ومعلوم أن الفقر وصف ذاتي لكل مخلوق ، وصف لازم له ، كما أن الغنى وصف ذاتي للمخلوق جل جلاله ، قال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَثَرُ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ ﴾ [الاحقاف : ١٥] ؛ فلا بد أن تظهر فقرك وذلك وانكسارك بين يديه سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [الاحقاف : ١٢٣] . . . . . وحينما تنظر في الفرق بين المسلمين يوم بدر ويوم أحد ؛ ماذا تجد ؟ . . . يوم بدر : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ . . . يوم أحد : ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ كَاظِمُونَ ﴾ [الاحقاف : ١٤٣] . . . هناك فرق بين من



خرجوا للجهاد خفاة .. عمراة .. جياغاً .. الرسول ﷺ يناجي ربه : «إن تهلك هذه العصاة فلن تعبد في الأرض»<sup>(١)</sup> بن : ليرين الله ما أصنع .

في الأولى كانوا فيها في قمة الذل والانكسار .. وفي الثانية كان هناك شيء من رؤية النفس .. لم ينكسروا تمام الانكسار فكسروهم .. سبحانه عزيز لا يغالب .

**أيها الإخوة،** الطاعات مدد وأرزاق .. وحينما تدخل على الملك وأنت فقير يعطيك ، وإذا دخلت عليه وأنت مستعجل طرده ؛ لا بد أن تدخل بفقرك وضعفك وحاجتك ومكتك .

وهذا الباب - باب الذل - باب عظيم يوصل إلى رضا الرب الكريم جل جلاله ، كما قال بعض السلف : أتيت الله من لأيوب كلها فوجدتها ملأى ؛ فأتيته من باب الذل فوجدته خالياً ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يفتخر بفقره لربه ، ويأنه عريق النسب في الفقر إلى الله ، فيقول :

أنا المَكْدِي وابن المَكْدِي ومكدا كان أبي وَمَكْدِي

إن إظهارك الافتقار لله يستجلب لك رحمة الله وعفوه ، فأنت فقير إلى الله ، والله غني عنك وعن عملك ، وكل ما تعمل من عمل إنما هو لنفع نفسك : ﴿فَمَنْ أَغْنَىٰ عَنْكَ إِنَّمَا يَتَّبِعُ لِقَائِهِ رَمَّنْ حَلَّ لِقَائًا يُعْطَىٰ عَلَيْهَا﴾ ليويس : (١٠٨) ، فالله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية ، ولو أن خلقه كلهم أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ؛ ما زاد ذلك في ملكه شيئاً ، ولو أن أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منهم ؛ ما نقص ذلك من ملكه شيئاً .

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) .



### التمرين السادس : استئصال الأورام الخبيثة :

أيها الإخوة .. قد يطرأ عيب .. وقد يتجدر ذنب .. وقد تتأصل عادة .. ولا يُجدي مع هذا أساليب العلاج التقليدية .. إنما هي عملية جراحية قبل دخول رمضان لاستئصال كل عيب .

أحد عشر شهرًا قضيناها في اللعب والتفريغ ، لذلك فإن علاج أمراض ومآسي وذنوب ومخالفات وغفلة سبعة أشهر ليس بالأمر السهل ؛ لأنه من الممكن في هذه الفترة أن يظهر عيب صغير ، ولكن تركه سبعة أشهر كاملة يتسبب في انتشار سرطان في الإيمان .

ومشكلة السرطان أنه يتشرب ويتشرب ويملأ ما حوله .. فلا بد من الإسراع في معالجة هذه العيوب والذنوب والعادات البتة ، لتلاهي وتقضي على القلب .. وعلاجها ليس تقليديًا بالمهدئات والمكثبات .. لا .. بل تحتاج لاستئصال سريع لإسفاف الحالة الإيمانية .. والاستئصال يتطلب خطوات

ثلاثة :

#### ١ - ممة عالية .. شغلها بالأعمال :

قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْخَلِيمِ﴾ [البقرة: ١٧٧-١٧٨] .

وقال رسول الله ﷺ : «لو كان الإيمان في الشراة لئاله رجال»<sup>(١)</sup> .

وقال ابن القيم عليه رة : الوصول إلى المطلوب موقوف على ممة عالية ونية صحيحة .

(١) متفق عليه ، البخاري (٤٦١٥) ، مسلم (٢٥٤٦) .



## أحبني في الله ..

الكلام سهل ، والرصف والتوصيف غاية في البساطة ، والوهم قاتل ، والأمانى تفر ، والصحك هو العلم ، فأين الأعمال ؟ ، كثيرًا ما نسمع كلامًا ونحصل على رعود ولا نرى عملاً حقيقياً مؤثراً ، كما قيل : أسمع ضجيجاً ولا أرى طحناً .

كثير من الشباب في غابة الكسل ، لا يعمل ولا يتحرك ثم يشكي الفتور . . . ويشكو عدم الخشوع ، ويشكو قسوة القلب ، ودواؤه بين يديه ، قم واعمل ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ كَذَلِكَ يَرْجُو رَبِّي فَأَتِمِلَّ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُفَرِّقْ بَيْنَ رَّبِّي أَمْنًا ﴾ [الكهف: ١١٠]

إننا وبين يدي رمضان ، نحتاج إلى همة عالية ، نحتاج أن ندخل رمضان بنفسية التحدي ، أكون أو لا أكون . . . وكأني بالصحابي الجليل أنس بن النضر وكان قد غاب عن غزوة بدر ، ونزل قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَكْثَرُ أَزْوَاجًا يَرْجُونَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَعَقُودُهُمْ عَلَيْهِمْ أَمَّا ﴾ [البقرة: ٢١٨] ، قال : والله لئن أشهدني الله مشهداً ليرين ما أصنع . . . إنني أتعجب من هذه العزيمة . . . أنا في غابة الإعجاب بهذه الكلمة .

## أخي الحبيب ..

كم فات في عمرك رمضان ، لم تعتق رببتك فيه على كثرة الفرص ١٩  
كم فات من عمرك رمضان لم تغفر ذنوبك المتقدمة على كثرة الفرص ١٩  
كم فات من عمرك رمضان ، ولم تدرك ليلة القدر كما ينبغي على كثرة  
الفرص ١٩

ليتك تصنع كما صنع أنس بن النضر فتقول كما قال : والله لئن بلغني الله  
رمضان . . . ليرين ما أصنع . . .



ولكن ، القضية كما ذكرت لك سابقاً ليست كلاماً ، إنها تحدّ وقوة وعزم . .  
 لأننا رأينا من قالها قبل ذلك في أول رمضان ثم نام . . وإنما كانت صراحة من  
 أنس بن النضر حتى إنه أشهد الله من نفسه البطولة في غزوة أحد بعدها  
 مباشرة ؛ لأنه انصدع قلبه عندما علم بأجر المجاهدين الذي فاته ، فتحرق قلبه  
 لنيل هذا الأجر ، فاستعد له قبل دخوله ؛ لذلك فلأنني أريدك من الآن وقبل  
 رمضان أن تستعد وتتهيأ .

فيلزمنا العزم . . والقوة . . والعمل المكثف المستمر . . مع الهمة العالية ،  
 حتى نبدأ في استئصال الأمراض القلبية التي تفتت مع الغفلة الإيمانية خلال  
 السنة الماضية ، فالخطوة الأولى أن تكف عن الشكوى ، وترك الكلام ، وتبدأ  
 العمل .

### ٣- لا تستعمل أي مخدر :

إننا نحتاج إلى بداية حقيقية ، دعونا من الخداع ، خداع النفس وخداع  
 الآخرين ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ  
 وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قِيلًا ۝١٠١  
 مُذَبِّحِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَهْدِيَهُ ۖ ذَٰلِكَ سَبِيلُ ٱلَّذِينَ  
 [النساء : ١٤٢-١٤٣] ، بالمصارحة أقول : دعك من المسكنات ، ودعك من حقن  
 التخدير ، وأطباء التخدير الذي يصفون العلاج المؤقت ويعالجون بالوهم .

إننا حين نريد أن نستقبل رمضان بنفسية التحدي التي اتفقنا عليها سابقاً -  
 نكون أو لا نكون - لا يصلح أن أقول لك : تدرّج في العبادات ، في الصيام  
 والقيام والذكر وثلاوة القرآن ؛ فإن هذا الكلام لا يصلح اليوم ، إنما يصلح في  
 الأوقات العادية حينما يكون هناك متسع من الوقت ، أما الآن وفي الاستعداد  
 لرمضان . . ابدأ فوراً . . لا تستعمل المسكنات ، ولا ترضى بالتخدير ، وتحمل



ألم البتر، بتر البطالة والكسل، بتر الغفلة واللهم واللهم، بتر الأمانى والخداع والجهل، بتر كل الأمراض ليصبح الإيمان.. ابدا فوراً.

### ٣- ابدا العملية الجراحية فوراً :

فوراً.. فوراً.. لا تسويف.. لك أسوة في أئمتك من الرسل والأنبياء، انظر إلى سيدنا موسى عليه السلام كما جاء في الحديث : « أُرْسِلَ ملك الموت إلى موسى، فلما جاءه صكّه ففقا عينه، فرجع إلى ربه فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، لرد الله عينه وقال : ارجع إليه وقل له : يضع يده على متن نور فله بكل ما غطت يده بكل شجرة سنة، قال : أي رب ثم ماذا؟، قال ثم الموت، قال : فالآن<sup>(١)</sup>.. نعم إن كان الموت لا بد منه فالآن.. عزيمة ماضية.

وكذلك سيدنا النبي محمد ﷺ، لما خير بين مفاتيح خزائن الأرض والخلد فيها وبين ما عند الله، اختار ما عند الله.

ولما استعد ﷺ للخروج إلى غزوة أحد ثم حاول بعض الصحابة أن ينعوه بالمكث في المدينة، قال : « ما كان لنبي ليس لأمة الحرب أن يضعها حتى يفصل الله بينه وبين عدوه<sup>(٢)</sup>».

في الاستعداد لرمضان، ليست لأمة الحرب وبدأت الاستعداد؛ فابدا فوراً بدون تسويف وبدون تأجيل، لا تقل : سأحاول، قل : قرت، لا تقل شيئاً، ابدا فعلاً في التخلص من أمراضك القلبية ومعاصيك الظاهرة والباطنة، تخلص من الغفلة والجهل، تخلص من كل ما يحرمك من رضا الله ويحول بينك وبين دخول الجنة.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢٥١)، وصححه الألباني (١١٠٠) في السلسلة الصحيحة.



**التحريم السابع : إجراء بعض تمارين العزيمة والهمة :**

قال سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْلُبُوا أَلْبَابَكُمْ لِلَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنْكُمْ فِي الْغَايِبِ ۚ يُؤْتُونَ أَمْثَلَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَوْمًا مُّسِيئِينَ ۝۱۶﴾ [المزمل: ١-٦] ، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : أنزل الله صبر سورة المزمل وفرض فيها القيام على رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه مستين ، حتى نورمت سوقهم حتى كأنها جذوع النخل ، ثم أنزل آخرها وقبه التخفيف .

إنها تمارين العزيمة والهمة ، في بداية أمر الدعوة والأمر شاق والحمل ثقيل ، فلا بد من تمارين العزيمة ، بدأها جبريل عليه السلام بغطة أو ثلاث غطيات لرسول الله ﷺ كما وصفها صلوات الله وسلامه عليه حين قال : «فَقَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَوْسَلَنِي وَقَالَ اقْرَأْ»<sup>(١)</sup> ، ثم فُرِضَ القيام ستين ، تدريب وتربية . كذلك لابد من إجراء بعض تمارين العزيمة والهمة قبل دخول رمضان ، لتدخل رمضان بهمة عالية .

وكان أبو مسلم الخولاني قد حُلِقَ سَوَاطِئُ فِي مَسْجِدِ بَيْتِهِ ، يُؤَدِّبُ بِهِ نَفْسَهُ ، وَكَانَ إِذَا فَتَرَتْ رِجْلُهُ مِنَ الْقِيَامِ يَضْرِبُهَا بِالسُّوْطِ وَهُوَ يَقُولُ : فَوَيْ فَوَاللَّهِ لَا أَرْضَعُ بِكَ رَحْفًا ، حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ مِثْلَ لَا مِنِّي ، وَيَقُومُ قَائِلًا : أَبْظَنَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ أَنْ يَسْتَأْثِرُوا بِهِ دُونَنَا ، كَلَّا وَاللَّهِ لَتَرَأَحِمَتْهُمْ عَلَيْهِ ، حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ خَلَفُوا وَرَاءَهُمْ رِجَالًا .

هيا يا رجال .. كونوا رجالاً .. زاحموا الأكابر .. لَا تَكَلُّوا وَلَا تَمَلُّوا ..

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لَصَبِيحٍ : يَا صَبِيحُ ، تَعُودُ الْعِبَادَةُ ، فَإِنْ لَهَا عَادَةٌ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ أَثْقَلُ عَلَيْهَا مِنْ كَافِرٍ .

(١) مضاف عليه ، البخاري (٢) ، ومسلم (١٦٠) .



لأبد من استعداد حقيقي ، استعداد عملي قبل رمضان ، لأبد من تمارين العزيمة .

ليلة تصلي فيها ركعة بخمسة أجزاء كما فعل النبي ﷺ حين صلى في ركعة بالبقرة والنساء وآل عمران .

ليلة تقول : هذه ليلة الركوع ، فيطول فيه التسبيح والتعلق وتعظيم الرب .

ليلة تقول : هذه ليلة السجود ، وتنقضي الليلة في سجود طويل ينسم بالذل والبكاء والخوف والرجاء . .

ليلة تقوم الليل كله بآية واحدة ترددها وتبكي وتتوسل بها حتى الصباح .

وهكذا تمارين ، يوم للتسبيح ، ويوم للتهليل ، ويوم للصلاة على النبي ﷺ ، وتمرين سرد الصيام ووصال ليلة إلى السحر . . تمارين ، وهكذا أخي الحبيب ابدأ تمارين العزيمة والهمة ، استعن بالله ولا تعجز ، واعلم أن النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وأن بعد العسر يسراً .

### التمرين الثامن : ترويض الحواس :

وذلك بأن تعود حواسك على الطاعة ، فتعود عينك على النظر في المصحف ، وتمنعها من النظر إلى المثيرجات ، تعود أذنك على سماع القرآن ، على سماع العلم ، وتمنعها من سماع الأغاني والمسلسلات والكذب والفحش والزور ، تعود لسانك على إيمان الذكر والإكثار منه ، تعود على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تروضه أن يقول الصدق ، وأن يذلل النصيحة للمؤمنين ؛ لأن هذه الحواس إنما هي منافذ للقلب ، فالعين توصل إليه النظرات ، والأذن توصل إليه الكلمات ، واللسان يوصل إليه السيئات ، والإنسان مسئول عن جوارحه وحواصه هذه يوم القيامة قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّعْ



وَالصَّبْرَ وَالْقَوَادِ كُلُّ أَوْلَيْكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا [الإسراء: ٢٦]، فلا بد من ترويضها استعدادًا؛ لأن تكون لينة متقادة لك في رمضان، ويسهل عليك فيه قيادتها.

ولا بد من الصبر على التمرين، واليقين من أن الله سيفتح عليك مع مداومة الوقوف ببابه، فالزم الباب واصطبر؛ فإنما هي ساعات.. والله سبحانه وتعالى كريم شكور، إذا رأكَ تجاهد فيه وتندرب على طاعته فلن يُضَيِّعَكَ بل سيعينك ويوفّقَكَ هذا هو الظن به وهو الكريم؛ فاستمر في الترويض والتدرب ولا تيأس إن تأخرت لذة الطاعة، طالما أنك في مقام التزلف إلى الله و«التلبين» لرضاه، فهو القائل سبحانه: ﴿الَّذِي يَرْفَعُ ذِينِ الْقَوْمِ ﴿١٥٦﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩]، ويقول رسول الله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل؛ يقول دعوت فلم أو يستجب لي»<sup>(١)</sup>، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَسِرْ بِعَمْرِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨]، ويقول سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، فمع الصبر والترويض تصل إلى ما تريد إن شاء الله.

### **التمرين التاسع: الاستحضار الذهني للعبادات قبل الشروع فيها:**

هل رأيت نفسك وأنت ساجد؟

حاول أن تتخيل هذا المشهد: جبهتك على الأرض.. أنفك يضغط على الأرض.. بطنك تتدلى على الأرض.. خشوع عجيب غير مفتعل في العينين.. اليدين ترتكز بقوة على الأرض وكذلك الركبتين؛ لأنك لم تر هذا الوضع وتأمله في نفسك لا تشعر به؛ لذلك أدعوك للتصور الذهني لأي عبادة قبل الشروع فيها، هذا يساعدك على تحصيلها كما ينبغي وإتقانها كما يجب.

فقبل أن تصلي بربع ساعة تفكر: من الذي ستقف أمامه؟.. أغضض

(١) مضاف عليه، البخاري (٥٩٨١)، مسلم (٢٧٣٥).



عبيك واستحضر أنني واقف أمام الله ، ﴿وَلَمَنْ سَأَلَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] . . واستحضر عظمة الله ، فيترعج القلب ويفزع ، فيخاف ويخشع ، والعلماء يقولون : الخشوع في العبادات قبل الشروع فيها ؛ سبب للخشوع فيها ، قال رسول الله ﷺ : « إذا أقيمت الصلاة ، فلا تأتوها تسعون ، ولكن اتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فاتموا »<sup>(١)</sup> ، وفي الرواية الأخرى : « إذا أتيت الصلاة اتوها بسكينة ووقار » ، **قال ابن حجر في شرح هذا الحديث** : يستفاد منه أنه يعتمد للسير إلى الصلاة ما يعتمد في الصلاة . . كما يأتي العدد على قدر حضور القلب واستجماع الفكر والتركيز في العمل .

فلا بد أخي الحبيب من فهم قضية الصيام والحكمة منه ، واستشعار اللذة ، خذ مثلاً للاستحضار الذهني من الآن مشهد إنسان قبل الأذان بدقيقة أو دقيقتين ، هو في غاية الجوع والعطش والضعف والخور ، وأمامه وبين يديه ملك يمنه جميع أنواع الأطعمة والمشروبات ، ولا يرضى ولا يقبل أن يمد يده ليشرب أو يأكل ، وإن قيل له : ما الفرق بين الآن وبعد دقيقتين ؟

إن الاستحضار الذهني لهذا المشهد يجيبك أن الفرق كبير جداً جداً ، وعظيم مجمله كلمة واحدة : حتى يأتي الإذن من الله .

إن الاستحضار الذهني لهذا المعنى هو الصيام ، لا مجرد الترك ، فافهم وجرب وقاوم وأنت في فترة الاستعداد .

### التمرين المباشر : لزوم جناب الاحتشام ودوام الإطراق :

من أنت ؟ ، هل تعرف نفسك ؟ ، هل تعرف قدرك ؟ ، هل تعرف

(١) مطلق عليه ، البخاري (٦٠٩) ، مسلم (٦٠٣) .



وضعتك؟، اسمع معي هذا الحديث ثم قرر، قال رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدث عن دينك، قد مرقت رجلاه من الأرض، وحنته مُنْتَنِ تحت العرش يُسَبِّحُ الله فيقول: سبحانك ما أعظمك!، فيقول الله عز وجل: ما علم بهذا من حلف بي كاذباً»<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة ما أسري بي جبريل وهو على هيئة، له ستمائة جناح كل جناح يسد الأفق»<sup>(٢)</sup>، تأمل معي هذه المخلوقات خلق من خلق الله، وما بالك بالكواكب والنجوم والسموات والأرضين.

إن هذا التأمل يجعل الإنسان يتصاغر فيلزم الاحتشام ويدبم الإطراق ولا يجرف على رفع رأسه، من أنت؟!، وماذا أنت!؟

ثم تسمع قول الله عز وجل وفي وسط آيات الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَسِيمٌ أُتِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، إن استشعار هذا المعنى في الصيام خصوصاً في غابة الأهمية؛ لأن الصيام سر بين العبد وربّه، فيحتاج إلى دوام العراقة، ومع دوام العراقة نصل إلى المعنى الأعظم، وهو استشعار المعية، فيطرق الإنسان حياءً ويحتشم خجلاً، وخصوصاً حال ذكر الله، قال ربنا سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»<sup>(٣)</sup>، وأيضاً: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»<sup>(٤)</sup>، وقال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿قَالَ ذُرِّيْٓ أَكْفَرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ولما علت أصوات الصحابة بالتسبيح قال رسول الله ﷺ: «إنكم

(١) أخرجه الحاكم (٣٣٠/٤)، وصححه الألباني (١٥٠) في «السلسلة الصحيحة».

(٢) أخرجه أحمد (٤٦٠/١)، وصححه الألباني (٣٤٦٤) في «صحيح الجامع».

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣٦/٦).

(٤) متفق عليه، البخاري (٦٩٧٠)، مسلم (٢٦٧٥).



لا تدعون أضْمَ ولا ضائِبًا ؛ إنكم تدعون سميعًا قريبًا ، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته <sup>(١)</sup> .

إنني أريد أن تنزل النصوص السابقة على قلبك دواء نقطة نقطة ، لعلاج الأمراض القلبية الخطيرة ، قبل دخول رمضان مثل : الكبر ، والعجب ، والغرور ، ورؤية النفس ، والتعالي على الآخرين ، والأنانية وحجب الذات ، والأثرة ، والافتخار ، والمَن ، والتألي .

**قال ابن الجوزي - عليه رحمة الله :** «تضاعف ما أمكنك ؛ فإن اللطف مع الضعف أكثر» .

أنت تحتاج إلى لطف الله بك ليعافيك ويعينك ، فأظهر ضعفك وانكسارك ولا تشمخ بأنفك فيعرض عنك فتخسر الدنيا والآخرة .

### **التعريف العاشر : ملاحظة المنة :**

قال ابن القيم - عليه رحمة الله : «والعبد يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ، ومطالعة عيب النفس والعمل» .

وأنت تتعمرن على الطاعات استعدادًا لرمضان ؛ ينبغي أيضًا أن تلاحظ فضل الله عليك لنوالك شرف الطاعة والتوفيق لها . . ملاحظة المنة لنوالك شرف القيام بين يدي الله . . لنوالك شرف ذكره . . وكرامة ورود كلماته على لسانك . . لنوالك شرف جريان العبادة على جوارحك رغم كثرة معاصيك . . أدخلك بيته ومنَّ عليك بالحج والعمرة ، وعافاك وقواك . . وسمع لك وهو العظيم ، وزاد فضله عليك فاخترارك واصطفاك ؛ على الرغم من عدم استحقاقك . .

إذا استشعرت أنه سبحانه الأول الذي يُتبدأ من عنده الخير والرحمة ؛ فهو

(١) متفق عليه ، البخاري (٢٨٣٠) ، مسلم (٢٧٠٤) .



المعد وهو المعد ، فبداية طاعتك من الله ونهايتها إلى الله ، قال سبحانه : ﴿ثُمَّ قَابَ عَلَيْهِمْ لَبِثُهُمْ إِشْرَؤُهُمْ﴾ [التوبة : ١١٨] ، وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحْكُمُونَ أَفْهَهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾ [١٦٠] ﴿وَقُلْ لَكُمْ عُذْرٌ فَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [التوبة : ١٠٤-١٠٥] .

وقال عز وجل : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد : ٣] ، وأنت تعيش بين هذين الاسمين الأول والآخر . . استشعر ذلك حتى يحدث لك الثبري من الحول والقوة ، وعندئذ لا ترى عملك ، وإنما ترى فقط أن الكريم سبحانه هو الذي من عليك وشغلك بطاعته . . وأكرمك عنده . . اللهم أكرمنا ولا نهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا .

ملاحظة المنة تطهر القلب من رؤية العمل ، وحظ النفس ، والربا والسمعة . . اللهم ارزقنا شكر نعمتك وحسن عبادتك . . اللهم إنا نحمدك حمدا كثيرا يوافي نعمك ويكافي مزيدك .

### التعريف الثاني عشر : تهذبة نمط الحياة :

تخفيف سرعة حركة الحياة تمهيدا للتوقف في رمضان ، والتخفيف من أعباء الدنيا ومحاولة إزالة همومها المارضة ، والحرر من الانشغال بها والتلهي بها عن طاعة الله ، فلا بد من روية . . لا بد من دقة في التوفيق بين أعمال الآخرة التي هي خير وأبقى وبين أعمال الدنيا التي هي ذاهية زائلة .

إننا نعيش في هذا الزمان حياة مليئة بالمحركة والسرعة ، فملا نعيش في هذه الأيام سرعة التغيير ودوام التغيير ومفاجأة التغيير ، فلا توجد فرصة حقيقية للإنسان للتفكير قبل التغيير ، وهذه أكبر أخطار هذا العصر ؛ لذلك قبل رمضان نحتاج أن يمهّل الإنسان نفسه ، يعطي نفسه فرصة للهدوء الذهني والقلبي ، فرصة لمراجعة



نمط الحياة ، وتهدئة هذه السرعة ؛ ليحصل الثروي والتعقل في أخذ القرار بإشار  
الآخرة على الدنيا فيكون الاستمرار لأن القرارات السريعة تتغير بنفس السرعة .  
هيا أيها الحبيب .. الهدوء .. الهدوء .. السكينة .. السكينة .  
**أيها الإخوة ..**

هيا استعدوا لرمضان ولا يكن حظكم منه الخسران والمخذلان ، يا أيها  
المجتهد ، هذا ربيع جنتك ، أيها الطالب هذه أوقات رفدك ، تيقظ أيها الغافل  
من سبب البطالة ، تحفظ أيها الجاهل من شبه الضلالة ، اغتم سلامتك في  
شورك ، قبل أن تُرثن في قبرك ، قبل انقضاء مدتك ، وعدم عدتك ، وانقطاع  
صوتك ، وعثور قدمك ، وظهور ندمك ؛ فإن العمر ساعات تذهب وأوقات  
تنهب ، وكلها معدودة عليك ، والموت يدنو كل لحظة منك .

**يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي** ، يا شموس التقوى والإيمان اطلعي ،  
يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعي ، يا قلوب الصائمين اخشعي ، يا أقدام  
المتجهدين اسجدي لربك واركعي ، يا عيون المتجهدين لا تهجمي ، يا ذنوب  
التائبين لا ترجعي ، يا أرض الهوى ابلعي ماءك ، ويا سماء النفوس اقلعي ،  
يا بروق الأنوار للمشايق الممي ، يا خواطر العارفين ارتعي ، يا همم المحبين  
بغير الله لا تقنعي ، قد مدت في هذه الأيام موائد الإنعام للصوم ؛ فما منكم  
إلا قد دُعي ، ويا همم المؤمنين أسرعي ، فطوبى لمن أجاب فأصاب ، وويل  
لمن طرد عن الباب وما دُعي .

﴿ يَقُومُونَ لَيْسًا دَاعِيَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يَتَّقُونَ لَكُمْ مِنْ دُؤُوبِكُمْ فَتُحْزَنُ مِنْ ذَلِكَ  
أَلِيمٌ ۝ وَتَنْ لَا يُحِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ قَلِيلٌ يُحْجِزُ فِي الْأَرْضِ لَكُم مِّنْ دُونِهِ أَزْلَمَ  
أُولَئِكَ فِي مَسْئَلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف : ٣١-٣٢] ،

**اللهم أعنا ووقفنا للإعداد لرمضان .. بحولك وقوتك يا كريم .**







كَيْفَ

لَسْتُمْ قَبْلَ مَضَانِ

حَفَاوَةُ اللَّهِ تَعَالَى

مَنْ كَانَ لَهُ بَدْءُ آيَةٍ مُخْرِقَةٍ..  
كَانَتْ لَهُ نِهَآيَةُ مُشْرِقَةٍ





## استقبال رمضان

### «الوصايا العشر قبل دخول الشهر»

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أمر الملك سبحانه أن من شهد فليعمل، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لا نجعل يوم صومك كيوم فطورك، لا نجعلهما سواء»، لابد من التغيير.

إنه بمجرد ظهور هلال رمضان في السماء تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصفد الشياطين وينادي المتادي.

**سبحان الملك!** تغير جنري عجيب في الكون كله، يجب أن يستشعره المؤمن صاحب العقل اليقظ والقلب الحي، ويحصل منه استقبال لهذا الشهر، استقبالا حقيقيا، فيظهر أثر ذلك الاستقبال في تغيير نمط الحياة؛ لأنه يتعامل مع الكون، فإذا تغير الكون يجب أن يتغير هو أيضا؛ لذلك أول ما نستقبل به الشهر:

فك الشد العصبي في العراك مع الحياة لتحصل المصالحة..

لابد من عقد هدنة بين جميع الأطراف خلال هذا الشهر لنصل إلى الهدف المنشود بسلام؛ العتق من النار، فإليك هذه الوصايا العشر، احمل بها يرحمك الله.

### الوصية الأولى: هدنة مع المناقشات والجدال:

في المنزل مع الزوجة والأولاد، وفي بيئة رمضانية إيمانية، قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ يُّؤَيِّدُكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل: ٨١]، ويكون ذلك بما يلي:



(١) محاربة فض جميع المشاكل والمنازعات قبل دخول الشهر ، حتى لا تعكر عليك جوك الإيمان ، وحتى لا تعرقل طاعاتك التي تريد القيام بها ، لا بد أن تتخلص من هذه المشكلات وأن تضع لها حلولاً جذرية حتى لا تؤثر على عبادتك .

(٢) إجراء محاضر صلح بين أفراد الأسرة جميعاً ، فتنفي البيئة من حولك من شائبة الاختلافات والخصومات ، واعمل على أن توجد جواً من المحبة والتواد والتقارب بين أفراد الأسرة ؛ فإن ذلك مما ييسر السبيل أن يطيعوك ويطيعوا ربهم سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿وَقُلْ لِّبَّائِي بَنُّوْا إِلَيَّ مِنْ أَحْسَنِّ إِنَّ الْقَبْلَ كَانَ بَازِغًا عَنْهُمْ﴾ [الأنعام : ٥٢] .

(٣) عقد اجتماع طارئ وعاجل مع جميع أفراد الأسرة للاتفاق على المبادئ والأصول التي سيتم السير في ظلها خلال شهر رمضان ، ومن هذه المبادئ :

- التخلي عن التلفاز ومشاهدته ، وإقناعهم أنهم لن يخسروا شيئاً إذا فعلوا ، وتعالوا نجرب أن نستبدل ذلك بأعمال إيمانية وقرىبات نافعة .

- إيقاف سير الأغاني الجارفة التي تقتل الإيمان .

- ضبط اللسان والحذر من انحرافه إلى ما يغضب الله .

- إلغاء السهرات والمزومات والدعوات أو التقليل منها ، قدر الإمكان .

(٤) اتخاذ السبيل الجادة لإنقاذ جميع أفراد الأسرة من النار ، قال الله تعالى : ﴿بَنَاتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَأَفْلَحَ تَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم : ٦] ، قال ابن عباس رضي الله عنه : أي علموهم الخير وأدبوهم .

### الوصية الثانية : إقامة هدنة في الملل مع الزملاء والمسؤولين :

وذلك يكون بالتجاوز عن الخصومات ومصالحة الجميع ونسيان الخلافات ،



والبدء بصفحة نقية بيضاء ، لا نريد زريعة المشاكل في العمل ، ولا نريد الانشغال بغيره وقال ، لا نريد ضياع الأوقات في فضول الكلام ، ولا بد من الإصلاح بين المتخاصمين والوصول إلى حل وسط لإرضاء جميع الأطراف في غير معصية الله ، قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: ١] .

نريد أن يكون تعاملك مع زملائك في العمل مبنياً على حصول المكاسب لك في الدين ، وإن خسرمت الدنيا ، ولا بد كذلك من إتقان العمل وإحسانه لاسيما وأنت صائم تراقب الملك سبحانه ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه »<sup>(١)</sup> .

### الوصية الثالثة : إقامة هدنة مع نفسك للتخلص من سموم القلب :

وسموم القلب خمسة : فضول الطعام ، وفضول الكلام ، وفضول النوم ، وفضول الاختلاط ، وفضول النظر .

#### ١ - هدنة مع الأكل ، إنه شهر صيام ونقل لا شهر أكل ونوم :

الطعام وقود الشهوات ، وامتلاء المعدة بالطعام سبب لكسل البدن عن العبادة ، وإذا أكل المرء كثيراً شرب كثيراً ، فنام كثيراً وخسر كثيراً ، وتأمل كيف أن النبي ﷺ أمر الشاب العزب بالصيام ، وعلى ذلك بأن الصيام « وجاء » أي قاطع للشهوة ، يقضي عليها ويهذبها ، وقد علمنا النبي ﷺ فقه الطعام فقال : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلاً ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »<sup>(٢)</sup> ، نريد

(١) أخرجه أبو يعلى والطبراني في « الكبير » (٣٠٦/٢٤) ، وصححه الألباني (١٨٨٠) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١١١/٢) ، وصححه الألباني (١٩٨٣) في « صحيح إرواء الغليل » .



هدنة مع الأكل ، قال سبحانه : ﴿كُلُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوِيَ﴾ [طه: ٨١] ، اكتف بليقيات كما أمرت .

## ٢- هدنة مع الكلام : رجاء .. أخلق فمك في رمضان :

قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليصمت»<sup>(١)</sup> ، كل كلمة تخرج من فمك فهي إما ثواب وإما عقاب ، قال الله جل جلاله : ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْ رَقِيبٍ عَيْنٌ﴾ [ق: ١٨] ، وكثرة الكلام مدعاة للخطأ .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «من صمت فبحا»<sup>(٢)</sup> ، وقد جعل الله لك لسانًا واحدًا وأذنين لسماع أكثر مما تتكلم ، والبلاء موكّل بالنطق ، فاحذر فضول الكلام ، واحذر الاسترسال في الحديث عن الدنيا فإن ذلك ينسي القلب ، وإن استطعت ألا ترد على الهاتف إلا لأمر ضروري فافعل ، وأن تأمر زوجتك بالتوقف عن المكالمات التي تمتد لساعات بلا فائدة ، والتي تضيع الوقت ، وعادة ما تؤدي إما إلى الحديث في أمور الدنيا ، وإما في الغيبة والنميمة فهكذا أحاديث النساء دائما .

فلا نستخدم الهاتف إلا لطاعة الله كان تبر والدبك أو نصل رحمك أو تنهي أعمالا مهمة أو تدل على خير ، وألجم لسانك عن قول ما لا يرضي الله عز وجل ، وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار قال : «الفسم والفرج»<sup>(٣)</sup> .

(١) مضع عليه ، البخاري (٥٦٧٢) ، مسلم (٤٧) .

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩/٢) ، وصححه الألباني (٥٣٦) في «السلسلة الصحيحة» .

(٣) أخرجه أحمد (٣٩٢/٢) ، وصححه الألباني (١٧٢٣) في «صحيح الترغيب والترهيب» .



وهما أيضًا سبب لدخول الجنة ، فقد قال رسول الله ﷺ : « من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة »<sup>(١)</sup> ، وهذا يدل على خطر اللسان وخطر كل ما يخرج منه .

**الشاهد إخواناه :** لا بد أن تتخلص من فضول الكلام ؛ فإنه من سموم القلب ، واستقبل رمضان بالصوم أيضًا عن الكلام .

### ٣- هدنة مع السرير . . دعه يستريح منك شهرًا :

النوم نعمة من الله على عباده ، لكنها إذا تعدت حد الإفراط أفسدت القلب ، سيأتي معنا في برنامج الصائم اليومي أنه يكفيك أن تنام أربع ساعات في اليوم في رمضان ؛ لأنك تطلب شيئًا عظيمًا ، بل تطلب أعظم شيء وهو جنة الله ، اللهم إنا نسألك الجنة يارب ، فلا بد أن تقلل من ساعات نومك ؛ لأنك في حالة طوارئ ، تتعب في تحصيل غاية كبيرة ، بل هي أكبر غاية ، فاحذر كثرة النوم حتى لا يضيع عمرك ويضيع دينك وقلبك .

كلما حدثتك نفسك بالنوم والتكامل عن العبادة ، أغمض عينيك وتخيل الجنة ، وقل لنفسك : أترضين أن نخسر الجنة ؟ ، أقتامين وهناك من سبقنا الآن إليها ، أما علمت أن فلانًا يقرأ القرآن الآن ، وفلانًا يصلي من الليل الآن ، فماذا سيفيدك النوم إذا سبقك هؤلاء إلى الجنة بدرجات !!

لذلك أنصحك - أخي - أن تجعل لك صديقًا مخلصًا ذاهمة عالية تتنافس معه في العبادات ، تتنافسان من يختم القرآن أولاً وكم مرة ، تتنافسان على قيام الليل ، وعلى ذكر الله ، ويوقف كل منكما الآخر فإن ذلك يجلب لك همة ونشاطًا ، قال الله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦] .

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٩) .



#### ٤ - هذنة مع الناس .. أنفاس الناس دخان القلوب :

ومخالطة الناس بلاء ، قال بعض السلف : هذا ألوان السكوت ولزوم البيوت .

إن الناس يثبطونك ويخدلونك عن الطاعة ، وقلما تجد منهم ناصحاً أميناً ، فاحذر مخالطة أهل الدنيا ، فإن خلائق السفهاء تُعدي ، **وكما يقول علماء التربية :** « الطبايع سُرّافة » ، « الإنسان ابن بيته » ، فإن كان لا بد من مخالطة فلتكن يسيرة ، ولتكن بالصالحين ، وعليك بذوي الهيم العالية منهم ، من إذا دلتته على خير سبقك إليه لا يثبطك عنه . ابحث عمن نعلم أن همته في الشرا وليست في الثرى .

وقد أمر رسول الله ﷺ بأن يصير نفسه مع المؤمنين المجدين في السير إلى الله ، فقال الله تعالى : ﴿ وَأَمِيرٌ تَسْلُكٌ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفِدْوَةِ وَالْأَيْمِ يُرِيقُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاهُ عَنْهُمْ ثَرِيدٌ ذِينَةُ الْحَبْرِ ﴾ [الكهف: ٢٨] ، ثم أمره تعالى بأن يجنب مخالطة الغافلين وطاعتهم فقال : ﴿ وَلَا تُلَاقَ مَنْ أَغْلَقَ قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] ، وقد حذرنا ربنا عز وجل كذلك من الركون إلى الظلمة ومخالطتهم ، وهذا يشمل العصاة المجاهرين بالعصيان كذلك ، فرؤيتهم تفسى القلوب ، كما أن رؤية الصالحين تذكر بالله ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود: ١١٣] .

#### ٥ - هذنة مع العيين .. أغمض عينيك .. أرح بصرك :

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠] ، وفي الآية التي تليها مباشرة : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١] ، والنظر إلى المتبرجات يفت عزم القلب .. يشتت القلب ويهلكه لأنه سم ، وإطلاق البصر سبيل لحصول الظلمة في القلب ، كما



أن غرض البصر سبيل لحصول النور والبصيرة في القلب ، ولذا جاءت آيات النور بعد آيات الأمر بغض البصر ، وليس غرض البصر عن النساء فقط ، وإنما كذلك غرضه عن النظر إلى متاع الدنيا الذي يُنسى ويُلهي ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَمْلِكْ عَيْنُكَ إِنْ مَا مَتَعْنَا بِهِ أَرْزَاقًا مِنْهُمْ زُخْرًا لِّلْغَيُورِ الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ فِيهِ وَيُؤْتُونَكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه : ١٣١] .

لأبد من راحة للبصر لكي تنطلق البصيرة ، وسبيل ذلك أن يسلك بيتك ولا تنطلق في الشوارع ، اشغل نفسك ببعض الطاعات : لا تعبد وقتا للخروج ، واشغل بصرك بالنظر في المصحف ، لا ترى أحدا .

### الوصية الرابعة : عمل هدية مع الأرحام والوالدين :

إن شعورك - مجرد شعورك - أن كل الناس يحبونك ويعجبون بك . مجرد شعور أنك ليس لك أعداء ولا أحد يحقد عليك . هذا الشعور بمجرد جلب راحة نفسية وهدوءا قلبيا وراحة ضمير ، وراحة بال مطلوبة يحتاج الإنسان إليها . وأنت أخرج لأن تستشعر هذا الأمر من المحيطين بك ، وأقرب الناس إليك ، أن ترى رضاهم عنك وسرورهم بك وحبهم لك ، إننا نطلب هذا لا لنعجب بأنفسنا ولا طلبا لراحة قلوبنا فقط وهدوئنا النفسي فحسب ولكن : نستطيع أن نجمع الهم ويسكن روح القلب ، كي نعبد ربنا كما ينبغي . . إن الأجواء الإيمانية تسم بالهدوء والسكينة واللطف . . والاستقبال رمضان كما ينبغي لأبد من تهيئة هذه الأجواء ، ولكن كيف ؟ . .

الإحسان إلى الجميع . . إراحة الجميع . . ولو على حساب نفسك . . مسامحة الكل والتنازل عن الحقوق ، وأداء جميع الواجبات تجاه الجميع ، ابتداء كل ما تستطيع لعقد هدنة مع كل من حولك من الأقارب .



طاعة الوالدين فرض واجب ما لم يأمر بمعصية الله ، فيجب عليك طاعتهم والإحسان إليهما والبر بهما ، ولا بد أن تصل رحمك وأن تحذر من قطع الأرحام ، قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] ، يعني واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحِمَ ، حَتَّى إِذَا فُرِغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقُطْبَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْمِكَ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَهُوَ لَكَ»<sup>(١)</sup> ، ومن وصل رحمه وصله الله ومن قطعها قطعه الله ؛ لذلك لابد من زيارة الأرحام والسؤال عنهم ومساعدتهم إذا استدعى الأمر ، كي يصلك الله برحمته في هذا الشهر الكريم ، فابدأ شهرك بصلة رحمك . قال سبحانه : ﴿وَمَا يَكُنْ لَكُمْ مِنَ الْفَرْقِ حَقٌّ وَالْمُسْكِينِ وَالنَّسِيلِ وَلَا يُؤْتَرُ بِزَيْرٍ﴾ [الإسراء: ٢٦] فلهؤلاء حق وليس تفضلاً منك يا مسلم .

وإذا كان حق المسلم على المسلم ست ؛ فإن ذا الرحم يزداد حقه على ذلك بصفة الرحم ، والوالدان حقهما أعظم ، ولا بأس من حمل شيء من الهدايا ، والهدية تذهب وخر الصدر ، الهدية تكون سبباً في المودة ، قال رسول الله ﷺ : «مُحَادُوا مُحَابُوا»<sup>(٢)</sup> .

**الوصية الخامسة : فعل هدية مع النفس لترك الذنوب والمعاصي**

**والسببات :**

(١) هدية في الحرب مع الله :

قال سبحانه : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٢) .

(٢) أخرجه البيهقي (١٦٩/٦) ، رحمه الألباني (٣٠٠٤) في «صحيح الجامع» .



الْظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، حاول أن تعقد اتفاقاً مع نفسك لكي تكف عن الحرب بترك الذنوب والمعاصي تماماً . . ابدأ فوراً بإقامة العهد مع النفس بالإقلاع عن الذنوب ، والتوبة إلى الله جل جلاله .

ولا بد أن تكون هذه التوبة نصريحاً ، بأن تكون شاملة لكل الذنوب ، وأن تندم على كل ما عملت ، وأن تعزم وتنوي ألا ترجع إليها مرة أخرى . والتوبة واجبة من كل ذنب ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ قَرِيبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] ، وتأمل كيف أمر الله المؤمنين جميعاً بالتوبة وعلق عليها فلاحهم فقال تعالى : ﴿وَنُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [التوبة: ٢١] .

لا بد أن نعاهد نفسك على ترك المعاصي والسيئات ، لا بد أن تتوب ، وإن لم تتب فأنت ظالم بنفسك كلام الله جل جلاله ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُوبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١١] ، ولا بد أن تتخلص من إصرار النفس على الذنوب ، فإن الإصرار على الذنب ذنب آخر .

(٢) البعد عن أسباب المعاصي ، فلا بد أن تخلق باب المعصية عن نفسك ، ابتعد عن أماكن الاختلاط ، ابتعد عن التلفاز ، ابتعد عن قراءة المجلات والجرائد التي تدعو إلى الفتن ، ابتعد عن كل سبب من أسباب المعاصي ، حتى تحافظ على إيمانك ، فإن للمعصية ظلمة في القلب وسواداً في الوجه ويغصاً في قلوب الخلق .

لماذا تضع نفسك بين الفتن ثم تحارب لتنجو منها .

ولماذا تقترب من أسباب المعصية مع علمك بأن أسلم طريقة للنجاة من الفتن البعد عنها ؟ ، وأنت تعرف حديث قاتل العثة كيف أمره رسول الله ﷺ بترك أرضه التي كان يعيش فيها ؛ لأنها أرضى سوء . . أسباب المعصية فيها



متوفرة ، وأمره أن يذهب إلى أرض كذا وكذا ؛ لأن فيها غوماً صالحين ليعبد الله معهم ، فأمره بالبعد عن سبب المعصية ، والاقتراب من سبب الطاعة .

(٣) العزم على عدم العودة ؛ أن تنوي نية حقيقية صادقة ألا تعود إلى الذنب ؛ لأن في الرجوع إلى الذنب هلاكك ؛ لأنه قد يكون في رجوعك إليه سقوطك من عين الله . . إنك إذا رجعت إلى الذنب قد تمرت عليه فتلقى الله عاصياً ، فانهض إلى طاعة ربك وأتبع السيئات الحسنيات ، ولا تلتفت بقلبك إلى الذنب ، واحذر أن تقع فيه ؛ بل احزم على عدم العودة إليه أبداً .

**الوصية السادسة : هدنة مع طول الغياب خارج المنزل وكثرة الارتباطات  
والمواعيد واللقاءات :**

ابداً في التقليل من الخروج وكثرة الارتباطات والمواعيد واللقاءات . .  
تفرغ في رمضان لعبادة ربك ، لمعالجة نفسك والعمل على تهذيبها ، أنت في فترة عناية مركزة للقلب ، لحافذا تكثر الخروج من البيت ؟ ، تشتري كذا وتزود فلاناً وتكلم فلاناً ، يمكنك أن تشتري حاجيات رمضان قبل دخوله حتى لا تشغل بغير العبادة ، يمكنك أن تشتري ملابس العيد قبل دخول رمضان وتتركها حتى العيد ، الأشياء الأخرى التي تريدتها في العيد اشتريها من الآن .  
سأل عقبه بن عامر رسول الله ﷺ عن النجاة فقال : « أمسك عليك لسانك ، وليسمك ببتك ، وأبك على خطيئتك »<sup>(١)</sup> . .

**الوصية السابعة : هدنة مع كثرة النفقات والتبذير :**

شُرع الصيام للتقليل من الطعام والشراب ؛ ولكن للأسف الشديد تجد الناس ينفقون في الطعام والشراب في رمضان ما لا ينفقون في غيره !! والتبذير

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٦) ، وصححه الألباني (٢٧٤١) في « صحيح الترغيب والترهيب » .



ليس من أخلاق المؤمنين ، بل هو من صفات الشياطين ، قال تعالى : ﴿وَلَا يُذِرْ تَبَذُّرًا ۖ إِنَّهُ الْقَيْدِيُّ ۚ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾<sup>(١)</sup> [الإسراء: ٢٦-٢٧] ، وقد أمرنا ربنا بالاعتدال في الإنفاق وحرم التبذير فقال : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَمْسُجْهَا كُلَّ الْيَسْرِ فَنُفَعَدَّ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾<sup>(٢)</sup> [الإسراء: ٢٩] ، **ويمكن أن تتفق مع الأسرة على أمور :**

### (١) الاتفاق على صدقة :

والصدقة برهان على صدق المرء في إيمانه ، قال رسول الله ﷺ : «الصدقة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»<sup>(١)</sup> ، فاتفق على أن تصدق كل يوم ولو بشيء قليل ؛ فإن الله يضاعفه ، قال رسول الله ﷺ : «إن الله يقبل الصدقة من أحدكم فيريها له كما يري أحدكم مهره حتى تكون اللقمة مثل الجبل»<sup>(٢)</sup> ، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها لما سألتها رسول الله ﷺ : «ما بقي من الشاة؟» ، قالت : كنفها ، قال ﷺ : «بقيت كلها إلا كنفها»<sup>(٣)</sup> ، تصدق أنت مرة ، وأعط زوجتك هي الأخرى ، وأعط ولدك يتصدق ؛ لكي يعود على العطاء والبذل ، والله يضاعف لمن يشاء .

### (٢) إفطار الصائمين :

اجتهد أن تُفطر صائماً أو صائمين أو ثلاثة أو عشرة كل يوم قدر استطاعتك ؛ فإن لك مثل أجره كل يوم ، قال رسول الله ﷺ : «من فطر صائماً قلة مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء»<sup>(٤)</sup> ، أبوم مع الله عقد

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) . (٢) أخرجه مسلم (١٠١٤) .

(٣) أخرجه أحمد (٥٠/٦) ، وصححه الألباني (٢٥٤٤) في «السلسلة الصحيحة» .

(٤) أخرجه أحمد (١١٤/٤) ، وصححه الألباني (٦٤١٥) في «صحيح الجامع» .



تأمين على الصيام ، هل تريد أن يكتب لك رمضان ستمائة يوم ؟ ، الأمر يسير جداً ، ما عليك إلا أن تفطر كل يوم عشرين صائماً فتكون في خلال ثلاثين يوماً قد فطرت ستمائة صائم ، فكتب لك رمضان ستمائة يوم .

### ٣- إطعام المساكين :

قال الله تعالى : ﴿وَيُطْلَبُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا﴾ [الإنسان : ٨] ، وإطعام الطعام قرينة يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى ، قال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام»<sup>(١)</sup> ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفطر كل يوم مع المساكين .

### ٤- مساعدة المحتاجين :

ثريد ضالاً ، نعين ضعيفاً في طلب حقه ، نؤازر مسكيناً ، ننصر مظلوماً ، من احتاج شيئاً تنبته له . ذهب جماعة إلى الحسن البصري في حاجة فقال : مروا علي فلان في المسجد وخذوه معكم ، فذهبوا إليه فقال : إني معتكف ، فقال : ارجعوا وقولوا له : يا أعشى ، أما علمت أن مشيك في حاجة أخيك حتى تشنها له خير من اعتكافك ، وقال رسول الله ﷺ : «والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه»<sup>(٢)</sup> .

### الوصية الثامنة : هدنة مع العقول والقلوب من التفكير والتدبير للدنيا :

الدنيا لا تستحق أن تفكر فيها ، الدنيا أهون من ذلك ، وأحق من أن تشغل بها وتدبر لها ، لذلك اجعل تفكيرك كله في الآخرة :

(١) أخرجه أحمد (٤٥٦/٥) ، وصححه الألباني (٥٦٩) في «السلسلة الصحيحة» .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) .



(١) فكر في حسنة جديدة نعملها ، ابحث عن عبادة مهجورة لتقوم بها ، ابحث عن ذكر مهجور لا يقوله كثير من الناس أو لم تقله أبداً واذكر الله به ، فكر كيف تجمع الحسنات وتذخر الأجر عند الله جل جلاله .

(٢) فكر في خدمة المسلمين كيف تخدمهم ، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يحلب للحبي شياهم ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذهب إلى عجوز مقعدة ضعيفة ليخدمها ، فوجد أن رجلاً سبقه إليها قد نظف بيتها وأزال عنها الأذى وملاً لها آنياتها ، فتعجب من هذا الذي سبقه إليها وقام بهذا فوجد أنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه !! كانوا يتسابقون في خدمة المسلمين وبذل الخير لهم .

(٣) التفكير في خدمة الدين : تفكر كيف تخدم دينك ، وكيف تبذل في سبيله ، تعطي شربطاً هدية ، تقوم بإلقاء موعظة ، تهدي كتيباً ، تدعو رجلاً لترك التدخين ، وتدعو آخر للمحافظة على الصلوات ، تقوم بعمل مجلة حائط ، تقوم على حلقة لتحفيظ القرآن وتجويده . . وتفكر في خدمة دينك ، وديننا يحتاج إلى كل يد تكتب عنه وقدافع عنه ، وإلى كل لسان يبين عظمتة وحقيقته للناس ، وإلى كل قلب ينبض بحبه .

(٤) التفكير في لذة أخروية : تفكر كيف تفوز غداً بالجنة ، كيف تستشعر قرب الله إذا ذكرته ، كيف تحقق الخشوع في الصلاة ، كيف تخلو بربك في ساعة النزول الإلهي ، تبكي بين يديه وتتضرع إليه ، فتشعر بقربه منك وقربك منه ووجهه لك ، قيل للحسن : مالنا نرى أهل الليل أحسن الناس وجوهاً ؟ قال : خلّوا بالرحمن فالبسهم من نوره .

### الوصية التاسعة : هدنة مع استهلاك الأعضاء :

في رمضان أرح عينيك بعدم التطلع إلى الدنيا ، بعدم النظر إلى



المتبرجات ، تريحها بالنظر إلى كلام الملك جل جلاله ، تريح عينك من عناء الذنوب ، وتريح أذنك من ضجيج الكلام وصخب الهموم والغموم . . تريح أذنك من سماع الغيبة والنميمة والكذب ، تريح أذنك من سماع الأغاني ، وتريح رجلك من كثرة الانتقال هنا وهناك بغير فائدة ، تريح رجلك بالاستقرار في بيتك أو مسجدك ، تريح رجلك من كثرة السعي لتحقيق ما لا فائدة من وراءه .

وتريح عقلك من هموم الدنيا وتكدها . . تشغل بالطاعات والأذكار والاستغفار فلا يبقى عندك مكان لهذه الهموم التي تنخر في جسمك وتؤذبك ، وتريح معدتك بعدم دس الطعام فيها على الدوام ، بل تبقى في نهار رمضان خالية مستريحة ، تريحها من ثقل الطعام ، وتريح أمعائك كذلك ، تريح قلبك من التعلق بالبشر والتعلق بالأسباب والانشغال بغير الله ، اجمع همك وأرح جوارحك تستمتع بحب الله .

### الوصية العاشرة : هدنة مع الهموم :

أريدك أن تطرح الهموم عن صدرك . . لا تشغل ذهنك بها ، فهذا رجل طلب منه أولاده ملابس المدرسة ، وكتب المدرسة ، وكوارييس المدرسة ، فلم يدر من أين يأتي بالمال لكي يشتري لأولاده ما يريدون ، وظل الهم في صدره ، ونام وعقله مشغول بذلك ، ولكنه استراح من ذلك الهم فجأة ، أتدرون ماذا حدث ؟ ، مات . . واحة أبدية من هذه الدنيا . . لذلك أقول : والله . . إن هذه الدنيا لا تستحق أن تقتل نفسك من أجلها .

**لذلك :** اجعل الهم همًا واحدًا ، وهو رضا الله سبحانه وتعالى ، اجعل هذا همك : أن ترضي الله وحده ، فلو رضي عنك لئالك كل خير وبركة



وفضل ، هذا الهم لا يؤجل وجميع الهموم تؤجل ، فليكن همك في رمضان هو  
عتق رقبتك من النار ، والفوز برضوان الله عز وجل .

إذا كانت هذه الهدفة الثامة . . كانت الراحة الثامة . . فكان الاستقبال  
لرمضان بحفاوة بالغة . . وبداية موفقة . . وعناية مركزة . . فنعيش رمضان . .  
هيا :

• كيف نعيش رمضان ؟ •

\*\*\*

ياقوب  
yaqob.com





كَيْفَ

تَعْلَمُ لِمَضَانِكَ

بِرُتَابِجٍ عَمَلِيٍّ

لِلْحِفَاظِ عَلَى

الْإِشْرَاقَةِ الْإِيمَانِيَّةِ





## كيف تعيش رمضان ؟

### أيها الأحبة في الله ..

كيف يعيش المسلم يوماً من أيام رمضان ؟ ، يأتي هذا الكلام ؛ لأن الأمة - وللأسف الشديد - لم تذوق طعم رمضان منذ أن ذاق طعم الهزيمة ، منذ أن عاشت معنى الذل للأعداء ، منذ أن تحيطت وتفلونت ولم تذوق طعم النصر ولم تتوجه إلى الله عز وجل وحده ، ولو صامت الأمة يوماً كما ينبغي منذ جرى لها ذلك ؛ لتغيرت ، ولو تغيرت لغير الله حالها ، قال تعالى : ﴿إِنَّكَ أَنتَ أَكْبَرُ مَا يَقْوَرُ حَقٌّ يَقْوَرُوا مَا يَأْتُسِيهِمْ﴾ (الرمح: ١١).

ولكي تعيش رمضان كما ينبغي وفنصنع فيه صناعة الرجال ، فلا بد من السير على الخطوط الرئيسية الآتية :

### أولاً : تحديد الأهداف :

أيها الإخوة ، إننا بحاجة إلى تحديد الأهداف التي تدخل بها رمضان ، ثم رسم الطريق لتحقيق هذه الأهداف ، ثم وضع خطة للتقويم . . تقويم العمل ، ثم متابعة تحصيل الثمار . إن الناس اليوم إذا أراد أحدهم أن يقوم بمشروع يستثمر فيه أمواله ؛ فإنه قبل كل شيء لابد أن يقوم بعمل دراسة جدوى ، وقبل أن يجتمع المجتمعون في أي اجتماع ذي شأن لابد أن يضعوا برنامج عمل أو جدول أعمال ، هذا في صرف أهل الدنيا ، هذا أصلي عندهم ، أفلا يكون هذا أصلاً عند أهل الآخرة ، لاسيما وهم يطلبون أعلى شيء وهو الجنة ؟ فهم بهذا أولي .

**نعم والله :** أهل الآخرة أحق أن يقوموا بعمل دراسة جدوى لصيام



رمضان ، هل ستكون له نتيجة حقيقية ، هل سيكون له ثمرة فعلية ، وما المطلوب أن أعمله لكي تأتني الثمرة المرجوة . . . إن من يريد تقويم عمله ؛ ينظر في ثمرته أولاً بأول ، إذا فلا بد أن نقف في كل ليلة من رمضان مع أنفسنا لننظر ، ولأن لله في كل ليلة عطاء من النار ؛ فلا بد أن يكون في كل ليلة وقفة ؛ هل أنا في هذا اليوم كنت ممن أعتق ، وماذا أفعل لأتدارك ما فات من عتق ومغفرة ، اللهم اعتق رقابتنا من النار يارب . . .

**أيها الإخوة ،** لكي تعتق رقابتنا من النار ، فلا بد من تحديد الأهداف ، لا بد من رسم خطة العمل ، ووضع الوسيلة للوصول إلى هذه الأهداف ، ووضع نموذج لتقويم العمل وتحصيل الثمار ، وأولاً إليكم الأهداف :

### **الهدف الأول : تشوق القلب للرحمة :**

لا بد أن نهدف لأن يتال قلبك رحمة الله ، ولا بد أن يسمو ، ويتمنى ، ويرجو ، ويحب ، ويأمل أن يتال من الله رحمة كما قال النبي ﷺ : « لن يدخل أحدكم الجنة عمله » ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ ، قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغفلني الله برحمته »<sup>(١)</sup> ، سبحان الله ١١ ، حتى رسول الله ﷺ الذي هو رسول الله . . . حبيب الله . . . إمام الخلق . . . وحبيب الحق محمد ﷺ لن يدخل الجنة إلا برحمة الله .

إذا فانت محتاج لأن تُرحم ، وعندما يتزعج قلبك لطلب الرحمة ؛ هنا ستزول عليك - إن شاء الله - رحمة الله ، وخصوصاً أن الله في كل ليلة من رمضان رحمة يختص بها من يشاء من عباده ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْهِ تَذَكُّرًا فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنََّّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْغَالِبِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الإنسان : ٢٩-٣١] .

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٣٤٩) ، مسلم (٢٨١٦) .



### الهدف الثاني : استحضار نية المغفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة :

قال رسول الله ﷺ : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(١)</sup>، هذا الحديث يحتاج إلى وقفة .

ينبغي أن نتنبه لتلاحظ أن النبي ﷺ اشترط أن تصوم إيمانًا واحتسابًا، فهل أنت تصوم إيمانًا واحتسابًا ؟

هل تعرف بداية ما معنى إيمانًا واحتسابًا ؟ ، لعلك تصوم كما يصوم الناس فتمتنع عن الأكل والشرب والجماع من الفجر حتى المغرب ، إذا أذن المغرب تفطر وإذا أذن الفجر تمسك «أثوماتيكيا» ، أين النية ؟ ، أين الاحتساب ؟

إن من العجيب أن تجد بعض الناس يتسامل : هل لابد أن تنوي لصيام رمضان؟ ، أقول : نعم ، لابد أن تبيث النية ، قال رسول الله ﷺ : « من لم يبيث الصيام من الليل فلا صيام له »<sup>(٢)</sup> ، لابد من النية .

دعك من هذه الآلية في الحياة ، قد يقال : سمعت بعض الناس يقولون : السحور نية ، أقول لك : نحن لا نأمرك أن تقول : نويت أصوم يومًا من أيام رمضان فرضًا عليّ لله العلي العظيم ، هذا بدعة ، لكن الذي أريد : أن يستحضر قلبك أنك ستصوم لله .

لماذا ؟ إيمانًا : يعني امتسلاقًا للملك سبحانه وتعالى ؛ يارب ، أمرتني أن أصوم فصمت .

واحتسابًا : أن تحسب الأجر عند الله .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٨) ، مسلم (٧٦٠) .

(٢) أخرجه البيهقي (٢٠٢/٤) ، وصححه الألباني (٦٥٢٥) في « صحيح الجامع » .



وقد أرفقتني هذه المسألة في حيرة مدة من الزمان ، واستشرت فيها كثيرًا من المشايخ وهي : هل الاحتساب شرط لحصول الأجر ؟ ، أي لو أن رجلًا جلس في المسجد دون أن يستحضر نية الاعتكاف ونزول الرحمة وغير ذلك من النوايا ؛ فهل هذا ليس له أجر ؟ ، والراجع أنه ليس له أجر ؛ لقول النبي ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى »<sup>(١)</sup> ، وهذا لم ينو شيئًا فليس له شيء .

فلا بد أن تستحضر في كل عمل نية الاحتساب والاستسلام لأمر الله .  
يا رب ، تركت هذا لأجلك ؛ لأحتسب عندك الأجر . . . عندما تغمرك هذه النية وتملأ قلبك ؛ حينها تحصل على الأجر ؛ لذلك لا بد من استحضار نية المغفرة للذنوب المضاعمة والمناخرة ، كي يفقر لك ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنك مطالب أن يكون قلبك بقضاء دائمًا متحفزًا سعيًا مجيئًا لأوامر الشرع .

### الهدف الثالث : سمو الروح للمعق من النار :

لا بد من استشعار معنى المعق ، أن تستشعر أنك قد تكون فعلاً من أهل النار .

• تصدق يونس بن عبيد يوم أصبح بلحم كثير ثم قال لغلامه :  
والله ما أراه يتقبل مني شيئاً ؛ وإني والله أخش أن أكون من أهل النار .  
قال الإمام الذهبي في السير : كل من لم يخش أن يكون من أهل النار ؛ فهو مغرور قد آمن مكر الله به .

(١) أخرجه البخاري (١) ، ومسلم (١٩٠٧) .



فلا تأمن من أخي مكر الله وخصوصاً أنك كثير المكر واحذر أن تكون من أهل النار وأنت لا تشعر .

ولا بد للتخلص من هذا أن تعتق رقبتك من النار ، فإذا كان لله في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار ، فما أشد خسارتك إذا مرت عليك ليلة واحدة من رمضان ولم تعتق ، وإذا علمت خطر النار وشدة حرها ، وشدة عذابها ، لهان عندك أن تقدم الأعمال الصالحات لكي تكون سبباً لعتقك منها ، لو عرفت النار وأدركت خطرها وعرفت أن أمامك فرصة للعتق منها ؛ لبذلت الغالي والنفيس للحصول على هذا العتق ، ولصار هذا الأمر همك طيلة الشهر ، اللهم أعتق رقابتنا من النار يا رب .

#### **الهدف الرابع : سمو الروح للارتفاع عن كثافة المادة وهم الفرج والبطن :**

يقول ابن القيم في كتاب «زاد المعاد» في الطب النبوي : « إن الصوم جُنة من أدواء الروح والقلب والجسد ، وجنة يعني وقاية » ، فلذلك لابد أن تنوي بالصيام أن يشفى قلبك من حب الدنيا ، وتجعل ذلك هدفاً لك في الصيام ، وتسامى روحك عن هم البطن والفرج . . عن الطين . . عن الأرض . . عن غذاء الجسم . .

#### **الهدف الخامس : إقامة حاكمية الله على النفس :**

إن الإنسان في حياته العادية يعيش في غفلة شديدة غالباً ، يتابع نفسه في كل ما تشتهيه : نطلب نفسه الطعام فيأكل ، وتشتهي الشراب فيشرب ، وتنزع إلى الخروج فيخرج . . وهكذا . . فتستأسد النفس وتطحن ، فإذا جاء رمضان ومنعها الإنسان ملذوذ مباحها ؛ فينبغي على الإنسان استشعار هذا المعنى : إقامة حاكمية الله على النفس .



يعني : أن يُشعر نفسه أنها ليست الأمرة الناهية العاطفية المستولية ، إنما هي أئمة مأمورة خادمة مطيعة متفادة للملك الكبير سبحانه يقول : كُلْ سَاعَةً كَذَا واترك ساعة كذا فتسمع وتطيع وليس لها أن تخالف . . إن استشعار هذا المعنى وإذاعة النفس مرارة الذل والطاعة المطلقة لله وأنها لا تطاع بل تطيع ، وإنها يجب عليها أن تستجيب لكل ما تؤمر به غاية وهدف من رمضان وفرض صيامه ودوام ذلك لمدة ثلاثين يومًا ، وينبغي أن يرصد هذا الهدف لتخرج به من هذا الشهر الفضيل .

### الهدف السادس : إقامة دستور الأخلاق :

قال بعضهم : الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ، وشهر رمضان شهر التقوى . . شهر الأخلاق ، قال رسول الله ﷺ : « الصوم جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يزقث ، ولا يفسق ، ولا يتغضب ، ولا يجهل ، وإن سابه أحد أو قاتله فليقلل إني صائم »<sup>(١)</sup> .

المحافظة على دستور أخلاق الإسلام شهرًا كاملًا بالآلا يلفظ يلفظ يخالف الشرع ، وأن يتحكم في انفعالاته ، ويتذكر دومًا تلبسه بالعبادة بقوله لمن قاتله : « إني صائم » ، مدرسة تربية عظيمة ، نجعلها مدخلًا نخرج به من رمضان .

### الهدف السابع : التدريب على المداومة :

قال رسول الله ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »<sup>(٢)</sup> ، ولذلك كان عمله ﷺ ديمة . إن آفة الأعمال الانتقطاع والاستحسار وترك العمل ، وفي

(١) أخرجه أحمد (٣٠٦/٢) ، وصححه الألباني (٩٧٨) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٦١٠٠) ، مسلم (٧٨٢) .



هذا الشهر تدريب النفس على أن نستمر على العمل الصالح ، فهذه ثلاثون يومًا صيامًا ، وثلاثون ليلة قيامًا ؛ نتألف النفس العمل فتستمر عليه دائمًا .

هذه بعض الأهداف ، وهناك حوالي خمسة وعشرين صنفًا من الأهداف ، وإنما نختصر اختصارًا ، هذه هي الأهداف إخوتاه ، فما هو الطريق لتحقيق هذه الأهداف؟

### ثانيًا : الطريق لتحقيق الأهداف :

أيها الإخوة ، لابد من إعداد العدة ، ويكون ذلك بما يلي :

\* أولاً : تقليل ساعات النوم .

\* ثانيًا : تقليل كمية الأكل ما أمكن .

\* ثالثًا : تقليل الكلام .

\* رابعًا : تقليل الخلطة بالبشر .

يعني إجمالاً : التخلص من سحوم القلب الضارة . إن البرنامج الذي ستضعه لتحقيق هذه الأهداف لن يستطيع أن يقوم به من ينام في الليلة عشر ساعات أو ثمان ساعات أو ست في رمضان ، إنما يكفيك في رمضان أن تنام أربع ساعات ، وأنا وأنت نعرف أن كثيرًا من أهل الدنيا ينامون أقل من ذلك ، مثل أي طالب في الثانوية العامة كم ساعة ينامها أيام الامتحانات ؟ ، تجده يقول لك : ساعتين على الأكثر ، هذا واقع .

وهذا كله من أجل الحصول على شهادة الثانوية العامة ، وأنت تريد الجنة ، فأنتما أغلى ١٩ ، كم ندفع لندخل الجنة ؟ ، إننا لا نريد منك غير التضحية بيسير من النوم والطعام والكلام والاختلاط ، ضح . . وإن لم تضح في رمضان ؟ فلن تضحي أبدًا . . أليس كذلك ١٩ ؟



لا بد أن تصحّي بشيء من النوم ، ستكفي فقط بأربع ساعات من النوم في اليوم والليلة ، وعشرون ساعة شغل مع الله ، إذا كان عندك استعداد فهي شمر عن مساعد الجّد ، وإلا فلا تترخ مكانك ، وانتظر مال اللاعبيين .

هذه الأهداف التي ذكرناها أهداف غالية ، وبهذا تصنع الأمة في رمضان ، وإن لم تصنع بهذا في رمضان فأبداً لن تكون ، إننا بحاجة إلى تجربة : هل أمّتنا تصلح للتمكين أم لا ، فهي لبدا البرنامج بإذن الله ، ولكن هل أنت مستعد لأن تبذل ، هل أنت مستعد لأن تصحّي بعمرك كله ؟ ، استعن بالله وقل : نعم . . . إن شاء الله .



ياقوب القوي  
yaqob.com

رَقِيحَانِيَا صَلَامٌ

خَطَّةُ النُّوحِ الرِّضَايِ

وَتَهَيَّئَةُ الرَّقِيَّةِ لِلْعُنُقِ





## خطة اليوم في رمضان

### يوم في حياة صائم :

بداية : بركة اليوم .

التبكير إلى صلاة الصبح وسماع الأذان في المسجد :

والتبكير له فضل ، وله بركته ، ولكن للأسف الشديد ! نجد كثيرًا الناس ولا سيما الإخوة الملتزمين لا يبكرون إلى المسجد إلا بسبب أن شيئًا مشهورًا سيمعون إليه ؛ فيضطر للتبكير ليراه وليقترب منه وليصافحه ، ولكنه لا يبكر لوجه الله ، أما المسجد الذي يصلي فيه في حيه فإنه يتأخر عن صلاة الجمعة والجماعة ، يأتي في نصف الخطبة ، أو يجلس قريبًا من الباب ؛ لتكون مغادرته للمسجد سريعًا بعد انتهاء الخطيب ، أسأل الله أن يهدينا ويهديهم ويتوب علينا وعليهم .

**أيها الإخوة ، انتبهوا .** نريد أن تبكر إلى صلاة الصبح ، ونسمع الأذان ونحن في المسجد ، وهناك فوائد كثيرة للتبكير إلى المسجد وانتظار الصلاة منها :

(١) ترديد الأذان والدعاء بعده .

(٢) المحافظة على صلاة الجماعة .

(٣) المحافظة على تكبيرة الإحرام .

(٤) إدراك الصف الأول ، قال رسول الله ﷺ : «لو يعلم الناس ما في

النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا»<sup>(١)</sup> ، وقال

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٠) ، مسلم (٤٣٧) .



النبي ﷺ : «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها»<sup>(١)</sup> ، سبحان الله ١١  
تصلي في الجماعة الأولى في المسجد وتكون من شر صفوف الرجال ١٩ ؛  
فلذلك ينبغي أن تسارع إلى الصف الأول .

قال النبي ﷺ : «إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول»<sup>(٢)</sup> ، وكان  
النبي ﷺ يستغفر للصف المتقدم ثلاثاً ، وللصف الثاني مرة<sup>(٣)</sup> ، ثم يسكت  
ويبلغت ويصلي .

لذلك فإن مسألة الاحتساب تحتاج إلى بحث ، أبحث عن فضائل الأعمال ،  
وهناك كتاب في فضائل الأعمال للمقدسي أرجع إليه تجد خيراً كثيراً بإذن الله .

(٥) إدراك ميعة الصف ، قال النبي ﷺ : «إن الله وملائكته يصلون على  
ميامن الصفوف»<sup>(٤)</sup> .

(٦) إدراك التأمين وراء الإمام في الصلاة الجهرية ، قال النبي ﷺ : «إذا  
قال الإمام : ولا الضالين فقولوا آمين» فإن من وافق قوله قول الملائكة ؛ عُفِر له  
ما تقدم من ذنبه»<sup>(٥)</sup> .

قلت : يا للخيبة إن لم يغفر الله لنا ؛ لأنها مسألة سهلة جداً أنك بمجرد  
قولك : آمين متضبطة خلف الإمام مع الإمام يغفر لك فداً يسعك ١٩ ،  
والعوود بمغفرة الذنوب المتقدمة كثيرة جداً ، فبعد هذا كله إذا لم يغفر لك

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٨/٤) ، وصححه الألباني (٤٩٣) في «صحيح الترغيب  
والترهب» .

(٣) أخرجه أحمد (١٢٦/٤) ، وصححه الألباني (٩٠٨٣) في «صحيح الجامع» .

(٤) أخرجه ابن حبان (٢١٦٠) ، وحسنه شعيب الأرنؤوط .

(٥) متفق عليه ، البخاري (٧٤٩) ، مسلم (٤٦٠) .



فكيف ومتى يغفر لك؟ قال تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَلَنَا يَهْدَىٰ إِلَيْنَا وَمَنْ ضَلَّ فَلَنَا يَهْدِ عَلَيْنَا﴾ [يونس: ١٠٨]، وقال جل جلاله: ﴿مَنْ عَمِلَ سَلَامًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَءَ فَعَلَهَا وَمَا يَكُنْ بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

اللهم إنا نسألك الجنة يا رب .

(٧) التذكير إلى المسجد تمكّنك من الاتيان بالنوافل المشروعة بين الأذان والإقامة .

(٨) التذكير إلى الصلاة دليل على أن القلب معلق بالمساجد ، فمن السجدة الذين يظلمهم الله بظل عرشه «ورجل قلبه معلق بالمساجد»<sup>(١)</sup> ، فإنه إذا اقترب موعد الصلاة فذهب مسرعاً إلى المسجد ، قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه :

لي أربعين سنة لم يؤذن المؤذن لصلاة من الصلوات الخمس إلا وأنا في المسجد ، سبحان الله ، أربعين سنة يا من لا تقدر على أربعين يوماً ، إن للعمل الصالح ثواباً ولل مداومة ثواباً ، والقلب المعلق بالمسجد لا يفارقه ، بل يحب المكث فيه ويسارع بالعودة إليه .

(٩) التذكير إلى المسجد وانتظار الصلاة سبب لحضور القلب ، وإقبال المرء على صلاته ، وهذا الأمر هو لب الصلاة ، كلما طال مكثه في المسجد وذكر الله ، زالت مشاغله ومتعلقاته الدنيوية ، وأقبل على ما هو فيه من قراءة وذكر . فمهما كان عندك من الهموم والمشاكل في العمل ومع الأهل والزوجة ، فصل ركعتين «رَأْسُجَدَ وَأَقْرَبَ» [الماعق: ١٩] ، ستترفع عن الهموم الأرضية ، وتحلق في سماء الطاعة ، أما إذا جئت متأخراً إلى الصلاة فانك كل هذا الفضل والخير . فأقبل على الصلاة مبكراً ، واقعد بين الأذان والإقامة ، ليمحو الله همومك

(١) متفق عليه ، البخاري (١٣٥٧) ، ومسلم (١٠٣١) .



بالذكر والصلاة وإقبالك بكليتك على الله ، إن الذي يأتي إلى الصلاة متأخراً سيظل قلبه مشغولاً بما هو فيه من هموم الدنيا أثناء الصلاة ؛ ولذلك تلاحظ أن أول الناس دخولاً إلى المسجد هم آخر الناس خروجاً ، والعكس صحيح ، وما ذلك إلا لما ذكرته لك .

(١٠) المبكر إلى الصلاة يتمكن من قراءة القرآن بين الأذان والإقامة ، لقد ذكرت لك مراراً كيف نختم القرآن كل ثلاثة أيام ، وذلك بأن تبكر إلى الصلاة وتقرأ جزءاً قبل الصلاة بين الأذان والإقامة ، وبعد الصلاة تقرأ جزءاً آخر ، إذا قرأ في كل صلاة جزئين ، في الخمس صلوات تكون قد قرأت عشرة أجزاء ؛ فتختم القرآن في ثلاثة أيام .

(١١) يتمكن المبكر إلى الصلاة من الدعاء بين الأذان والإقامة ، قال النبي ﷺ : « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد »<sup>(١)</sup> ، وكذلك تتمكن من الإنشاد بأذكار الصباح والمساء بعد الصبح وقبل المغرب .

(١٢) إن من يأتي إلى الصلاة مبكراً يأتي غالباً بسكينة ووقار فيكون مثلاً لأمر النبي ﷺ فيحوز حبه ، قال ﷺ : « إذا أتيت الصلاة فلا تأتوها تسعون ، ولكن أتوها وأنتم تسعون وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فاتموا »<sup>(٢)</sup> ، وفي الرواية الأخرى : « إذا أتيت الصلاة أتوها بسكينة ووقار » ، من يأتي إلى الصلاة مبكراً يأتي ماشياً ، ومن يأتي متأخراً يأتي مسرعاً .

**هذه بعض نرائد التذكير إلى الصلاة ، والتذكير يكون في كل الصلوات ، ولكنني أخص بالذكر الفجر والمغرب ، وأحب أن أنبهك أن تستيقظ لصلاة الفجر لله وليس للعمل أو للسحور والأكل والشرب أو غير ذلك ، بل لله**

(١) أخرجه أحمد (١١٩/٣) ، وصححه الألباني (٢٦٥) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٦٠٩) ، مسلم (٦٠٣) .



وحده ؛ لأن الله تعالى قال في الحديث القدسي : «أنا أضئ الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً واشرك به خبيري تركته وشركه» أو «فهو للذي أشرك»<sup>(١)</sup> ، فالعمل قليله وكثيره إذا كان منه شيء لغير الله لم يقبله الله جل جلاله ، فقم الفجر لله ، ولا تقم لغير الله ، لأن الله لا يتقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه .

وأخرج إلى الصلاة لا تريد إلا الصلاة لتحصل على الأجر كاملاً ، قال رسول الله ﷺ «إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا ينزعه إلا الصلاة ، لم تزل رجله اليسرى نمحو سيئة ، وتكتب الأخرى حسنة حتى يدخل المسجد»<sup>(٢)</sup> .

في صلاة الفجر بعد أن تصل إلى المسجد صل ركعتين فقط ولا تزيد على ركعتين ؛ لأن النبي ﷺ نهى أن يصلن بين الأذان والإقامة في الفجر إلا ركعتي النافلة ، ثم استحضر الخشوع والسكينة وعليك بالدعاء ؛ لأن قرآن الفجر مشهود نشهده الملائكة ، والله سبحانه وتعالى يتزل في الثلث الأخير من الليل نزولاً يليق بجلاله حتى تنتهي صلاة الصبح .

وجهور المفسرين على أن المراد بقرآن الفجر في قول الله تعالى : ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء : ٧٨] ، أنه القرآن الذي يُقرأ في الصلاة ، لتهدئ بذلك قلبك لقرآن الفجر .

احتفظ بحرارة الخشوع بعد الصلاة ، وذلك بالمكث في المسجد أكبر فترة ممكنة بعد الصلاة ، لا بد أن تعتكف حتى الشروق وبعد شروق الشمس بعشرين دقيقة نصلي ركعتين .

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٦٢٠) ، مسلم (٦٤٩) .



**ماذا نصنع بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ؟**

**أولاً : تقول أذكار الصباح .**

**ثانياً : تقرأ وردك من القرآن .**

**ثالثاً : الكلمات الخمس .**

لا بد أن توطن نفسك على هذا ، على أن تمكث في المسجد أطول فترة ممكنة ، كان شيخ الإسلام ابن تيمية إذا قضى صلاة الصبح أقبل بوجهه إلى الحائط في محرابه حتى الضحى ولا يلتفت ويقول : هذه غدوتي إذا تركتها سقطت قوتي ، يعني هذا غذائي إن لم أفعله أموت .

**لذلك أقول لك :** إذا جلست في المسجد بعد صلاة الفجر فممنوع أن تتكلم ، ممنوع التعامل مع أحد ، ممنوع الانشغال بشيء غير الأذكار ، لا تلتفت ، لا تنظر إلى أحد ، وجه وجهك إلى الحائط ، وقل الأذكار ، واقرأ وردك من القرآن ، قال رسول الله ﷺ : « من صلى الفجر في جماعة ، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمره تامة تامة تامة »<sup>(١)</sup> ، **ولا تنس الكلمات الخمس** التي هي وصايا مهمة لا بد منها : المشاركة ، المراقبة ، المجاهدة ، المحاسبة ، المعاتبة ، والمعاقبة .

**أولاً : المشاركة :**

أن تشترط على نفسك وتقول لها : يا نفس ، إن معنا رأس مال وهو العمر ، ومعنا أدوات وهي الجوارح ، ومطلوب أن نتاجر مع الله ونحصل على أكبر ربح وهو الجنة ، فإن استطعت - أيها النفس - أن تأخذي رأس المال

(١) أخرجه الترمذي (٥٨٦) ، وصححه الألباني (٣٤٠٣) في «السلسلة الصحيحة» .



والأدوات وتعطيني بعد ذلك الجنة فعلت وإلا فلا ، فإذا استصعبت عليك نفسك فألزمها بالمكث في المسجد عقاباً لها . كان محمد بن المنكدر يجلس في المسجد يخاضع نفسه يقول لها : لماذا تحبين الخروج من بيت ربك ؟ ، تريدان أن تنظري إلى دار فلان ودار فلانة ؟ ، والله ليس لك إلا هذه العجوز ( يعني زوجته ) ، والله ليس لك طعام إلا هذه الكسرة ، وليس لك شراب إلا هذه الشربة من ماء المسجد ، أترضين أم تحبين أن نموتني ؟ ، يقول : فأراها تقول : رضيت . . رضيت ، فهكذا افعل مع نفسك ، لكن النفس مخادعة أمارة بالسوء توافقك ظاهراً ، وتريد أن تخالفك وترفض ما تشترط عليها ؛ فنأتي الكلمة الثانية وهي المراقبة .

### ثانياً : المراقبة :

راقب نفسك وكن رقيباً على تصرفاتك ، ولا تدع للنفس فرصة للتغلب منك ، إنك قد تخرج من المسجد فتقع عينك على امرأة متبرجة ، فتجاهد نفسك وتمنعها من النظر وتقول لها : ألم تشترط الجنة ؟ ، كان أحد السلف يعيش في الشارع فوقعت عينه على امرأة ؛ فضرب عينه حتى نفرت ( يعني تورمت ) وجعل يقول : مالي أراك تنظلمين إلى ما لا يحل لك . فراقب نفسك والجمها وامنعها مما لا يحل لها ، خذ بزمامها وخطامها وألزمها الصراط المستقيم ، ولا تغفل عنها لكي تتجو .

### ثالثاً : المجاهدة :

وأشد شيء جهاد النفس ، فهي مقيدة بقيد الجسم ، مقيدة في هذا الجسم ، ثم هي مقيدة بقيد العبودية ، ثم أنت ترعدها بقيد ثالث وهو قيد المكث في المسجد ، فالنفس تحتاج إلى مجاهدة ، وهذه المجاهدة لأبد لها من صبر وثبات أمام طغيان هذه النفس وتملصها ، جاهدها لكي لا تضيعك وتسير في طريق جهنم ، جاهدها ما استطعت .



### رابعاً : المحاسبة :

لا بد من محاسبة النفس ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَوْمَ تُجَدُّ حَكُلٌ نَقِيرٌ مَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ مُنْقَضُوا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَيَبْنَاهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَمُدُّكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [ال عمران : ٣٠] ، وقال سبحانه : ﴿إِنَّا أَنْذَرَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ : ٤٠] ، سترى عملك بعينك وتسمعه بأذنك ، لذلك يجب أن تجلس مع نفسك وتنظر في أعمالك لتصلحها قبل أن تراها يوم القيامة ، اكتب أعمالك وضعها أمامك ، وقل لنفسك : اتحيين أن تقابل ربك بهذه الصحيفة ؟! ، هل ستأخذين كتابك باليمين أم بالشمال ؟ ، هل هذا تدخلين به الجنة أم تدخلين به النار ؟ ، هل هذا يرضي الله عنك أم يسخطه عليك ؟ ، وهذا هو توبيخ النفس وزجرها ، لتعلم حقيقتها وقدرها .

### خامساً : المعاقبة والمعاقبة :

وذلك بأن تعاتب نفسك وتؤدبها وتعاقبها بأن تمنعها مثلاً من بعض المباحات تأديباً وزجراً ، وتهذيباً وتربية ، أو تعاقبها بأن تلزمها وتفرض عليها استغفار عشرة آلاف مرة وتمنعها من النوم ، تعاقبها بأن تأكل خبزاً جافاً بغير إدام وتشرب بعد الخبز ماء فقط . بعض السلف أراد أن يعالج نفسه من الغيبة فما استطاع أن يعالجها بعد أن جرب معها بعض العلاجات ، ثم عاقبها بأنه إذا اغتاب إنساناً تصدق ، فكلما اغتاب إنساناً تصدق ، حتى قال : فقلبي حب الدقائق فتركت الغيبة ، فعاقب نفسك لعلك تستطيع قيادة زمامها .

### تتمة الأعمال :

ثم بعد ذلك هناك صلاة الضحى فصلها ركعتين أو أربع أو ست أو ثمان ، ثم انصرف من المسجد ، إن كان ثمة وقت للتوم أو المضي إلى العمل فافض ، ثم المحافظة على الأذكار الموقفة كأذكار دخول المسجد والخروج



منه ، ودخول البيت والخروج منه ، أذكار النوم ، دعاء الأكل والشرب ، دعاء الركوب ، وعليك في هذا الشأن بكتاب حصن المسلم للقحطاني ، أو كتاب مختصر النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة<sup>(١)</sup> .

فإذا مضيت إلى عملك فاعلم أنك في عبادة من ساعة نويت الصوم عند طلوع الفجر ، كأنك دخلت الصلاة بتكبيرة الإحرام ؛ فإياك أن تلتفت بقلبك عن الله أثناء النهار .

**نعم :** إن نية الصيام عند الفجر بمثابة تكبيرة الإحرام ، فأنت منذ ذلك الوقت في هذه العبادة - أي الصيام - متلب بها ، فلا تنصرف بقلبك عنها ، فلا يصح أن تكون في عبادة وتكذب أو تغتاب أو تنم أو تنظر إلى امرأة متبرجة ؛ لذلك قال بعض السلف : أهون الصيام ترك الطعام والشراب ، وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : إذا صمت فليصم سمعك ، وبصرك ، ولسانك من الكذب ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء .

ليصم سمعك عن الحرام ، ليصم عن الأغاني والغيبة ، ليصم عن النفاق والنعيمة ، ليصم عن البذاءة والفحش ، ليصم عن السب والشتم واللعان ، ليصم سمعك عن سماع كل ما يغضب الله عز وجل ، وليصم بصرك عن النظر إلى النساء المتبرجات في الشوارع ، في المجلات ، في الأفلام والمسلسلات ، في الفوازير والمسرحيات ، في الإنترنت والقضائيات ، ليصم بصرك عن الحسد واحتقار الناس ، ليصم بصرك عن النظر إلى متاع الدنيا ، ليصم بصرك فلا يرى إلا الخير والنور . . لا يرى إلا القرآن . . لا يرى إلا صفحة الكون المنظورة التي تزيده إيمانًا و يقينًا وخوفًا وتعظيمًا لله جل جلاله .

(١) للشيخ محمد بن إسماعيل المقدم - حفظه الله .



إنك قد تجد بعض الناس يصوم عن الحلال ويفطر على الحرام ، يصوم عن زوجته الحلال ويفطر على النساء في الشوارع ، يصوم عن الطعام الحلال ويأكل لحم أخيه ميتا بالغيبة والنميمة وهو حرام ، يجلس أمام التلفاز فيرى النساء العاريات ويسمع الكذب والبذاءة ، إخواني ، انبهوا فإن المعصية في رمضان تختلف عن المعصية في غيره ، والطاعة فيه تختلف عن الطاعة في غيره ، فلاورقات المعظمة عظيمة وحرمة ، وقد قال الله تعالى في الأشهر الحرم : ﴿فَلَا تَقْلِبُوا فِيهَا الَّتِي حَكُمُ﴾ [التوبة: ٣٦] ، تعظيماً لهذه الأشهر .

لذا كان من علامات التوفيق إقبال الطاعات وإدبار المعاصي ، ومن علامة الخذلان إقبال المعاصي واستقبال الطاعات ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا وَادَّخَرُوا ثَمَنِي وَأَتَيْنَهُمْ ثَقُوتُهُمْ﴾ [محمد: ١٧] .

### شهر القرآن :

ثم اتبه إلى أن رمضان شهر القرآن ، فينبغي أن يكون العمل مضاعفاً في هذا الشهر ، لا بد أن تكثف وتكثر في هذا الشهر من تلاوة القرآن .

أخي الحبيب ، ألمست تحب الله ؟ ، فلماذا لا تكثر من تلاوة كلامه ؟  
لو أحببت الله لأطعته ، وأنا أقول لك : نعم وليس شرط المحب العيصية ، ولكن شرطه كلما زل أن يتلافى تلك الوضعة .

قال الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن سَبَّحَ بِحَمْدِ الشَّهْرِ فَلْيُصْحَفْ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، فكان وجود القرآن قبل التكليف بالعبادة ، فكانه قيل : احتفلوا بالقرآن . . وتفرغوا لقراءة القرآن . . ولكن - للأسف الشديد - تفرغ المسلمون اليوم للدورات الرمضانية في كرة القدم ، ومشاهدة المسلسلات ، وصنع الطعام والكنافة ، شيء عجيب ! ، الله غرغنا لتلاوة كتابه ونحن نعرض عنه !!



كان حال السلف في رمضان مع القرآن عجيبيًا ، أذكر لك حال الشافعي عليه رحمة الله ، كان يختم في رمضان ستين ختمة ، في اليوم يختم ختمتين ، ختمة بالليل وختمة بالنهار ، ولهذا علق الحافظ ابن رجب رحمته الله على حديث أنه «نهى رسول الله ﷺ أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث»<sup>(١)</sup> ، بأنه يجوز في الأماكن الفاضلة والأزمنة الفاضلة أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث حيث ورد هذا عن كثير من السلف وعن الصحابة ، فقد ورد عن عثمان رضي الله عنه أنه ختم القرآن في ركعة أوتر بها في الحجر .

قال ابن رجب : كان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها .

كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وكان يختم في غير رمضان في كل ست ليال .

كان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة ، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة ، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة .

قال النووي : روى ابن أبي داود بإسناده الصحيح أن مجاهدًا رحمته الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء ، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل .

قال ابن المحكم : كان الإمام مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم .

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن .

(١) أخرجه أحمد (١٦٤/٢) ، ومصحح الألباني (٤٦٦) في «السلسلة الصحيحة» .



وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان ، فإذا طلعت الشمس نامت .

قال ابن مسعود : ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون ، ونهاره إذا الناس يفتطرون ، وبيكاته إذا الناس يضحكون ، وبورعه إذا الناس يخلطون ، ويصمته إذا الناس يخوضون ، ويخشوعه إذا الناس يخالون ، ويحزنه إذا الناس يفرحون .

قال أبو الحسين محمد بن علي صاحب الجتيد : صحبت أبا العباس بن عطاء عدة سنين متأدياً بأدابه ، وكان له في كل يوم ختمة ، وفي كل شهر رمضان في كل يوم ليلة ثلاث ختمات .

أين نحن من هؤلاء !! . .

إذا فليستحوذ القرآن على غالب وقتك بالنهار قراءة وتدبراً وترثيلاً . .  
ولتحرص على الختمة دائماً فلا تترك المصحف من يدك أبداً ، أما إذا كنت في عملك فالزم الذكر ولا تنتر مطلقاً .

احذر الدين يأكلون وقتك :

بعد أن تذهب إلى كلينك أو عملك ستجد من يقابلك فيقول لك : هل سمعت فزرة أمس ؟ ، تعال نلعب لكي نسلي صياماً . . هل رأيت المسلسل ؟ . . هل رأيت المسرحية ؟ . . يريد أن يضيع وقتك ويعطلك عن طاعة ربك ؛ لأن قلبه فارغ فيريد منك أن تكون مثله ، وأشر ما على القلب خلطة البشر ، لذلك أريدك -أيها الحبيب- أن تحول الحوار لصالح الدين ، أن تحول مجلس الغيبة والنميمة واللغو إلى مجلس لذكر الله ، إذا قال لك : هل رأيت المسلسل ؟ فقل له : وهل سمعت أنت أن الله عز وجل يقول : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] .



هكذا يتعد عنك أو تكون قد أفدته وعممت الخير ودعوت إلى هدى ، فإذا قرأ عشر آيات فكانك قرأتها ، لكني أريدك أن تتجو بنفسك . . أن تعبد الله وحده بجد ونشاط ؛ فقد قالت ستين طويلة وأنت تسوف وتزجل ، فما هو رمضان قد جاء فلا تضيع وقتك ، فليس هناك مجال لتضييع الوقت ، وإذا مدت إليك فتاة يدها لتصافحك ؛ نقل لها : «إني لا أصالح النساء»<sup>(١)</sup> كما قال النبي ﷺ ، فإذا قلت ذلك فسوف تتخلص من هذه المشكلة نهائيا .

واحذر أن تضيع رمضان في المزاح ، دحك من الضحك واللهو وتضيع الأوقات بالثكات الكاذبة الفجة المنكرة ، إنما ينبغي أن يعلوك الحزن ؛ لأنك تخاف ذنوبك ، وتخاف يوما تشيب فيه التواصي . فهل تستطيع أن تضحك في هذا اليوم والله يقول : ﴿وَلَا تَسْكُرْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتًّا مَّقْبُحًا﴾ [مريم: ٧١] ، أريد أن تمتنع عن الضحك والمزاح قليلا . . خفف منه ما استطعت .

### عكس المطلوب :

وكذلك تقلل من الأكل ، والمصيبة أن الناس جعلوا رمضان موسما للأكل ، شرع الله الصيام للامتناع عن الطعام بالنهار ، فأنفتح الناس فيه بالليل ، وتجد تكلفة الطعام عنده في رمضان ضعف غيره من الشهور ، لو قلت له : إنك تأكل في غير رمضان ثلاث وجبات ، وفي رمضان وجبتين فقط ، قلماذا لا تجعل الثالثة للفقراء ؛ فيقول : ومن أين ؟ ، إنني أقترض في رمضان من أجل الطعام . .

هذا هو الواقع عند كثير من الناس ، صاموا عن الطعام بالنهار ، وتوسعوا فيه بالليل . . صاموا عن شهوة الفرج في النهار ، فسخر بهم شياطين الإنس

(١) أخرجه أحمد (٢٥٧/٦) ، وصححه الألباني (٢٥٢٩) في السلسلة الصحيحة .



بالمسلسلات والأفلام والفوازير ليزيدوا لهم من هذه الشهرة في الليل ، وهكذا  
حُصلَ الناسُ بحُكمِ المقصود من مشروعية الصيام في رمضان ، فزادت  
الشهوات التي شرع رمضان لعلاجها وضميتها ، وتلك عقوبة .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَسْتَرْحَمْنِي أَفَرَحِمْ بِهِ سَبْعًا مِمَّنْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ قَدْرَ حِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَخَضَعُوا وَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ ﴾ [الزمر: ١٠٤] ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْلَا إِدْرَاقُنَا أَنَّ مُلْكَهُمُ فِي هَذِهِ نَسِيءٌ فَغُلِقُوا مِنْهَا فُجُورُهُمْ وَأُصْبِحُوا عَلَىٰ آثَارِهِمْ يَقِينٌ ﴾ [الأنعام: ٦٨] .  
والكلام في شهر رمضان ، أغلق فمك واكتب عليه : ( مغلق للتحصينات والافتتاح في آخر رمضان إن شاء الله ) .. تعود على المجاهدة ، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع على لسانه حصاة يشغل بها لسانه حتى لا يتكلم .

اخرج للعمل وأنت ذكّار . . وأريدك أن تعد الأذكار حتى تشجع ، قل سيد  
الاستغفار خمسمائة مرة . . فلها مئة مئة . . قل مئة ، فإذا شعرت بلذة الذكر  
فاستمر وأكمل ، فلا تدري متى يفتح عنك باب هذه اللذة ، وهكذا يفتح لك  
باب الأذكار . . قل : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ألف مرة أو  
أكثر ، قال رسول الله ﷺ : ذكلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان على  
الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم<sup>(١)</sup> ،  
حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله العظيم ، الله يدلك على ما يحبه ثم أنت  
لا تقول له ، قل : رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم ، أو صلّ  
على النبي ﷺ بالصلاة الإبراهيمية أو بأي صيغة أخرى من صيغ الصلاة على  
النبي ﷺ .

صلينا الصبح في جماعة ، وجلسنا في المسجد حتى شروق الشمس ، ثم

(١) متفق عليه، البخاري (٦٠٤٣)، مسلم (١٦٩٤).



صلينا الضحى ، ثم ذهبنا إلى العمل ، وفي العمل تشغل بعملك فقط وتنقته ، وإن لم يكن هناك عمل فانشغل بالقرآن أو بالذكر ، وحتى وأنت تعمل تستطيع أن تعمل بيدك ، ولسانك وقلبك منشغلان بذكر الله ، انشغل طوال يومك بالذكر في الطريق ، في السيارة ، في البيت ، في كل وقت انشغل بذكر الله ، لا تغفل . . لا تفتر .

### متابعة أهل البيت :

أخي الحبيب ، الآن عدت من العمل ، عندما تدخل بيتك ، قبل أن تسأل زوجتك عن الطعام سلها عن الصلاة : هل صليت العصر . . هل صليت الظهر . . هل قلت الأذكار . . كم مرة استغفرت اليوم ؟ ، كم جزءاً قرأت في هذا اليوم ؟ ، وتتابع أولادك : تعال يا بني ماذا حفظت اليوم ؟ ، استغفرت اليوم كم مرة ؟ ، صليت على النبي ﷺ كم مرة ؟ ، بماذا دعوت الله اليوم ؟ ، قل يا بني : من ربك ؟ ، ما دينك ؟ ، من نبيك ؟ ، قل يا بني : ما معنى الإسلام . . ما معنى اليقين . . ما معنى الإخلاص ؟ ، نعلم وعلم ولدك وزوجتك . . هات المصاحف واجلسوا في حلقة تقرأ فيها معهم القرآن وتدارسوه .

اللهم املا بيوت المسلمين قرآنا وخيراً وبركة ، آمين .

البيوت مليئة بالمشاكل ؛ لأنه لا يذكر الله فيها إلا قليلاً ، البيوت مليئة بالمشاكل ؛ لأن الزوجة ترى الزوج غافلاً فتزداد غفلة . . ترى الزوج يعصي الله فتزداد هي عصياناً . . ترى الزوج لا يطيع الله فتجتري عليه .

قال بعض السلف : إني لأرى ذنوبي في خلق دابتي وامراتي . . اللهم أصلح زوجات المسلمين يا رب .

**أخي الحبيب ، لا تغفل عن السؤال عن الصلاة والصيام والذكر والقرآن . .**



قال رسول الله ﷺ : « من كانت الآخرة همه جمع الله عليه شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة »<sup>(١)</sup> ، اجلس مع أولادك وزوجتك قبل المغرب اقرءوا جزءاً من القرآن ، واجتمعوا للدعاء لأنفسكم وللمسلمين ، فيصبح البيت جنة ، تعيش في جنة مع زوجة من الجنة وأولاد من الجنة .

انشغل بأذكار المساء حتى يؤذن المغرب ، ثم تفطر على ثلاث تمرات ، ثم تشرب شيئاً من الماء ، وعندما تفطر لا تنس دعاء رذكر الإفطار : ذهب الظما وابتلى العروق وثبت الأجر إن شاء الله . . نسأل الله أن يآجرنا وأن يكتب لنا الأجر كاملاً ، ثم صل بعد الأذان ستة المغرب القبلية ، فيجتمع لك أمران : أن الوقت بين الأذان والإقامة يستجاب فيه الدعاء ، وأن هذه ساعة إفطار يستجاب فيها الدعاء ، وأنت ساجد يستجاب لك الدعاء ، فجمعت بين هذه الثلاثة ؛ فاجعل من الدعاء دعاء للأمة ، اللهم اكشف الغمة عن جميع الأمة .

### صلاة المغرب في المسجد :

ثم سارع إلى صلاة المغرب جماعة في المسجد ، إذا أذن للمغرب أفطر ، يباح الأكل مع الأذان وأنت تردده ، ولا تنس أن للصائم عند فطره دعوة مستجابة ، فبا ترقى ما هو الذي سنطلبه في هذا الدعاء ؟ ، اطلب الجنة وأسبابها ، اللهم إنا نسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل .

حين يؤذن المؤذن تذكر أنك مطالب بصلاة فريضة ، لا تجعل الارتباط بالأذان هو الأكل فقط ، إنما الأذان نداء للصلاة ، حي على الصلاة . . حي على الفلاح ، والأفضل أن تذهب إلى المسجد قبل الأذان وتقف تنتظر

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥) ، وحسنه الألباني (٩٤) في «السلسلة الصحيحة» .



الصلاة ، وساعتها تتذكر يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وتجتهد في الدعاء أن ينجيك الله في هذا اليوم ، فوائد كثيرة وكلها نافعة .

إن بعض الناس يقول : سوف أفطر ثم أخرج إلى الصلاة ، وهذا غالباً ما تفوته ركعة لاستعجال التماس بصلاة المغرب ، أقول : بل خذ معك نعمة واذهب إلى المسجد ، فإذا لقيت أحداً في الطريق فأعطه نعمة يفطر عليها ، فيكون لك مثل أجره ، وادعه لصلاة المغرب معك في المسجد ، وتكون قد أثبتت على عبادتي الصيام والصلاة .

وتلك هي هوية التامين على العبادات . . من الناس من يهوى التامين على السيارات والعمارات وعلى الحياة ، وشركات التامين حرام لا يجوز ، فكن أنت من هوية التامين على العبادات ، عندما تذهب إلى الصلاة اصطحب معك أحد الناس ، فلو خرجت من صلاتك بخمسين بالمائة فتكمل هذا النقص بصلاة هذا الذي صلى معك ؛ لأن لك مثل أجره ، قال رسول الله ﷺ : « من دها إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه » (١) .

فكذلك عند الصيام ، فطر صائماً يكتب لك مثل أجر صيامه ، حاول أن تؤمن على عباداتك بأن تجعل لك وصيلاً مؤخراً يتفعلك إذا حصل منك نوع تقصير ، أعط صائماً نعمة وقل له : أفطر على هذه وادع لي ، فإن للصائم دعة مستجابة ، فعسى أن يدعو لك فيستجاب له ، واحرص على أن يفطر معك كل يوم مسكين ، قد تقول : كيف أفطر مع مسكين وأترك أهلي وأرلاذي ، أقول لك : اجمع بين الخيرين ، واجعله هو يفطر مع أهله ولتفطر أنت مع أهلِكَ بأن تعطيه جزءاً من الطعام الذي تعدّه لنفسك وأهلك الذي غالباً تأكلون نصفه



وترمون الباقي ، من الآن اشتر العمود الذي يوجد فيه أوان بعضها فوق بعض ويُحمل في اليد ، لئلا يملأه بأصناف الطعام كل يوم وتعطيه للفقير .

### الإفطار الأمثل:

ثم تعود إلى بيتك سعيداً منشرحاً ، تلقي السلام وتبشرهم بالدعاء ، ثم اجلس إلى الإفطار متذكراً نعمة الله عليك ، مستحضراً حال من لم يجد الطعام ، ولا تشغلك النعمة عن المتعم ، وتذكر أن الله تعالى أمرك بالنظر قبل الأكل : ﴿ أَنْظُرُوا إِلَىٰ نِعْمَةِ رَبِّهِ إِذَا أَثَمَرَ وَرَبُّوهُ ﴾ [الأنعام: ٩٩] ، قيل أن يقول : ﴿ حَسْبُكَ يَا رَبِّ إِذَا أَثَمَرَ وَبَاقُوا حَقُّكَ يَوْمَ حَسَابِهِ وَلَا تُشْكِرُوا إِلَّا لَكَ لَا يُجِبُ الشُّكْرَ ﴾ [الأنعام: ١٤١] ، فلا بد أن تنظر إلى طعامك وتأمر أولادك بذلك لكي تشكروا نعمة الله ، وتندبروا رزق الله ، وتشكروا بنعمة الله عليكم ، هذه فائدة قاضتها .

ثم تذكر حديث النبي ﷺ : « بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فاحلاً : ثلث طعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه »<sup>(١)</sup> ، وإني أحذرك من مجاوزة الحد والطفيان الحاصل في بيوت المسلمين في رمضان في مرفوع الطعام والشراب ، قال الله تعالى : ﴿ كَلُوا مِن مَّا مَلَائَتْ مَا رَزَقْتَكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ حَرْبٌ مِّنْ بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي آدَمَ بِمَلَأَتْ عَلَيْهِمْ فَتَنَّا هَؤُلَاءَ ﴾ [طه: ٨١] ، إياك والطفيان ، وهو مجاوزة الحد ، يجوز الشبع أحياناً ، لكن اعلم أنه إذا اعتلات المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

فإذا استوفيت الإفطار تذكر الليل بالنوم ، وإذا استوفيت السحور تحبظ النهار بالكسل ، بل تأكل عند الإفطار الثلث حتى تشعر عند السحور بالجوع ،

(١) أخرجه أحمد (١٣٢/٤) ، وصححه الألباني (٢٢٦٥) في «السلسلة الصحيحة» .



فتستيقظ للسحور طاعة لأمر الله وطلباً لمرغباته، والتماساً لصلاة الله وملائكته على المتسحرين، وأيضاً لدفع الجوع الحاصل، والتفوي بالطعام على الطاعة؛ لكي نستطيع أن نعمل في النهار، قال رسول الله ﷺ: «يحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»، صلى الله عليك وسلم يا رسول الله، كان يمر الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيوت آل محمد نارا، وهو سيدنا وسيد الخلق أجمعين ﷺ.

سبحان الملك!، يظل شهرين ولا يذوق فيهما شيئا قد طهي على النار، فعلم كان يعيش هو وأزواجه؟، كانوا يعيشون على التمر والماء، فهل تستطيع أنت أن تعيش على التمر والماء؟، لماذا لا؟، ماذا سيحدث لو فعلت ذلك؟

إذا امتلأت بطنك، وأوشك الطعام أن يخرج من حلقك؛ سوف تستطيل الصلاة، ولن تخشع فيها، وتضطر للخروج إلى الحمام ويطول مكثك فيه، وإذا أردت أن تعرف مقامك، فانظر أين أقامك؛ لذلك خفف، كل الثلث فقط، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

### تخير الإمام والمسجد:

ثم عَجِّل بالخروج إلى صلاة العشاء مبكرا لتقف خلف الإمام، وتخير مسجداً تستريح له وإماماً تستمتع بصوته، ابتعد عن هؤلاء الذين يغنون، وابتعد عن ضجيج المساجد المشهورة، وابحث عن مسجد هادي نظيف، وابحث عن إمام إذا قرأ حسبته يخشع الله تعالى، ولو كان بعيداً عن بيتك، لا تبخل فالخطوات محسوبة وأجرك مدفوع.

فإنك عندما تدخل هذا المسجد تشعر بالسكينة، وعندما يقرأ هذا الإمام تريد ألا ينتهي، ابحث عن هذا لعله يُرحم فُرحم معه، رأى علي بن أبي



طالب رجلاً يحمل أمه في الطواف ، فطاف خلفه وقال : والله إنني لأطوف وما كانت لي نية في الطواف ؛ لأنني لما رأيت هذا يحمل أمه علمت أنه ستنزل عليه رحمة فأردت أن يصيبي شيء منها . . فأنت عندما تصلي وراء إمام مخلص تشعر بأن الرحمة تنزل عليه وتصل إليك هذه الرحمة ، ولا تمل من الصلاة خلفه .

تدبر القرآن آية آية . . تذكر كيف كانت هذه الآيات تنزل على قلب النبي محمد ﷺ ، كيف كان الصحابة يعملون بها ، وعندما تصلي خلف إمام واحد طيلة الشهر ستعرف بماذا يقرأ غداً ، فاقرا القدر الذي سيقروء قبله أثناء النهار ، وإذا لم تفهم كلمة وأنت تقرأ ارجع إلى كتب التفسير حتى تعيش المعنى الحقيقي للآية عندما يقرؤها الإمام في القيام ، فإذا عشت هذا المعنى فعلاً ؛ فلن تمل حتى ولو قرأ الإمام طيلة الليل .

### كيف أحصل الخشوع في القيام ؟

ولكي تحصل الخشوع يجب أولاً أن تعرف فائدة الخشوع ، قال النبي ﷺ : «إن العبد إذا قام يصلي أتى بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقه ، فكلمها ركع أو سجد سقطت عنه ذنوبه»<sup>(١)</sup> ، قال الإمام الثناوي في «فتح القدير» : المراد أنه كلما أتم ركناً سقط عنه ركن من الذنوب ، حتى إذا أتم الصلاة تكامل السقوط ، وهذا شرط في صلاة متوفرة الشروط والأركان والخشوع كما يؤذن به لفظ العبد والقيام ، «إن العبد إذا قام يصلي» . . فالشرط أن يكون عبداً وقام ، إذ هو إشارة إلى أنه قام بين يدي ملك الملوك مقام عبده ذليل .

(١) أخرجه ابن حبان (١٧٣٤) ، وصححه الألباني (١٢٩٨) في «السلسلة الصحيحة» .



### فائدة تحصيل الخشوع :

أولاً : أنك كلما ركعت أو سجدت سقطت عنك الذنوب .

ثانياً : أن الأجر المكتوب بحسب الخشوع .

ثالثاً : ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها .

رابعاً : أن الرسول ﷺ قال : « ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها وسجودها إلا كانت كفارة لما قبلها »<sup>(١)</sup> .

خامساً : أن الخاشع في صلاته إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه ، وأحسن بأثقال قد وضعت عنه ، يجد نشاطاً وراحة ، وتصبح الصلاة قوة عين وروحه ، وجة قلبه واستراحه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بها لا منها ، قال النبي ﷺ : « يا بلال ، أرحنا بالصلاة »<sup>(٢)</sup> ، وقال ﷺ : « وجعلت قرّة عيني في الصلاة »<sup>(٣)</sup> .

هذه خمس فوائد للخشوع اجعلها ميّاً لتحصيل الخشوع ، لتخشع في الصلاة المفروضة ، وصلاة القيام وتظل مع الإمام حتى يتم صلاته .

استمر في الصلاة مع الإمام حتى ينتهي ، فقد جاء في حديث أبي ذر قوله ﷺ : « إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف شُيِبَ له قيام ليلة »<sup>(٤)</sup> .

### ماذا أفعل بعد الرجوع من القيام ؟

ثم تعود إلى البيت ، لتجري مسابقة نافعة لأولادك مثلاً ، استخرج آية من

(١) أخرجه مسلم (٢٢٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٤ / ٥) .

(٣) أخرجه أحمد (١٢٨ / ٣) ، وصححه الألباني (٣٠٩٨) في «صحيح الجامع» .

(٤) أخرجه أحمد (١٥٩ / ٥) ، وصححه الألباني (١٦١٥) في «صحيح الجامع» .



التي كان الإمام يقرؤها فتقول لولدك أو زوجتك : متى سمعت هذه الآية آخر مرة ؟ ، فمن أجاب أعطه جائزة : تمرة .. أو كتيبا .. أو ورقة أذكار .. أو شريطا جديدا .. أو ملابس العيد .. أو هدية مناسبة ، أو اجعلهم يتنافسون من يختم القرآن أولا ، تفن في أن تحب الله إلى أولادك وزوجتك .

اجعلهم يحبون الله ، أعطهم وأحسن إليهم وقل لهم : لولا أن الله أمرني بهذا ما فعلت هذا معكم أبدا ، فيحبون الله ، فيحبونك ، اجعل ابنك يحب الله لكي يحبك ، لأنه لو أحبك من أجل أنك تعطيه ، فسوف يكرهك عندما تمنعه ، لكن لو أحب الله لأحبك سواء أعطيت أو منعت ، لأن الله أمر بهذا ، وكذلك فافعل مع زوجتك ، وبعد أن ترجع من المسجد إياك أن تغفل ، احتفظ بحرارة الخشوع ، ولست أطلب منك أن تختم القرآن كل يوم مرة ، ولا كل ثلاثة أيام ، اختمه في كل أسبوع مرة ، يعني اقرأ كل يوم خمسة أجزاء .

اقرأ جزءا في الصباح قبل الصلاة ، وجزءا في المواصلات ، وجزءا بعد العصر مع الأولاد ، وجزءا قبل النوم ، ونصف جزء تقوم به ركعتين في البيت ، فتختم القرآن أربع مرات ، فتكون قد كوّنت ثروة كبيرة من الحسنات ، نال الله أن يرزقنا وإياكم الجنة .. تلعب إلى البيت تقرأ جزءا من القرآن ، وتجلس للمحاسبة ، ثم تنام مبكرا لتستطيع أن تستيقظ مبكرا .

### التهجد :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدْ لَهُ ﴾ [الإسراء: ٧٩] ، تصلي التهجد ركعتين فقط كي تصيب السنة ، لأن الرسول ﷺ قال : « أفضل الصلاة طول القنوت »<sup>(١)</sup> ، وعندما تقوم لا تنس أن تقيم امرأتك معك ، قال رسول الله ﷺ :

(١) أخرجه مسلم (٧٥٨) .



«رحم الله رجلاً قام من الليل فصلين ركعتين وأبفظ أهله ، فإن أثبت نَفَسَ في وجهها الماء»<sup>(١)</sup> ، اجتهد أن تقوم ساعة أو أكثر قبل أذان الفجر ، فهذا وقت التنزل الإلهي كل ليلة ، ينادي ربنا جل جلاله كل ليلة في السحر في ثلث الليل الآخر : «هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من سائل فأعطيه»<sup>(٢)</sup> ، حتى يطلع الصبح وذلك كل ليلة ، فلا يفوتك هذا الفضل العظيم ، وكن من الذاكرين في هذه الساعة فهي بركة اليوم وكل يوم .

**قال بعض السلف :** ما علمني القيام إلا ولدي ، قرأ يوماً : ﴿كَانَ النَّبِيُّ إِذَا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَرَأَ أَيْنَ لَا يَكِلُ إِلَّا نَفْسَهُ﴾ [المزمل : ١-٢] ، فقال : يا أبت ، ما معني قم الليل ؟ ، قلت : يا بني أن يصلي العبد في الليل ، قال : يا أبت فمالي لا أراك تقوم ، قلت : هذه الآية خاصة بالنبي ﷺ ، فلما تعلم الولد : ﴿كَانُوا كَلِلاً مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [الفرحات : ١٧] ، قال : يا أبت ، من هؤلاء ؟ ، قلت : عباد الله المؤمنون ، قال : فمالي لا أراك تقوم ؟ ، قلت : سأقوم من الليلة يا بني ، قال : يا أبت دعني إذا قمت أقوم معك ، فقلت : يا بني أنت صغير لم تكلف بعد ، فتم حتى تستريح ، قال : يا أبت ، أرايت لو بعثني الله يوم القيامة فسألني : لم لم تقم ؟ ، أقول له : أبي قال لي : نم ؟ ، فبكن الرجل وقال : يا بني قم .

**فهكذا ينبغي أن نعلم أولادنا القيام ، أن نريهم على ذلك ، اليوم كثير منا لا يستطيع أن يصلي الصبح ؛ لأنه لم يترب في بيت يصلي أو كان أهل البيت يصلون لكنهم لم يوقفوه ، وإن استيقظ لا يصلي في المسجد ، فلهذا ينبغي أن نعود زوجاتنا وأولادنا على الاستيقاظ من النوم للصلاة ؛ بل يجب أن تكون أنت وزوجتك متناوبين ؛ توقظها وتوقفك للصلاة ، وتعاتبا وتعتابا إن لم تقوموا .**

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠) ، وصححه الألباني (٣٤٩٤) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٨) .



تقوم قبل الفجر بساعة أو ساعتين ، ترقظ أولادك كبيرهم وصغيرهم ، وقبل الفجر بنصف ساعة تحضرون طعام السحور ، قال رسول الله ﷺ : « السحور أكله بركة ؛ فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فإن الله عز وجل وملائكته يصلون على المتسحرين »<sup>(١)</sup> ، نأكلون في عشر دقائق ، وتذهب إلى المسجد مبكراً ، ونصلي تحية المسجد قبل الأذان ونجلس نستغفر الله ، ﴿وَالْأَتَّخِرُ مِمَّ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الدورات : ١٨] ، وفي الحديث القدسي السابق يقول الله : « هل من مستغفر فأغفر له » ، ثم تصلي الصبح ، صلاة مشهودة محضرة .. وهكذا تم يومك .

**إخوتاه ..** هل عزمتم ؟! ، هل من مشعر ؟! ، أسأل الله عز وجل أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، ونسأله أن يوفقنا إلى الخير دائماً في رمضان وفي غير رمضان .. وهكذا أجبتنا - بحول الله وقوته - على سؤال : كيف تعيش يوماً في رمضان ؟

### البرنامج :

- (١) التذكير إلى صلاة الصبح في المسجد ، فنخرج من بيتك قبل الفجر بربع ساعة ، وصلاة المرأة في بيتها أفضل ؛ حكم الشرع .
- (٢) صلاة ركعتين تحية المسجد ، ولزوم الاستغفار حتى يؤذن للصلاة ، ثم صلاة ركعتي السنة .
- (٣) تلاوة جزء من القرآن ما بين الأذان والإقامة إن استطعت وإلا فهو عليك بعد الصلاة .

(١) أخرجه أحمد (٤١/٣) ، وحسنه الألباني (١٨٤٤) في «صحيح الجامع» .

(٤) المكوث في المسجد بعد الصلاة ، وقراءة أذكار الصباح ، وجزء من القرآن آخر حتى طلوع الشمس ، مع مراعاة عدم التحدث مع أحد أو الانشغال بأحد .

(٥) صلاة ركعتي الضحى ثم الخروج من المسجد .

(٦) الذهاب إلى العمل أو المدارس والكتليات ، أو العودة إلى البيت إن كان هناك وقت ، والنوم لمدة ساعتين .

(٧) إذا كنت ستذهب إلى العمل فعليك بالذكر طوال الوقت ، ولا تتحدث إلا فيما يرضي الله عز وجل ، وأتقن عملك ، ولا تفسد صيامك ، وأحسن خلقك ، إياك واللغو والرفث والغيبة والنميمة والكذب والفحش فكلها تنقض الصيام ، واقرأ جزءاً من القرآن قبل صلاة الظهر وبعدها ، وكذلك في صلاة العصر .

(٨) إذا كنت ستعود إلى المنزل ، أو المرأة التي صلت في بيتها ، فتنام لمدة ساعتين وتستيقظ في التاسعة تقرأ القرآن وتذكر الله حتى صلاة الظهر .

(٩) عند العودة من عملك ، أو انتهاء المرأة من إعداد الطعام وأعمال المنزل عليك بجمع أولادك حولك وتابعهم وتسالهم ماذا أنجزوا من عباداتهم .

(١٠) يمكنك عمل حلقة قرآن في البيت مع زوجتك وأولادك ، تقرأون القرآن حتى قرب المغرب ، ثم عليكم بالدعاء فإنه لا يرد .

(١١) الإفطار على ثلاث تمرات وشربة ماء ، وصلاة السنة القبلية للمغرب في البيت ، ثم الخروج لصلاة المغرب في المسجد .

(١٢) عليك بأخذ بعض التمر معك ، أو العجوة ، أو العصير ؛ لإفطار الصائمين الذين لم يعودوا إلى منازلهم بعد .



(١٣) صلاة ركعتين تحية المسجد إن كان هناك وقت لذلك ، ثم صلاة المغرب ، ثم العودة إلى بيتك للإفطار مع أهلِكَ ، وتكون زوجتك قد صلت المغرب مع أولادها الصغار .

(١٤) لا تنس إفطار الفقراء والمساكين ، واشكر نعمة الله .

(١٥) التذكير إلى صلاة العشاء في المسجد لكي تقف خلف الإمام ، ويمكنك أن تأخذ زوجتك وأولادك معك ، وصل مع الإمام حتى ينتهي .

(١٦) عد إلى بيتك واقرا جزئي قرآن .

(١٧) نم حتى الساعة الثانية صباحاً .

(١٨) الاستيقاظ وصلاة ركعتي تهجد ، وراع فيهما طول القنوت « الرقوف » .

(١٩) السحور قبل الفجر بنصف ساعة .

(٢٠) الاستغفار ، ثم الذهاب إلى المسجد لصلاة الفجر .

### نصائح :

(١) المحافظة على الأذكار الموصلة ( الصباح والمساء ، دخول البيت والخروج منه ، دخول المسجد والخروج منه ، دعاء الركوب ، دخول الخلاء والخروج منه . . . . ) .

(٢) التقليل من الكلام والإكثار من ذكر الله .

(٣) التقليل من الطعام ، والتقليل من الإنفاق والتبذير .

(٤) التقليل من النوم ، والمحافظة على ورد تلاوة القرآن .

(٥) التقليل من المواعيد والارتباطات واللقاءات والمكالمات الهاتفية .

- (٦) التقليل من الخروج من المنزل .
- (٧) التقليل من مخالطة البشر .
- (٨) غرض البصر ، حسن الخلق ، الزهد في الدنيا .
- (٩) حفظ اللسان من آفاته جميعاً مثل : ( غيبة ، نسيئة ، كذب ، رياء ، بهتان ، لغو ، رفث ، فضول . . . ) .
- (١٠) المحافظة على جميع السنن القبلية والبعدية للصلوات .
- (١١) المحافظة على السواك .
- (١٢) دوام صدق التوبة باستمرار كل ساعة .
- (١٣) صلة الرحم ، بر الوالدين ، صدقة كل يوم .
- (١٤) إظهار صائمين ، إطعام فقراء ومساكين .
- (١٥) تجريد النية وتحقيقها .
- (١٦) علو الهمة والمنافسة .
- (١٧) ختم القرآن أربع مرات على الأقل خلال الشهر مرة كل أسبوع .
- (١٨) المحافظة على وردك من الذكر يومياً خمسة آلاف مرة ( ألف استغفار ، ألف سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، ألف الباقيات الصالحات ، ألف صلاة على النبي ، وألف ورد مختلف يومياً : تهليل ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم وبحمده ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ) ، ومن زاد فهو أفضل .



(١٩) عدم مشاهدة التلفاز .

(٢٠) الدعاء بظهر الغيب لجميع المسلمين .

(٢١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٢٢) الكف عن المعاصي تمامًا في رمضان وتحديد التوبة كل ساعة .

### وصيتي لك ..

أيام رمضان أيام تُصان ، هي كالتاج على رأس الزمان ، وصل توفيق القدم من الرحيم الرحمن : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ياله من وقت عظيم الشأن تحب حراسته مما إذا حل شان ، كانكم به قد رحل ويان ، ووجه الصالح مع الله ما بان ، فسوف يكون عليك شاهد ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

فمن اللازم أن نحرس فيه العيان ، من الواجب أن نحفظ فيه اللسان ، من المتعين أن نمنع الخطأ في الخطأ القدمان فإنه شهر عظيم الشأن : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

**إخوتاه ..** زينوا أعمالكم في هذا الشهر بميزان ، اشتروا خلاصكم بما عز وهان ، فإن عجزتم فسلوا المعين وقد أعان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

**إخوتاه ..** قد ذهبت السنّة وضاعت البضاعة ما بين الضرب والإضاعة ، والتسريف يمحّح ساعة بعد ساعة ، والشمس والقمر بحبان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

يا واقعًا في مقام التحير ، هل أنت على عزم التغير ، إلى متى ترضى بالنزول في منازل الهوان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

في زمن مضى هل مضى من أيامك يومٌ صالح ، سلّمت فيه من جرائم  
القبائح ، تالله قد سبق الراح ، وأنت راضٍ بالخسران في شهر رمضان ،  
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

عينك مطلقّة في الحرام ، ولسانك منبسط في الآثام ، ولأقدامك على  
الذنوب إقدام ، والكل في الديوان حتى في ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ  
الْقُرْآنُ﴾ .

قلبك غائب في صلواتك ، وفكرك ينقضي في شهراتك ، فإن ركن إليك  
راكن في معاملاتك ؛ دخلت به خان من خان ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ  
الْقُرْآنُ﴾ .

**يا هذا** . أكثر كلامك لهو وهذر ، والوقت بالتفريط شَرَّ مَزَر ، فإن اغتبت  
مسلماً لم تُنقِ ولم تُدر ، الأمان منك الأمان ولو في ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ  
فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

تالله لو عقلت حالك ، أو ذكرت أرحالك ، أو نصورت أعمالك ؛ لبنت  
بيت الأحزان ، واعتكفت في ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

**أخي في الله** ، سيشهد رمضان عليك ، بتطق لسانك ، ونظر عينيك ،  
وسيُشار يوم الجمع إليك : شقي فلان بن فلان ؛ لأنه ضيع ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي  
أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .

**أخي** . في كل لحظة تقرب من قبرك ، فانظر لنفك في تدبير أمرك ،  
وما أراك إلا في أول شهرك الأول والآخر سيّان ، متى تصبح في ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ  
الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ .



**إخوتاه...** قد ذهب العام ومن شعبان النصف، وما أرى من عملك النصف، فإن كان في الماضي قد قبح الرصف؛ فقم الآن.. قم الآن وادع الله أن يصلحك في ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ أَكْبَرُ أَشْهُرِ الْفُرْقَانِ﴾.



مُشْتَا هَالِ الْعَبْدِ كَرِيمِ

فِي رَمَضَانَ

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ  
وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا





## مشاهد العبودية في الصيام

إخوته . .

شهر رمضان أيام قلبية في الزمن ؛ متى أشرفت على الدنيا فكان الزمان يقول لأهله : هذه أيام من أنفسكم لا من أيامي ، ومن طبيعتكم لا من طبيعتي ، فيقبل العالم كله على حالة نفسية بالغة السمو ، ويتعهد فيها النفس برياضتها على معالي الأمور ومكارم الأخلاق ، ويفهم الحياة على وجه آخر غير وجهها الكالحي ، ويراها كأنما أحييت من طعامها اليومي كما جاع هو ، فيزهد فيها ، وكأنما أفرغت من خائنها وشهواتها كما أفرغ هو فتسمر أخلاقه ، وكأنما ألزمت معاني التقوى كما ألزمتها هو ، وما أجل وأبدع أن تظهر الحياة في العالم كله - ولو يوماً واحداً - صائمة نهارها ، قائمة ليلها . . ! فكيف بها على ذلك شهراً من كل سنة ؟

ولذلك فإن الصيام تغيير كامل للحياة لا مجرد الامتناع عن الطعام والشهوة مدة من الزمن ؛ ولهذا لأبد أن يكون للصائم مشاهد في هذه العبادة يجد آثارها في قلبه . فإن هذه العبادة تُطَلِّعُه على رياض موقفة من أنواع العبودية المختلفة ومن مشاهد العبودية في الصيام :

### المشهد الأول : مشهد التوحيد :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَقْبَرُ اقْرَأُ الْكِتَابَ فَلْيُزَكِّ الْأَرْضَ وَهُوَ يُطْمِئِنُّ وَلَا يُظْلَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ لَا شَرِكُ وَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام : ١٤) ، وقال سبحانه : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمِّيٌّ صِدِّيقٌ كُنَّا نَمْنُكُكُلَانِ الْفُلُكُمُ ﴾ (المائدة : ٧٥) .



استدل الله جل جلاله على نفي ألوهية عبسني وأمه بأنهما كانا يأكلان الطعام ، فإن الذي يأكل الطعام يحتاج إلى الإخراج ، وفيه ما فيه . .  
 فأول مشهد يشهده الصائم مشهد التوحيد ، فيشهد قلبه عظمة الله جل جلاله وعلوه على خلقه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، فهو الغني لا يحتاج إلى شيء ، ولا يحتاج إلى أحد ، ويشهد العبد من نفسه ذلة وفقره وفاقة وحاجته ، فامتناعه عن الطعام والشراب سويعات قليلة يرخي جسمه ، ويفتر عقله ، ويثقل لسانه ، ويمنع عقله عن التفكير إلا فيما هو محتاج إليه من الأكل والشرب .

وشهود العبد مشهد التوحيد هذا نافع له في صيامه وإفطاره ، فإنه يشهد عظمة ربه وغناه وقدرته سبحانه : ﴿بِكَلَمٍ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن : ٢٩] ، وقال عز وجل : ﴿بَلَّغْنَا النَّاسَ أَدْرَاةً بِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ خَلَقْنَا حَبْرَ اللَّهِ بِرِزْقِكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَالْتَّزِمُوا كُتُبَهُ﴾ [فاطر : ٣] ، وشعور القلب بهذه العظمة بملوه غنى ، ويمنح القلب قوة في السر إليه سبحانه ، وهذا الشعور بالغنى يستغني به العبد عن رؤية المخلوقين والتوكل عليهم والارتباط بهم والتعلق بهم ، وتطهير القلب من آفات لا تعد ولا تحصى .  
 ويقوى هذا المشهد في رمضان دون غيره لاستدامة الصيام ورؤية هذا الحال في الناس ، فإن ثلاثين يوماً يرى فيها العبد انكسار الناس وذلتهم لفقد الطعام والشراب وحرمانهم منه ، والغنى العالي الذي يبدو على من شهد مشهد التوحيد يجعله مسروراً بما يجده ، ألم تر أن رسول الله ﷺ أثر الصيام على الإفطار ، فكان يواصل ، ويشبعه مشهد التوحيد هذا فيقول : «أيت حنت ربي فيطعمني ويسقيني»<sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٧٤) ، وصححه الألباني (٢٠٨١) في صحيح أبي داود .



فمشهد التوحيد في الصيام أجل مشاهد العبد وأكثرها نفعا وأكثرها صلة بالفعل ، فانهم واتكئ ولا تتكل .

### المشهد الثاني : مشهد الصبر والشكر :

الدين نصفان : نصف شكر ، ونصف صبر .

تكلم العلماء في مسألة أيهما أفضل : الشكر أم الصبر ؟ ، وخلاصة الكلام والله أعلم أن كل حال للعبد كان لواقعه أو فاق فهو له أفضل إذا كان لله أرضى .

والإنسان لا يفك عن الشكر والصبر ، فإنه يعيش حياته ما بين نعم مترادفة تحتاج إلى شكر ، وبين فتن متكاثرة تحتاج إلى صبر ، والصبر أنواع ، صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على البلاء ، والشكر أنواع : شكر نعم واسعة ، وشكر نعم متجلدة ، وشكر نعم حادثة ، وشكر صرف البلاء ، وشكر دونه . . . وغيرها .

وعظمة رمضان أنه في كل يوم منه يأتي العبد بكل هذه الأنواع من العبودية ، فإن الإنسان يصوم النهار ، فيحتاج إلى الصبر ، الصبر على الطاعة ، والصبر عن المعصية في ذات الوقت ، وهو أيضا صائم ويرى الطعام والشراب يلمان بين عينيه ولا يقدر عليهما ، فيتذكر ألم المحرومين الذين يرون ما يشتهون ولا يقدرون عليه لفقر أو مرض أو غير ذلك فيشغل بالشكر .

ويظل يومه هكذا ، ما بين صبر وشكر ، فإذا أفطر في الليل وتناول حاجته من الطعام والشراب وأرضى شهوته ، احتاج إلى شكر أعمق وعمل أكثر ، فعاد مرة أخرى إلى الصبر على الطاعة ليقوم الليل ، والصبر عن المعصية ليمتنع عما يدعوه إليه قطاع الطريق إلى الله في وسائل الإعلام وغيرها من المسلسلات والفوازير والأفلام وكل المعاصي الظاهرة والباطنة .



فيظل النبا. المؤمن يعيش أيام رمضان ولياليه متلبساً بتلك العبودية المترادفة بين الشكر والصبر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [١٦] وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧]، وقال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»<sup>(١)</sup>.

### المشهد الثالث: مشهد القبض والبسط:

هل الحياة سلة ١٢ ..

إن الذين لا يفهمون الحياة لا يعرفون كيف يعيشون هذه الحياة، فإذا لم يعيشوها كما ينبغي شكروا الملل [١]، ولا أدري هل هو عقوبة؟

إن الذين لا يفهمون مراد الله منهم، فيعيشون الحياة على وتيرة واحدة، فلا يشعرون بالتجديد والتجدد في معاني الحياة وملذوثاتها؛ يشكون السأم والضجر والملل ..

أما العيد الرباني، الذي يعيش على مراد الله منه لا على مراده من الله؛ فإن حياته متجددة، فهو في كل لحظة عبادة، وكل ساعة بنية، وهذا المشهد يتضح أكثر ما يكون في رمضان؛ فإن الصائم يعيش ما بين المنع في النهار فيشهد مشهد القبض ثم يفطر وتفتح له أبواب خيرات الله فيشهد مشهد البسط، وهكذا ما بين نوم وبقظة، وإفطار وإمساك، ونشاط وراحة، يعيش المسلم في رمضان بلا سأم ولا ملل، فإنه كل ساعة في انتظار تغيير بحدته تجديد عبادة من العبادات.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).



المشهد الثالث : حسن الخلق :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ لِلَّذِينَ يَدْعُوْنَ إِلَى الْغَيْبِ وَأَخْرِضُوا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ ۝ وَإِنَّمَا يَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَنَزَعٌ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [الأعراف : ٣١-٣٢] ، وقال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق »<sup>(١)</sup> ، وشهر رمضان له علاقة حميمة بالأخلاق السامية ، والمعاني الرفيعة ، فقد قال رسول الله ﷺ : « الصوم جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب ولا يجهل ، وإن سابه أحدٌ أو قاتله ، فليقل : إني صائم »<sup>(٢)</sup> .

وكان هذا الحديث وضع أصولاً لأخلاق الصائمين :

أولها : أن الصائم هادئ النفس ، لين الطبع ، في غاية الاحترام ، فإنه يستشعر المراقبة حال الصيام ، فلا يرفث أي لا يتكلم في الجماع ومقدماته .  
ثانيها : لا يفسق : أي إنه لا يخرج عن حدود الأدب ، لا في القول ولا في العمل ، بل هو منضبط إلى أقصى حد .

ثالثها : لا يصخب : لا يرتفع صوته ، لأن الصيام نوع من السكون ، يقال صامت الدابة أي سكنت عن الحركة ، وصامت الخيل أي سكنت عن الصهيل ، فأصل الصيام نوع من السكون ، وقد فهم الصائم هذا النوع من التعبد فلا يصخب ، إنه يكره الضجيج ويحب السكون والسكوت ، لأنه أجمع لشغل قلبه على ربه .

رابعها : ولا يجهل : والجهل أنواع ، وأبو جهل لا يبالي ، وآباء الجهل كثيرون ، الصائم لا يجهل ، وكل معصية جهالة ، وكل ما عصي الله به فهو

(١) أخرجه أحمد (٣٨١/٢) ، وصححه الألباني (٢٣٤٩) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٦/٢) ، وصححه الألباني (٩٧٨) في « صحيح الترغيب والترهيب » .



جهل ، وكل عاص جاهل ، والذي يعامل الناس بما يكرهون يجهل عليهم لأنه يجهل حقهم وهو معاملتهم بالحسنى ؛ لذلك أمر الصائم أن يتذكر دومًا ليعلم أنه صائم فيقول : إني صائم .

خامسها : وهو الأهم أنه إذا أودى أو اعتدى عليه أو أضر به أحد ، أو كما قال رسول الله ﷺ : « فإن سابه أحد أو قاتله » ؛ فإن المبدأ الإسلامي العظيم يبرز هنا جليًا وهو : رد السيئة بالحسنة .

هذا الخلق المفقود في حياة المسلمين اليوم ، وإني أعتقد أن كثيرًا من منظومة الأخلاق في الإسلام مفقودة ، والأخطر من ذلك أن تستبدل هذه الأخلاق وتتحول أخلاقيات أهل الغرب هي الأصل ، وتصبح الأمثلة الشعبية والمقولات العامة أصولًا لأخلاق المسلمين في عصرنا ، فصارت الدعوة إلى ظلم الناس لئلا تظلم هي الأصل عند الكثير .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْمُسِنَّةُ وَالْأَسِنَّةُ أَدْعَى بِالْإِنْفِ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٦ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا إِلَهٌ عَلِيمٌ ٣٧ وَإِنَّمَا يَرْتَعَنُّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ نَجَسٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّكُمْ حُرِّمْتُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ٣٨ ﴾ [نساء : ٣٦-٣٨] ، فانظر كيف وعدك الله سبحانه وتعالى أنك إن أحسنت إلى من أساء إليك أحبك حتى صار كأنه ولي حميم ، والآخرون يقولون لك : إن سامحته طمع فيك وعلى هذا فقس .

تري إعراض الناس عن وعود الشرع في مسألة الأخلاق ، والاعتماد على تجاربهم الحياتية ، ومن أجل ذلك خذلوا ، يقول رسول الله ﷺ : « ما من شيء أثقل في ميزان العبد من حسن الخلق »<sup>(١)</sup> ، وقال ﷺ :

(١) أخرجه أحمد (٤٤٨/٦) ، وصححه الألباني (٥٣٩٠) في صحيح الجامع .



«إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وإن حسن الخلق ليبليغ درجة الصوم والصلاة»<sup>(١)</sup>.

فانتبهز أخي الحبيب فرصة رمضان الكريم، وحسن أخلاقك لكي تكون في أعلى درجة في هذا الصيام، قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»<sup>(٢)</sup>.

### المشهد الرابع: الزهد في الدنيا:

المفروض أن رمضان شهر الزهد، فإتعا شرع الصيام ليقع التقليل، وفرض الله الصيام على الأمة شهرًا كل عام ليعرف الناس قدر الدنيا، وقيمة الطعام والشراب والشهوات، ولينمكتوا من التحكم فيها، فلا تحكمهم ولا تكون أهدافهم وآمالهم في حياتهم، ويتم التدريب على ذلك لمدة شهر يتكرر كل عام للتذكير بهذه القضية التي يمكن أن نسميها حقًا: الزهد في الدنيا، ولذلك من مشاهد العبودية في الصيام الزهد، فما هو الزهد حقيقة.

ذكر ابن القيم - عليه رحمة الله - في كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» عند كلامه عن الزهد كلامًا نفيسًا، ننقله هنا بنصه، فاقروا وأعدوا فافهم ثم اعمل: «الزهد على أربعة أنسام:

أحدها: فرض على كل مسلم، وهو الزهد في الحرام، وهذا متى أخل به مسلم انعقد سبب العقاب، فلا بد من وجود مية ما لم ينعقد سبب آخر يضاده.

الثاني: زهد مستحب، وهو على درجات في الاستحياب بحسب المزهود

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥١)، وصححه الألباني (٢٨٤) في «السلسلة الصحيحة».

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٩٣)، وصححه الألباني (٢٧٣) في «السلسلة الصحيحة».



فيه ، وهو الزهد في المكروه ، وفضول المباحات والتفطن في الشهوات المباحة .

الثالث : زهد الداخلين في هذا الشأن ، وهم المشغرون في السير إلى الله وهو قوعان :

أحدهما : الزهد في الدنيا جملة ، وليس المراد تخليتها من اليد ولا إخراجها وقعوده صيفراً منها ، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية ، فلا يلتفت إليها ، ولا يدعها تسكن قلبه ، وإن كانت في يده ، فليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك ، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك ، وهذا كحال الخلفاء الراشدين ، وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب المثل بزهده مع أن خزائن الأموال تحت يده ، بل كحال سيد ولد آدم ﷺ حين فتح الله عليه من الدنيا ما فتح ، ولا يزيده ذلك إلا زهداً فيها .

ومن هذا الأثر المشهور : « ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ؛ ولكن الزهد في الدنيا أن تكون بها في يد الله أوثق منك مما في يدك ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك » .

والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء :

أحدها : علم العبد أنها ظل زائل وخيال زائر ، وأنها كما قال الله تعالى فيها : ﴿ أَهْلَكُوا أَنَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ وَلَهُمْ وَرِثَةٌ وَفَقَاحَرٌ بَيْنَكُمْ وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوَّلُونَ كَمَثَلِ غَرَسٍ أَحَبَّ الْكَفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُخْضَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَبًا ﴾ [الحديد : ٢٠] ، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَلَا خَلْقَ بِهِ ثَابِتٌ إِلَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِنَّمَا لَفَتَتِ الْأَرْضُ وَخَرَفَتِهَا وَأَرْسِلَتْ



وَعَلَيْكُمْ أَمَلُهَا أَفْتُمْ تَدْرُسُونَ عَلَيْهَا أَمَلُهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَبِيدًا كَانَ لَمْ تَقَرَّ بِالْأَمَلِ كَذَلِكَ مَقْعِدُ الْآيَاتِ لِقَوْرِ يَنْفَكُرُونَ ﴿يونس: ٢٤﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَهَاءِ أَمْزَلَتُهُ مِنْ السَّمَاءِ فَانْهَلَتْ بِهَا نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ وَكَذَلِكَ أَفْتُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وسماها سبحانه «متاع الغرور»، ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين بها وحذرنا من مصارعهم، وذم من رضي بها واطمان إليها، وقال النبي ﷺ: «عالي وللدنيا، إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها»<sup>(١)</sup>.

وفي المستند عنه ﷺ حديث معناه: أن الله جعل طعام ابن آدم وما يخرج منه مثلاً للدنيا، فإنه وإن قُرَّحه وتلَّحه فليُنظر إلى ماذا يصير؟، فما اغتر بها ولا سكن إليها إلا ذو همة دنية وعقل حقير، وقدر خيس.

الثاني: علمه أن وراءها داراً أعظم منها قدرًا وأجل خطرًا وهي دار البقاء، وأن نسبتها إليها كما قال النبي ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فليُنظر به يرجع»<sup>(٢)</sup>، فالزاهد فيها بمنزلة رجل في يده درهم رُغِلَ قيل له: اطرحه فلك عرض مائة ألف دينار مثلاً، فالتقاء من يده رجاء ذلك الموضع، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زهد فيها.

الثالث: معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له منها، وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يُقَضَّ له منها، فمتى تبين ذلك وصار له به علم يقين هان عليه الزهد فيها، فإنه متى تبين ذلك وتلج له صدره، وعلم أن مضمونه منها

(١) أخرجه أحمد (٣٠١/١)، وصححه الألباني (٤٢٨) في «الصحيحة».

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٥٨).



سيأتيه ، بني حرصه وتعبه وكده ضائماً ، والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك ، فهذه الأمور الثلاثة تُسهّل على العبد الزهد فيها ، وثبت قدمه في مقامه ، والله الموفق لمن يشاء .

**النوع الرابع من أنواع الزهد :** الزهد في نفسك ، وهو أصعب الأقسام وأشقها ، وأكثر الزاهدين إنما وصلوا إليه ولم يلجوه ، فإن الزاهد يسهل عليه الزهد في الحرام لسوء مغيبته وفتح ثمرته ، وحمايةً لدينه وصيانةً لإيمانه ، وإثارةً للذة والتعظيم على العذاب ، وأنفةً من مشاركة الفجار والفجرة ، وحميةً من أن يستأثر لعدوه ، ويسهل عليه الزهد في المكروهات وفضول المباحات ؛ علمه بما يقوته بإثارها من اللذة والسرور الدائم والتعظيم المقيم .

**ويسهل عليه زهده في الدنيا** معرفته بما ورائها ، وما يطلبه من العوض النام والمطلب الأعلى ، وأما الزهد في النفس فهو ذُبْحُها بغير سكين ، وهو نوعان : **أحدهما :** وسيلةً وبدايةً ، وهو أن تميّتها فلا يبقى لها عندك من القدر شيء ، فلا تغضب لها ولا ترضى لها ولا تنصر لها ولا تتقم لها ، قد صِلت بِعَرْصِها ليوم فقرها وفائقها ، فهي أمون عليك من أن تنصر لها أو تنقم لها أو تحببها إذا دعيتك أو تكرمها إذا عصتكَ أو تغضب لها إذا دُئِت ، بل هي عندك أخسّ مما قيل فيها ، أو تُزَقِّها عما فيه حظُّك وفلاحك ، وإن كان صعباً عليها ، وهذا وإن كان ذُبْحاً لها وإماتةً عن طباعها وأخلاقها ، فهو عين حياتها وصحتها ، ولا حياة لها بدون هذا البتة .

وهذه العنبة هي آخرُ عتبةٍ يشرف منها العبد على منازل المقربين ، ويتحدر منها إلى وادي البقاء ، ويشربُ من عين الحياة ، ويخلص روحه من سجون المحن والبلاء وأسر الشهوات ، وتتعلق بربها ومعبودها ومولاها الحق ، فيا قرة عينها به ، ويا نعيمها وسرورها بقربه ، ويا يهبتها بالخلاص من عدوها ، واللجوء إلى مولاها ومالك أمرها ومتولي مصالحها



وهذا الزهد هو أول نقدة من مهر الحب ، فيا مفلس تأخر .

والنوع الثاني : غاية وكمال ، وهو أن يبذلها للمحبيب جملة ، بحيث لا يستبقى منها شيئاً ، بل يزهد فيها زهد المحب في قدر خسيس من ماله قد تعلقت رغبة محبوه به ، فهل يجد من قلبه رغبة في إمساك ذلك القدر وحبيبه عن محبوه ؟ ، فهكذا زهد المحب الصادق في نفسه قد خرج عنها وسلمها لربه ، فهو يبذلها له دائماً يتعرض منه لقبولها .

وجميع مراتب الزهد المتقدمة مبادئ ووسائل لهذه المرتبة ، ولكن لا يصح إلا بتلك المراتب ، فمن رام الوصول إلى هذه المرتبة بدون ما قبلها فمتعين متمن كمن رام الصعود إلى أعلى المنارة بلا سلم ، قال بعض السلف : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ، فمن ضيع الأصول حرم الوصول . اهـ كلال ابن القيم

أخي الحبيب . . إذا عرفت الزهد كما ينبغي ، وليس بعد كلام الإمام كلام ، ففرصتك في رمضان أن تشهد هذا المشهد ، خصوصاً أنك مُنَّان ، لقلة الطعام وقلة الشراب وقلة الفراغ ، والإجهاض من الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، هذه هي الحياة فازهد في الدنيا ووسائلها .

### المشهد الخامس : الإيثار :

شهر رمضان مدرسة عظيمة ، والدروس المستفادة من هذا الشهر وظائف العمر وذكريات في الحياة ، وهو تدريب عملي على مدار أيامه الثلاثين للفهم وتذوق هذه المعاني الإيمانية العالية لكي تكون الحياة على هذا النمط بعد رمضان ، لأن في هذه المداومة تربية للنفس وتخليص لها من آفاتها .

ومن الآفات التي يفيد الصيام في التخلص منها أجل فائدة : الشح ، لأن



النفس مجبولة عليه ، قال تعالى : ﴿ وَأَخْضِرْتُ الْأَنْفُسَ الشُّجَّ ﴾ [النساء : ١٢٨] ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُجَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] ، وقال سبحانه : ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِفْثَاقِ وَكَانَ الْإِنْسُ قَنُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٠] ، فشرع الله الصيام ولمدة شهر لعلاج هذا العرض ، وذلك بتعويد الإنسان على ضده وهو الإيثار .

وابن القيم - عليه رحمة الله أستاذ علم القلوب في مدرسة الربانية ، قد أفاد وأجاد فبدأ الكلام في هذا الباب وتفصيله في كتاب طريق الهجرتين أيضًا ، لنقل كلامه هنا بطوله بنصه ، لعل الله ينفعنا جميعًا به ، فبا بعد العلم إلا العمل ، فخذ هنيئًا مريئًا .

يقول رحمه الله : «الدين كله والمعاملة في الإيثار ، فإنه تقديم وتخصيص لمن تضره بما تضره به على نفسك ، وقيل : من أثر الله على غيره أثره الله على غيره» .

والإيثار إما أن يتعلق بالخلق ، وإما أن يتعلق بالمخالق ، وإن تعلق بالخلق فكماله أن تضرهم على نفسك بما لا يضرع عليك وقتًا ، ولا يفسد عليك حالًا ، ولا يهضم لك دينًا ، ولا يصد عليك طريقًا ، ولا يمنع لك واردًا ، فإن كان في إيثارهم شيء من ذلك ، فإنار نفسك عليهم أولًا ، فإن الرجل من لا يؤثر بنصيه من الله أحدًا كائنًا من كان .

وهذا في غاية الصعوبة على السالك ، والأول أسهل منه ، فإن الإيثار المحمود الذي أنشئ الله على قاعله : الإيثار بالدنيا لا بالوقت والدين وما يعود بصلاح القلب ، قال الله تعالى : ﴿ وَرَبُّنَا عَلَّمَ الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنَّا مِنْهُمْ خَصَصْنَاهُ وَمَنْ يُوقِ شُجَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

فأخير أن إيثارهم إنما هو بالشيء الذي إذا وقى الرجل الشُّجَّ به كان من



المفلحين ، وهذا إنما هو فضول الدنيا ، لا الأوقات المحصورة في الطاعات ، فإن الفلاح كل الفلاح في الشئ بها ، فمن لم يكن شحيحاً بوقته تركه الناس على الأرض عبثاً مقلساً ، فالشئ بالوقت هو عمارة القلب وحفظ رأس ماله .

ومما يدل على هذا أنه سبحانه أمر بالمسابقة في أعمال البر والتنافس فيها والمبادرة إليها ، وهذا ضد الإيثار بها ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَارِهُوا إِلَهُ مَثُورَ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَعَلْ عَمَلُهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُجْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، وقال تعالى : ﴿ فَاتَّبِعُوا الْهَيْمَةَ ﴾ [البقرة : ١٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكَ قَبَائِرُ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [المطعمين : ٢٦] ، وقال النبي ﷺ : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول لاستهزموا عليه »<sup>(١)</sup> أي : لكانت قرعة .

والقرعة إنما تكون عند التزاحم والتنافس لا عند الإيثار ، فلم يجعل الشارع الطاعات والقربات محلاً للإيثار ، بل محلاً للتنافس والمباقة ، ولهذا قال الفقهاء : لا يستحب الإيثار بالقربات .

فإن قيل : فما الذي يسهل على النفس الإيثار بالدنيا دون الآخرة ، فإن النفس مجبولة على الأثرة لا على الإيثار ؟ ، قيل : بسهله أمور :

أحدها : رغبة العبد في مكارم الأخلاق ومعاليها ، فإن من أفضل أخلاق الرجل وأشرافها وأعلامها الإيثار ، وقد جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه ومعيبته ، كما جبلها على بغض المستأثر ومقته ، لا تبديل لخلق الله ، والأخلاق ثلاثة : خلق الإيثار ، وهو خلق الفضل ، وخلق الفسدة والتسوية ، وهو خلق العدل ، وخلق الاستئثار والاستبداد وهو خلق الظلم .

فصاحب الإيثار محبوب مطاع مهيب ، وصاحب العدل لا ميل للنفس

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٠) ، ومسلم (٤٣٧) .



إلى أذاه والتسلط عليه ، ولكنه لا تنقاد إليه انقيادها لمن يؤثرها ، وصاحب الاستئثار النفوس إلى أذاه والتسلط عليه أسرع من السيل في خضوره ، وهل أزال الممالك رقلعها إلا الاستئثار ١٩ ، فإن النفوس لا صبر لها عليه ، ولهذا أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالسمع والطاعة لولاة الأمر وإن استأثروا عليهم ، لما في طاعة المستأثر من المشقة أو كره الاستئثار .

الثاني : النفرة من أخلاق اللثام ، ومقت الشح وكراهته له .

الثالث : تعظيم الحقوق التي جعلها الله سبحانه وتعالى للمسلمين بعضهم على بعض ، فهو يرعاها حق رعايتها ، ويخاف من تضييعها ، ويعلم أنه إن لم يذل فوق العدل لم يمكنه الوقوف مع حده ، فإن ذلك عسير جدًا ، بل لا بد من مجاوزته إلى الفضل أو التقصير عنه إلى الظلم ، فهو لخوفه من تضييع الحق والدخول في الظلم يختار الإيثار بما لا يتقصه ولا يضره ، ويكتسب به جميل الذكر في الدنيا وجزيل الأجر في الآخرة ، مع ما يجلبه له الإيثار من البركة وفيضان الخير عليه ، فيعود عليه من إثاره أفضل ما بذله ، ومن جرّب هذا عرفه ، ومن لم يجربه فليستقرئ أحوال العالم ، والموفق من وفقه الله سبحانه وتعالى .

### الإيثار المتعلق بعبادة الله :

والإيثار المتعلق بالمخالق أجل من هذا وأفضل ، وهو إيثار رضا على رضا غيره ، وإيثار حب على حب غيره ، وإيثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه ، وإيثار الذل له والخضوع والاستكانة والضراعة والتعلق على بذل ذلك لغيره ، وكذلك إيثار الطلب منه والسؤال وإنزال الفاقات به على تعلق ذلك بغيره ، فالأول أثر بعض العبيد على نفسه فيما هو محبوب له ، وهذا أثر الله على غيره ، وثقته من أعظم الأضيار ، فأثر الله عليها فترك محبوبها لمحبيب الله .



**وعلامة هذا الإيثار شيان :**

**أحدهما :** فعل ما يحب الله وإن كانت النفس تكرهه وتهرب منه .

**الثاني :** ترك ما يكرهه ربه وإن كانت النفس تحبه وتهواه .

فبهذين الأمرين يصبح مقام الإيثار ، ومزية هذا الإيثار شديدة لغلبة الأغيار وقوة داعي العادة والطبع ، فالمحنة فيه عظيمة والمؤنة فيها شديدة والنفس عنه ضعيفة ، ولا يتم فلاح العبد وسعادته إلا به ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، فحقيق بالعبد أن يسير إليه وإن صعب المرتقى ، وأن يشمر إليه وإن عظمت فيه المحنة ، ويحتمل فيه خطراً يسيراً لمُلكٍ عظيم وفوزٍ كبير ؛ فإن ثمرة هذا في العاجل والآجل ليست تشبه ثمرة شيء من الأعمال ، ويسير منه يُرقى العبد ، ويسيره ما لا يرقى غيره إليه في المُنَدِّ المتطاولة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولا تتحقق المحبة إلا بهذا الإيثار .

**والذي يسهله على العبد أمور :**

**أحدها :** أن تكون طبيعته لينة منقادة سلسة ليست بجانية ولا قاسية ، بل تنقاد معه بسهولة .

**الثاني :** أن يكون إيمانه واسعاً ودينه قوياً ، فإن هذا ثمرة الإيمان ونتيجته .

**الثالث :** قوة صبره وثباته . أم كلام ابن القيم - عليه رحمة الله -

ومشهد الإيثار مشهد عظيم رائع ، يظهر في رمضان أكثر من غيره ، فإن مجرد تركك للطعام والشراب رغم شهوتك الشديدة إلى تناول طلباً لرضا الله ، هذا هو معنى الإيثار ، فاشهد هذا المشهد ، وعامل الله به دوماً ، وقد ذكر لك الإمام معاني الإيثار بالنعام والكمال ، فما بقي عليك إلا العمل بعد اتقهم العميق للكلام ، هذه هي الجادة ؛ فهل من سالك ؟!



### المشهد السادس : استشعار المعاني الإيجابية للصوم :

بعض الناس يظن أن الصيام كبت وحرمان ، ولكني أقول لهم : إن الهدف من الصيام ليس الكبت والحرمان ، وإنما الصيام وسيلة إلى غاية نبيلة ، إنه التدريب على السيادة والقيادة ، قيادة النفس وضبط زمامها ، وكفها عن أهوائها ونزواتها ، بل إنه التماسي بتلك القيادة إلى أعلى مراتبها ، فلقد كنت في بحبوحة الإفطار إنما تحمي جوفك عن تناول السحت والخبيث ، فأصبحت في حظيرة الصيام تقطعه حتى عن الحلال الطيب .

ولقد كنت بالأمس تكف لسانك عن الشتم والإيذاء ، فأصبحت اليوم قصوته حتى عن رد الإساءة وعن إجابة التحريض والاستفزاز ، فإن خاصمك أحد أو شاتمك ، لم تزد على أن تقول : إني صائم ، هكذا ملكت بالصيام زمامي شهوتي وغضبي .

وإنه لصبر يجبر إلى صبر ، ونصر يقود إلى نصر ، فلئن كان الصيام قد علمك أن تصبر اليوم طائفاً مختاراً في وقت الأمن والرخاء ، فانت غداً أقدر على الصبر والمصابرة في البأساء والضراء وحين البأس ، ولئن كان الصيام قد علمك كيف تتصر اليوم على نفسك ، فلقد أصبحت به أجدر أن تتصر غداً على عدوك ، وتلك عاقبة التقوى ، التي أراد الله أن يرشحك لها بالصيام .

إن هذا الهدف الذي صورناه وحددناه ، إنما يقوم في منتصف الطريق الذي رسمه الله للمصائمين ، وإن في نهاية هذا الطريق هدفاً آخر ، بل أهدافاً أخرى أهم وأعظم .

وفي الحق أنه لو كان كل ما يطلب من الصائم هو أن يكف نفسه عن شهواتها وانفعالاتها ، ولم يكن أمامه عمل إيجابي جديد يسد به هذا الفراغ ، إذاً لكانت تجربة الصيام انتفاضاً للطاقة العاملة من ناحية ، دون إمداد لها من ناحية



أخرى ، وإذا كانت على حد تعبير العلماء « تخلية » بلا « تخلية » ، أو تجارة مأمونة الخسارة ، ولكنها لا ربح فيها ولا ضئمة .

فهل شريعة الصيام في الإسلام هي تلك الصور العارية الجرداء ؟

كلا . . إنها عبادة ذات شطرين ، وليس شطرها الأول إلا تهيئة وإعداداً لشطرها الثاني ، إنها شجرة جذعها الصبر ، ولكن الله لا يريد للصائم أن يترك هذا الجذع قاحلاً ماحلاً ، بل يريد أن ينبت على جوانبه أغصاناً من الشكر ، وأن يتج هامته بأوراق وثمار من الذكر والفكر ، وإن من تأمل كلمة التقوى التي عبر بها القرآن الكريم في حكمة الصيام ، يجدها منظومة على هذين الشطرين .

فهي في شطرها الأول : كف وإنهاء ، وابتعاد واجتناب .

لكنها في شطرها الثاني : إقبال واقتراب ، وإنشاء وبناء .

وإذا فليس الشأن كل الشأن في أن يغلق الصائم منافذ حسه ، ويسكت صوت الهوى في نفسه ؛ فذلك إنما يمثل إغلاق أبواب النيران ؛ ولكن الشأن الأعظم في أن يكون إغلاق منافذ الحس فتحاً لمسالك الروح ، وأن يكون إسكات صوت الهوى تمكيناً لكلمة الحق والهدى ، فذلك هي مفاتيح أبواب الجنان .

ومن كان في شك من أن هذا الجانب الإيجابي ، هو الهدف الأخير لشريعة الصوم ، فليقرأ كتاب الله يجد دلالة مبثوثة في تضاعيف آيات الصيام ، وليطالع سنة رسول الله ﷺ ، يجد معالم مسرورة في هديه النبوي نوراً وفعلاً ، والعجيب في هذا التوجيه أن الإسلام لم يترك الأمر بالصيام دعوة مرسلة ، بل وضع له مناهج معينة ، ورسم له خططاً مفصلة ؛ ذلك أنه لما جعل شهر الصيام موسمًا لانطلاق الروح من عقالها ؛ فتح فيه للأرواح بابين تتدفق منهما : باباً إنسانياً ، وباباً ربانياً .

فأما انطلاق الروح من الباب الإنساني : فذلك أنه أرشدنا إلى أن يكون



زهدنا في الطعام والشراب ليس قبضاً وإسكاتاً بالحفظ والادخار، بل بسطاً وسخاء باليذل والإيثار: لا قد أيا الصائم جوعتك، ولا تنقع غلتك فحسب، ولكن أطعم الجائع واسق الظمآن، وهذا هو الصوم كما فهمه إمامنا الأعظم صلوات الله عليه، فقد كان أجود ما يكون في رمضان، حتى إنه كان فيه أجود من الريح المرسلة.

وما زكاة الفطر في آخر رمضان إلا الحلقة الختامية، والمظهر العلني الجماعي لهذه الحركات النفسية الفردية، التي تحولت فيها فضيلة الصبر، إلى فضيلة الشكر، اتباعاً لإرشاد القرآن الكريم حين يقول: ﴿وَلْيُحْسِنُوا الصَّاتَةَ وَلْيُحْسِنُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مَا هَدَيْتُمْ وَلَكُمْ لَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأما انطلاق الروح في رمضان من الباب الرباني؛ فذلك أن الإسلام فتح فيه للطاعة مسالك سلوكية، ورسم لها سببلاً دلالاً، تسيح وتحميد، تكبير ونسجيد: ﴿وَلْيُحْسِنُوا اللَّهَ عَلَيْهِ مَا هَدَيْتُمْ﴾، نضرع وابتهاج، ودعاء وسؤال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ركوع وسجود، وقيام ونشيم ونهوض: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(١)</sup>، وما الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان إلا نهاية الشوط في السير، إقبالاً على الله وانقطاعاً بالكلية إليه: ﴿وَلَا تُكْسِرُوا فَرْقَ وَأَنْتُمْ عَنْكَ قَوْمٌ فِي التَّسْبِيحِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ألا وإن ذروة الأمر وبنائه في هذا الجانب الرباني، إنما هو في مناجاة الله بكلامه، وفي مدارس كتابه، كما كان يفعل الرسول المصطفى من البشر، والرسول المصطفى من الملائكة، إذ كانا يتدارسان القرآن في رمضان في كل عام، ولأمر ما نوه الله بهذه الصلة الوثيقة بين رمضان وبين القرآن، وجعلها

(١) مفتح عليه البخاري (٣٨)، مسلم (٧٦٠).



أولئ المناقب والمزايا التي اختص بها هذا الشهر المعظم ، فقال جلّت  
حكمت : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ  
الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] ؛ فكان ذلك إيماء لنا بأن نجعل حفظ رمضان من  
القرآن أوفر المحفوظ .

لما كان الأصل العمل والجهاد في سبيل الله ؛ فإن رسول الله ﷺ جاهد  
في رمضان ليصل إلى أعلى درجة في العبادة ، دائماً في المركز الأعلى ، فكان  
عند الموت يقول : «يَلِ الرِّفِيقَ الْأَعْلَى»<sup>(١)</sup> ، شرط بشرط ، ولكل سبعة ثمن .

أما صوم التَّوَم . . أما صوم البطالين . . فعالم هؤلاء والجنة ١٩

مالك أنت والمحبة وأنت أسير الحبة ، تعلقت بها تعلق الرضيع بالفطر ،  
والقوم ما أعاروها الطرف . . فالتبي ﷺ كان يصوم ويجاهد . . يصوم  
ويقوم . . يصوم ويتلو . . يصوم ويدعو . . يصوم ويصلي . . يصوم ويعلم . .  
يصوم ويتلقى القرآن ويعلمه ويدعو به وإليه . . يا بني أنت وامي ونفسي  
يا رسول الله ﷺ .

لذلك إخرته فإن الصيام ليس موسمًا للنوم ، إنك مسلم ، فلا بد أن تكون  
عالي الهمة تطلب القمة ، لأنك صاحب دين قيم . . في هذه الآية : ﴿قُلْ إِنِّي  
هَدَيْتُكُمْ نَوْاً لَّكُم مِّسْطَرًّا تَسْتَوُونَ وَيَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنَاكُمْ﴾ ، توجد قراءة أخرى وهي ديناً قيماً ،  
وذلك الدين القيم يجعلك حين تسلم وتستسلم : تصوم وتبذل جهداً وتسعين  
بأنه جل جلاله ، قال الله سبحانه : ﴿وَأَسْتَبِشُوا بِالْعُنَى وَالْمَبْلُوءُ﴾ [البقرة: ٤٥] ،  
أيها الناس . . أيها الإخوة . . أيها الأخوات . . إذا أردتم النجاح ، فاستعينوا  
بالصبر والصلاة . . والتزموا العبودية أينما حلّت ركائبها .

(١) مضيق عليه ، البخاري (٤١٧٦) ، مسلم (٢٤٤٤) .



### المشهد السابع : الجود والإحسان :

قال ابن عباس رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من شهر رمضان فيدارسه القرآن . كان رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة »<sup>(١)</sup>.

الله الكريم يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، قال سبحانه وتعالى : ﴿وَأَنَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى : ١١] ، ومن أسماء الله الحسنى « العنان » ؛ فهو سبحانه يحب المدح ، ورمضان شهر كثير البركات عظيم الخيرات ، تجاذ الله فيه على عباده بأنواع من النعم ؛ فوجب أن يكون للعبد في المقابل أنواع من الجود شكراً لهذه النعم ؛ أسوة بالنبي محمد ﷺ ؛ فإنه وإن كان أجود من الريح المرسلة في غير رمضان ؛ إلا أنه كان يصير أجود من ذلك في رمضان .

إننا نريد أيها الأخ الكريم أن تظهر لله أنواعاً من الجود في رمضان :

- أطعم الفقراء والمساكين ، من طعامك الذي تأكله على مائدتك أو أفضل .
- تصدق بصدقة من أعز ما تملك .
- أكرم فقيراً بأكثر مما يمتنى .

نريد منك مظاهر جود لم تحدث من قبل . . . اقسم عمر مائة مع الله ، وخرج أبو بكر من ماله كله ، فماذا أنت فاعل ؟  
واعلم أنه لم تستجلب نعم الله قط وإكرامه وفضله ببشر الجود وإكرام خلقه .



(١) أخرجه النسائي (٤/ ١٢٥) ، وصححه الألباني (٢٠٩٥) في « صحيح النسائي » .



# رَمَضَانُ وَالْقُرْآنُ

( شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ )

هُدًى لِلنَّاسِ

وَيَلَيِّنُ مِنَ الْهَدْيِ وَالْفُرْقَانِ )







## رمضان والقرآن

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

رمضان شهر القرآن العلاقة بينهما وثيقة والارتباط عظيم .

فلا بد من الحديث عن القرآن بتفصيل شديد والعناية به في هذا الشهر الفضيل عناية خاصة ولذلك إليكم هذا الفصل العاتق عن القرآن الكريم فاقروا بزوية ولا تتعجل كي تعمل .

القرآن . . كتاب الله الخالد ، الذي أخرج الله به هذه الأمة من الظلمات إلى النور فأنشأها النشأة الأولى وبدلها من بعد خوفها أمنا ، ومكن لها في الأرض ، ووهبها مقوماتها التي بها صارت أمة ، ولم تكن من قبل شيئا ، وهي بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان في الأرض ، ولا ذكر في السماء ، فلا أقل من شكر الله على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن . .

القرآن . . كتاب هذه الأمة ، هو روحها وباعثها ، وقوامها وكيانها ، وهو حارسها وراعياها ، وهو بيانها وترجمانها ، هو دستورها ومنهجها ، وهو زاد الطريق . .

ولكن ستظل هناك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن مالم تتمثل في حسنا ، ونستحضر في تصورنا أن هذا القرآن خطوبت به أمة ذات وجود حقيقي ، ووجهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة ، وأديرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية وفي رقعة من الأرض كذلك .



سيظل هناك حاجز مسبك بين قلوبنا وبين القرآن طالما نحن نتلوه كأنه مجرد تراويل تعبدية مهومة ، لا علاقة لها بواقع الحياة البشرية ، بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوسنا ووقائع وأحداثنا حية .

آيات متزلة من حول العرش ، فالأرض بهذه الآيات سماء وهذه الآيات لتلك السماء كواكب ، بل الجند الإلهي قد نشر له من الفضيلة علم ، وانضوت إليه من الأرواح مراكب ، أغلقت دونه القلوب فافتحم أفعالها ، وامتنعت عليه أعراف الضمائر فابتز أفعالها .

ضمائر العرب امتنعت عن القرآن بما استوعر فيها من العادات والأخلاق ، فتعد إليها وابتزها وغلبها على أمرها ..

كم صدوا عن سبيله صدًا ، ومن ذا يدافع السيل إذا هدر ؟ ، واعترضوه بالأسنة ردا ، ولعمري من يرد على الله القنبر ؟

الفاظ إذا اشتدت فأمواج البحر الزاخرة ، وإذا لانت فأنفاس الحياة الآخرة ، متى وُعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب . وإن أويهدت بعذاب الله جعلت الألسن ترعد من حُسن القلوب .

معان هي عذوبة ترريك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نسيم الجنان ، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان ، ترفُّ بندي الحياة على زهرة الضمير ، وتخلق في أرواحها من معاني العبرة معنى الميبر ..

يجري في الخواطر كما تصعد في الشجر قطرات الماء .

وينصل بالروح فكانما بُمدُّ لها بسبب إلى السماء ..

الفاظ لم تعهد كَلَمَ أحداقها ، وثمرات لم تُثبت في قَلَمِ أوراقها ، ونورٌ عليه رونق الماء فكانما اشتعلت به الغيوم ، وماءٌ بثلاً من الثور فكانما عُصِر من النجوم ..



وهل رأوا إلا كلاما نضيا الفاطحة كالمصاييح ، فعصفروا عليه بأنفواهم كما تعصف الرياح ، يريدون أن يطفئوا نور الله ، وأين سراج النجم من نطفة ترتفع إليه كأنما تذهب نطفه ، وأين نور القمر من كف يحسب صاحبها أنها في حجمه فيرفعها كأنما بخفيه !

وهيئات هيئات ، دون ذلك درج الشمس وهي أم الحياة في كف ، وإنزالها بالأيدي وهي روح النار في قبر من كهوف الزمن .

لا جرم أن القرآن سر السماء ، فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول ، ولذلك إن تمادى أهل الباطل في طغيانهم يعمهون ، فستظل آياته تلقف ما يافكرون ، ﴿قَوِّعَ لَكُمُ رِبَاطُ مَا كَاثُرًا يَسْأَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨] <sup>(١)</sup> .

### فضائل القرآن :

#### (١) القرآن رحمة :

قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ذِكْرُكَ فِي ذَٰلِكَ لَرَبِّكَ تُخْسِرُهُ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الأنعام: ١١] ، أولم يكن لهم أن يعيشوا مع السماء بهذا القرآن ، يشعرهم أن عين الله عليهم ، وأنه معني بهم ينزل عليهم كلامه ، يحدثهم بما في نفوسهم ، وهم هذا الخلق الصغير الضئيل النانه في ملكوت الله الكبير . .

والله بعد ذلك يكرمهم حتى أنه ينزل عليهم كلماته تتلى عليهم ، والذين يؤمنون هم الذين يجدون مس رحمة الله في نفوسهم ، وهم الذين يذكرون فضل الله وعظيم مته على البشرية بهذا التنزيل ، ويستشعرون كرمه وهو



يدعوهم إلى حضرته وإلى مائدته وهو العلي الكبير ، وهم الذين ينفعهم هذا القرآن ؛ لأنه يحيا في قلوبهم ، ويفتح لهم عن كنوزه ، ويمنحهم ذخائره ويشوق في أرواحهم بالمعرفة والنور ..

### (٢) القرآن طمانينة :

الإيمان بكلام الله والعيش معه طمانينة في القلب واستقامة على الطريق ، وثبات على الدرب ، وثقة بالسند ، واطمئنان للرجى ، ووقن بالعاقبة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [نور: ٥٨] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ يُكْتَبُ تَنْزِيلُهَا مَثَانٍ نَقْشُورٌ وَتِلْكَ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِنَّكَ ذَكِّرٌ لَّهُمْ ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ [النور: ٣٣] .

الحياة في ظلال القرآن نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها ، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه ، أي تكريم للإنسان يفوق هذا التكريم العلوي الجليل أن يخاطبه الله جل جلاله ويفهم ١٩ ، أي نعمة أعظم من نزول القرآن ١٩ ، نعمة لا يسعها حمد البشر ، فحمد الله نفسه على هذه النعمة فقال جل جلاله : ﴿ نَحْمَدُكَ يَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَى عَبْدِكَ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١] .

أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل ؟ ، أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان القليل الصغير خالقه الكريم ؟

هي منة الله على الإنسان في هذه الأرض .. البينة التي وُلد الإنسان معها ميلاداً جديداً ، ونشأ بها الإنسان نشأة جديدة ..

وليس أشقى على وجه الأرض ممن يُحزمون طمانينة الأنس إلى الله ، ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتور الصلة بما حوله في الكون ، لأنه



انفصم من العروة التي تربطه بالله ، ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه وحيداً شاردًا في فلاة ، عليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هاد ولا معين . . هذا القرآن العجيب ، الذي لو كان من شأن قرآن أن تسير به الجبال أو تقطع به الأرض أو يكلم به الموتى ، لكان في هذا القرآن من الخصائص والمؤثرات ما تتم معه هذه الخوارق والمعجزات ، ولكنه جاء لخطاب المكلفين الأحياء .

### (٣) القرآن صانع الرجال :

لقد صنع هذا القرآن في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسير الجبال وتقطع الأرض وتكليم الموتى ، ولقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم وأبعد آثارًا ، فكم غُيِّرَ الإسلام والمسلمون من وجه الأرض ، إلى جانب ما غيروا من وجه التاريخ .

الذين تلقوه وتكيفوا به سبروا ما هو أضخم من الجبال وهو تاريخ الأمم والأجيال ، وقطعوا ما هو أصليب من الأرض ، وهو جهود الأفكار والتقاليد ، وأحبوا ما هو أخمد من الموتى ، وهو الشعوب التي قتل روحها الطغيان والأرهاب .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] ، يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ، بين ظاهر الإنسان وباطنه ، في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، في علاقات الناس بعضهم ببعض . .

### (٤) القرآن شفاء :

قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] ، في القرآن شفاء ، وفي القرآن رحمة لمن خالطت



قلوبهم بشاشة الإيمان فأشرق ، وتفتحت لتلقي ما في القرآن من روح وطمأنينة ..

وفي القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة ، فهو يصل القلب بالله ، فيرضى ويستروح الرضا عن الله والرضا عن الحياة .

والقلق مرض ، والحيرة نصب ، والوسوسة داء ، ومن ثم هو راحة للمؤمنين ..

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان .

وفي القرآن شفاء من الانحجافات المختلفة في الشعور والتفكير ، فهو يعصم العقل من الشطط .

وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخلخل بناء المجتمعات .

#### (٥) القرآن حماية بعد الهداية :

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَقْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ يَقْبِضْ لَمْ شَبَعْنَا لَهُمْ قَرِينَ﴾ [الزخرف : ٣٦] ، وأسوأ ما يفعله قرين بقرينة أن يصدّه عن السبيل الواحدة القاصدة ، ثم لا يدعه يفيق أو يتبين الضلال فيتوب ، إنما يوجهه أنه سائر في الطريق القاصد القويم ، حتى تفاجئهم النهاية وهم سادرون ، هنا يفيقون كما يفيق المخمور ، ويفتحون أعينهم بعد العشى والكلال .

فالقرآن يحميك في طريقك إلى الله ، ويصرف عنك شياطين الجن ، ويعطيك من الحجة ما تغلب به شياطين الإنس .

#### (٦) القرآن حياة القلوب :

وقال تعالى : ﴿وَأَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ



الْحَقِّ ﴿[الحديد: ١٦] ، لا يَأْسُ مِنْ قَلْبٍ حَمْدٍ وَجْدٍ وَقَسَا وَتَبَلَّدَ ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَدْبُ فِيهِ الْحَيَاةُ ، وَأَنْ يَشْرِقَ فِيهِ النُّورُ ، وَأَنْ يَخْشَعَ لِذِكْرِ اللَّهِ ، فَاللَّهُ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، فَتَنْبُضُ بِالْحَيَاةِ ، وَتَزْخَرُ بِالنَّبَاتِ وَالزَّهْرِ ، وَتَمْنَعُ الْأَكْلَ وَالشَّعَارَ ، وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ حِينَ يَشَاءُ اللَّهُ ، وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ مَا يَحْيِي الْقُلُوبَ ، كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ وَمَا يَمْدُّهَا بِالْغِذَاءِ وَالرِّيِّ وَالْدَفْعِ .

قال تعالى : ﴿قُلْ ، آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٨] ، هُمْ لَا يَسْجُدُونَ وَلَكِنْ : ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ، لَا تَكْفِي الْأَلْفَاظُ فِي تَصْوِيرِ مَا يَجِيشُ فِي صُدُورِهِمْ مِنْهُ ، فَإِذَا الدِّمُوعُ تَنَطَّلَتْ مَعْبَرَةً عَنْ ذَلِكَ التَّأَثُّرِ الْغَامِرِ الَّذِي لَا تَصُورُهُ الْأَلْفَاظُ . .

هذا أثر القرآن في القلوب المفتوحة لاستقبال فيضه ، العارفة بطبيعته وقيمته ، وإني لأعجب لقراء القرآن كيف يبتهم النوم ومعهم القرآن ، أما والله لو علموا ما حملوا لطار النوم عنهم فرحًا .

### رمضان والقرآن :

قال ابن رجب تكللت في الطائفة المعارف : « الصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها ، سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها ، أو لا يختص كشهوة فضول الكلام المحرمة ، والنظر المحرم والسمع المحرم ، والكسب المحرم » ، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيامة ، ويقول : يا رب . . منعت شهواته فشغفني فيه ، فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته ، فأما من خشي صيامه ولم يمنعه مما حرم الله عليه ، فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ويقول له : ضيعك الله كما ضيعتني .



قال بعض السلف : إذا احتضر المؤمن يقال للملك : شُـمَّ رأسه ، قال : أجد في رأسه القرآن ، فيقال : شُـمَّ قلبه ، فيقول : أجد في قلبه الصيام ، فيقال : شُـمَّ قدميه ، فيقول : أجد في قدميه القيام ، فيقال : حفظ نفسه حفظه الله عز وجل .

وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل ، من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له ، أما من كان معه القرآن نيام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار ، فإنه ينتصب القرآن خصماً له يطالبه بحقوقه التي ضياعها . اهـ .

وقد كان النبي ﷺ أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة<sup>(١)</sup> .

قال ابن رجب : « دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك ، وعرض القرآن على من هو أحفظ له ، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان .

وفي الحديث أن المداومة بين جبريل عليه السلام وبين النبي ﷺ كانت ليلاً ، فيدل ذلك على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن ليلاً ، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم ، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى : ﴿إِنَّ كَثِيرَةً مِنَ النَّاسِ وَفَتْهُوا الْأُصُولَ وَالْأَوَّلَ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦] . اهـ .

قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة »<sup>(٢)</sup> ، وقال ﷺ : « يأتي القرآن يوم القيامة فيقول : يا رب حلّه ، فيلبس تاج

(١) متفق عليه ، البخاري (٦) ، ومسلم (٢٣٠٨) .

(٢) أخرجه أحمد (١٠٣/٤) ، وصححه الألباني (٦٤٤) في «الصحيحة» .



الكرامة، ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس تحلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنده ، فيرضى عنه ، فيقول : اقرا وارزق ، ويزاد بكل آية حسنة<sup>(١)</sup>.

قال أحمد بن الحواري : إني لأقرأ القرآن وأنظر في آية فيخير عقلي بها ، وأعجب من حفاظ القرآن كيف ينيهم النوم ، ويسمهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله ، أما إنهم لو فهموا ما يتلون ، وعرفوا حظه وتلذذوا به ، واستحلوا المناجاة به ، لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا .

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن . .

وكان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم .  
وكان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء في كل ليلة من رمضان . .

وقال ربيع بن سليمان : كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان سنين ختمة ، ما منها شيء إلا في صلاة .

وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع مرة ، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة ، فإذا دخل العشر ختم في كل ليلة مرة . .

وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة ، وفي بقية الشهر في ثلاث . .

وكان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين ، وفي غير رمضان في كل ستة ليال . .

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٥) ، وحسنه الألباني (٨٠٣٠) في صحيح الجامع .



### إخوتاه ..

هذا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن عباد الله ، وفي بقية للعابدين مستمتع ، وهذا كتاب الله ينلى فيكم بين أظهركم ويستمع .  
وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأته خاشعاً يتصدع ، ومع هذا فلا قلب يخشع ، ولا عين تدمع ، ولا صيام يمان عن الحرام فيضع ، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع ، وتراكت علينا ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع ..

كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة ، وكم يتوالى علينا رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشفوة ، لا الشاب منه يتهي عن الصبوة ، ولا الشيخ يتزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة ، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة ، وإذا نليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة ، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار ، أقمنا فيهم أسوة ؟ ، ما بيننا وبين حال الصفا أبعاد مما بين الصفا والحروة ، كلما حسنت بشا الأفعال ساءت الأعمال ..

فهل من توبة صادقة وعزيمة ماضية .. نتلو كتاب الله بالتدبر والفهم فيكون لنا شافعاً عند ربنا فيرفع ما بنا من غمة ..

ها لنفهم القرآن مع كيفية تحصيل لذة القرآن :

### أبها الإخوة ..

إذا عرفنا الآن أهمية القرآن في العودة بالامة .. وعرفنا كيف نحفظه ونعلمه كما حفظه الصحابة ، لتربى عليه وعرفنا ما هو المطلوب منا بالنسبة للقرآن في نقاط محددة .. بقي أن نعرف كيف نحصل لذة تلاوته وقراءته ، لاسيما ونحن في شهر القرآن .



### تحصيل لذة التلاوة وقراءة القرآن<sup>(١)</sup> :

اعلم أن هذه اللذة لن تحصل إلا بتوافر آداب ظاهرة وآداب باطنة عند تلاوة القرآن العظيم . .

#### أما الآداب الظاهرة :

##### (١) آداب في القارئ :

أن يكون القارئ على وضوء ، وأن يكون واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً ، مستجب القبلة ، مطرقاً برأسه ، غير متربع ولا متكئ ، ولا جالساً على هيئة التكبر ، فإن قرأ على غير وضوء أو كان مضطجعا في فراشه ؛ كان له أيضا فضل ؛ ولكنه دون ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ رَتَقَ حُكْرَهُمْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، فأنشئ على الكل ؛ ولكن قدم القيام في الذكر ، ثم الفعود ، ثم الذكر مضجعا .

##### (٢) آداب في مقدار القراءة :

وللقراءة عادات مختلفة ، في الاستكثار والاختصار ، والمأثور عن عثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي أنهم كانوا يختمون القرآن في كل جمعة ، يقسمونه سبعة أحزاب .

##### (٣) الترتيل :

الترتيل هو المستحب في تلاوة القرآن ؛ لأننا سنبين أن المقصود من القراءة التفكير ، والترتيل معين عليه ؛ ولذلك نعتت أم سلمة رضي الله عنها عنها قراءة

(١) انظر : إحياء علوم الدين) للغزالي (١/٢٧٧-٢٨٨) باختصار .



رسول الله ﷺ ؛ فإذا هي تمت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً ، قال ابن عباس رضي الله عنه : لأن اقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذومة ، وجلي أن الترتيل والتؤدة أقرب إلى التوفير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذومة والاستعجال .

#### (٤) البكاء :

وهو مستحب مع القراءة ، ومشوّه الحزن ؛ وذلك أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد ، والموائيق والمعهود ، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره ؛ فيحزن لا محالة ويكي .

#### (٥) أن يراعي حق الآيات :

فإذا مر بآية سجدة سجد ، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي ، ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة ، وقد قيل في كمالها : إنه يكبر رافعاً يديه لتحريمه من وقوف ثم يهوي ساجداً ، ثم يرفع ويستكمل القراءة .

#### (٦) آداب الترتيل :

أن يقول في مبتدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وفي أثناء القراءة إذا مر بآية نسيح مسح وكبر ، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر ، وإن مر بمرجؤ سأل ، وإن مر بمخوف استعاذ ، يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه .

#### (٧) الأسرار بالقراءة :

فهو أبعد عن الرياء والتصنع ؛ وهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه ، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش على مُصل ؛ فالجهر أفضل ؛ لأن العمل فيه أكثر ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ، ويجمع همه إلى الفكر



فيه ، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت ، ويزيد في تشاطه للقراءة ، ويقلل من كسله ، فمتى حضره شيء من هذه النيات ؛ قال جهر أفضل .

### (٨) تحسين القراءة :

وترتيبها من غير تمطيط مفروط يغير النظم ؛ فذلك شئ ، وفي الحديث : « زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ »<sup>(١)</sup> ، وفي آخر : « ليس منا من لم يَتَنَنَ بِالْقُرْآنِ »<sup>(٢)</sup> ، قليل ؛ أراد به الاستغناء ، وقيل : أراد به الترنم وترديد الألحان به ، وهو أقرب عند أهل اللغة ، واستمع ﷺ إلى قراءة أبي موسى فقال : « لقد أوتي هذا من مزامير آل داود »<sup>(٣)</sup> ، ويروى أن أصحاب الرسول ﷺ كانوا إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن .

### وأما الآداب الباطنة :

#### (١) فهم عظمة الكلام :

فهم عظمة الكلام وعلوه والاعتراف بفضله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إلهام خلقه ، فليُنظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أفهام خلقه ؟ ، وكيف تجلت لهم تلك الصفة في خلق حروف وأصوات هي صفات البشر ، إذ بمنجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ، ولولا استار كثرة جلاله كلامه يكسو الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ، ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسُبُحات نوره ، ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى ﷺ ، لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار ذكاً .

(١) مضع عليه ، البخاري (٤٦٥٣) ، مسلم (٧٩٢) .

(٢) البخاري (٧٠٨٩) .

(٣) مضع عليه ، البخاري (٤٧٦١) ، مسلم (٧٩٣) .



لا بد لك أيها التالي للقرآن أن تعرف أن القرآن كلام الله وأن صفة التكليم من صفات الجلال للرب جل وعلا ، وربيك جل جلاله إذا تجلّى لشيء لم يقم لعظمة جلاله سبحانه شيء ، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْعَبِيدِ جَعَلَهُمْ دَسَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَوِقًا فَلَمَّا أَكْفَى قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتِ الْإِلَهِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

فافهم واعرف أيها الحبيب المحب أن صفة الكلام من صفات الملك جل جلاله ولها عظمة من عظمته سبحانه ، وكما أنه سبحانه كما ثبت في الحديث أن «حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما امتد إليه بصره من خلقه»<sup>(١)</sup> ؛ فلا بد من حجاب لهذه الصفة .

فجعل الله وهو الرحيم بعباده الكريم الحروف والأصوات كأنها حجاب لصفة الكلام ؛ لتستطيع القلوب والعقول مطالعة هذه الصفة وإلا لصار الخلق دكا كما جرى للجبل ، قال سبحانه : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خُسْفًا فَتَضَرَّعًا وَمِنْ خَشْيَةٍ﴾ [الحشر: ٢١] .

فاحمد الله أيها التالي للقرآن على هذه المنة العظيمة أن تتمكن من تلاوة القرآن الذي هو كلام الله ، والكلام صفة من صفات الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧] .

### (٢) التمعّن للمتكلّم :

فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلّم ، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر ، وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر ، فإنه تعالى قال : ﴿لَا يَسْمُؤُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الروعد: ٧٩] ، وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان

(١) أخرجه ابن ماجه ، وصححه الألباني (١٨٦٠) في «صحيح الجامع» .



متطهرًا ، فباطنٌ معناه أيضًا بحُكم عزّه وجلاله محجوبٌ عن باطن القلب إلا إذا كان القلب منظرًا من كل رَجَس ، ومستيرًا بنور التعظيم والتوقير .

وكما لا يصلح لِقَسْ جِلْدِ المصحف كلُّ يَدٍ ، فلا يصلح لتلاوة حروفه كلُّ لسان ، ولا لنبل معانيه كلُّ قلب .

فتعظيمُ الكلام تعظيمٌ للمتكلم ، ولن تُخضِرَه عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله ، فإذا حضر بباله العرشُ واستواءُ رُبّه عليه ، والكرسيُّ الذي وَسِعَ السموات والأرض ، واستحضر مشهد السموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار ، وعلم أن المخلوق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد ، وأن الكل في قبضته مترددون بين فضله ورحمته ، وبين نقمته وسطوته ، إن أنعم بفضله ، وإن عاقب بعبده ، وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي ، وهذا غاية العظمة والتعالي ، فبالفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ومن ثم تعظيم الكلام .

### (٣) حضور القلب وترك حديث النفس :

قيل في تفسير : ﴿وَيَتَذَكَّرُ الْوَكِيلُ﴾ [سجدة : ١٢] ، أي بجِدِّ واجتهاد ، وأخذُه بالجد أن يكون متجردًا له عند قراءته منصرف الهمّة إليه عن غيره ، وقيل لبعضهم : إذا قرأت القرآن تُحدّث نفسك بشيء ؟ ، فقال : أو شيء أحبُّ إليّ من القرآن حتى أُحدّث به نفسي !

وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية .

وهذه الصفة تتولد عمدًا قبلها من التعظيم ، فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان



الثاني أهلاً له ، فكيف يُطلَّبُ الأنس بالفكر في غيره وهو متنزه ومتفرج ، والذي يضرع في المتزهات لا يفكر في غيرها ، فقد قيل : إن القرآن ميادين ، وبساتين ، ومقاصير ، وعرائس ، وديابيج ، ورياض .

فإذا دخل القارئ الميادين ، ونظف من البساتين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرائس ، ولبس الديباج ، وتنزه في الرياض ، استغرقه ذلك وشغله عما سواه ، فلم يعزب قلبه ، ولم يفرق فكره .

#### (٤) التدبر :

وهو وراء حضور القلب ، فإنه قد لا يفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه ، وهو لا يتدبره ، والمقصود من القراءة التدبر ، ولذلك من الترتيل في الظاهر لينمكّن من التدبر بالباطن .

قال علي عليه السلام : لا خير في عبادة لا يفقه فيها ، ولا في قراءة لا تدبر فيها . وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بتريد الآية فليردد إلا أن يكون خلف إمام ، فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئاً ، مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه ، وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس .

روي عن عامر بن عبد نيس أنه قال : الوسواس يعتريني في الصلاة ، فقبل : في أمر الدنيا ؟ فقال : لأن تختلف في الأمثلة أحب إلي من ذلك ؛ ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل ، وأني كيف أنصرف ، فعند ذلك وسواساً ، وهو كذلك ؛ فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه ، والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بهمهم ديني ، ولكن يمنعه به عن الأفضل .

وعن أبي ذر قال : قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي :



﴿إِنْ تَعْلَمُهُمْ فَلَا تَعْلَمُهُمْ عِبَادُكَ رَبِّ إِنْ تَقَرَّرَ لَهُمْ فَأَنْتَ أَلَمْرِيضُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة : ١١٨] ،  
وقام تميم الداري ليلة هذه الآية : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ ابْتَعَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَتَحَلَّفَهُمْ  
كَالَّذِينَ آمَنُوا وَصَلُوا الصَّالِحِينَ سَوَاءٌ نَجَّيْنَهُمْ وَمَعَانَهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [البقرة :  
٢٦] ، وقام سعيد بن جبير يردد هذه الآية : ﴿وَأَمْسُوا أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس :  
٥٩] ، وقال بعضهم : إني لأفصح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ  
منها حتى يطلع الفجر .

وكان بعضهم يقول : آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعُدُّ لها ثواباً ،  
وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال : إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال  
أو خمس ليال ، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها .

وعن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من  
التدبر فيها ، وقال بعضهم : لي في كل جمعة ختمة ، وفي كل شهر ختمة ، وفي  
كل سنة ختمة ، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد ، وذلك بحسب  
درجات تدبره وتفتيشه ، وكان هذا أيضاً يقول : أفتت نفسي مقام الأجزاء ،  
فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسافهة . (يعني باليومية فهناك ختمة  
يومية . ومجامعة : يعني كل جمعة . ومشاهرة : يعني كل شهر . ومسافهة :  
يعني كل سنة) .

### (٥) التفهم :

وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها ؛ إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات  
الله عز وجل ، وذكر أفعاله ، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام ، وذكر أحوال  
المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة  
والنار .

أما صفات الله عز وجل فبكتوبه تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَيُؤْتِي السَّبِغَ



الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١]، وكقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيمُ  
الْقُدُّوسُ السَّامِعُ الْمُؤْمِنُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْمُبْتَدِئُ الْمُتَعَدِّ السَّابِقُ  
يُتْرَكُونَ» [الحشر: ٢٣]، فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات ليتكشف له  
أسرارها، فتحتها معاني مدفونة لا تنكشف إلا للمؤمنين، وإليه أشار علي  
رضي الله عنه بقوله لما سئل: هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء سوى القرآن؟  
فقال: لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عبدا فهما في كتابه،  
وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها، فليفهم التالي  
منها صفات الله عز وجل جلاله، إذا الفعل يدل على الفاعل فتدل على  
عظمته.

وأما أحوال الأنبياء ﷺ: فإذا سمع منها كيف كذبوا وضربوا وقُتل  
بعضهم؛ فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم،  
وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيء، وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر  
فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق.

وأما أحوال المكذبين، كعاد وعود وما جرى عليهم، فليكن فهمه منه  
استشعار الخوف من سطوته وقمته، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه، وأنه  
إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تتركه النعمة وتنفذ فيه القضية،  
وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن، فلا يمكن استقصاء  
ما يفهم منه لأن ذلك لا نهاية له، وإنما لكل عبد من القرآن بقدر رزقه: ﴿وَقُلْ  
لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِبَنِيَامٍ مُدَادًا﴾  
[الكهف: ١٠٩].

فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لنبفتح بابيه، فأما الاستقصاء  
فلا مطمع فيه، ومن لم يكن له فهم في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في



قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ لَهْكَ حَقًّا إِنَّا خَرُّوْا مِنْ جَنْبِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ عَلَىٰ أَرْبَعٍ أَلَّذِينَ مَلَجَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [مجادل : ١٦] ، والطابع هي الموانع التي تذكرها في موانع الفهم .

### (٦) التخلي عن موانع الفهم :

لا بد من التخلي قبل التحلية ، فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم ، فغُشيت عليهم عجائب أسرار القرآن .

### وحجب الفهم ثلاثة :

أولها : أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها ، وهذا ينزل حفظه شيطان وتُكَلَّ بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف ، يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه ، فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تكشف له المعاني ؟ ، وأعظم ضحكة للشيطان ممن كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس .

ثانيها : أن يكون مقلداً لمذهب سمي بالتقليد ، وجد عليه ، وثبت في نفسه النعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة ، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يتجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده ، فنصار نظره موقوفاً على مسموعه .

فإن لمع له برق على بعد ، وبدأ له معنى من المعاني التي تبين مسموعه ، حمل عليه شيطان التقليد حملاً وقال : كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك ، فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويتحرز عن مثله ، ومثله من يقرأ قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] ، وما يحثونه



معنى الآية من علو الله عز وجل على كل مخلوقاته وهيئته وتصرفه في كل الموجودات ، فيجيئه تقليد المعتقدات الموروثة في التأويل ووجوب تزييه الله عن الجهة ، فيحرم من تجليات تأمل صفة العلو والاستواء ، وهي من الصفات التي تكررت في القرآن بغرض التشبيه على جلال الله وعظمته وحقيقة علوه على خلقه .

ثالثها : أن يكون مُصِراً على ذنب أو متصفاً بكبير أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع ؛ فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدته ، وهو كالخبث على المرأة ، وهو أعظم حجاب للقلب ، وبه حجب الأكررون .

وكلما كانت الشهوات أكثر تراكمًا كانت معاني الكلام أشد احتجابًا ، وكلما خف عن القلب أفعال الدنيا ، قُرب تجلي المعنى فيه ، فالقلب مثل المرأة ، والشهوات مثل الصدا ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرأة ، والرياضة للقلب بإماعة الشهوات مثل تصفيل الجلاء للمرأة ، وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير فقال تعالى : ﴿ تَبَيَّرُوا وَذَكِّرْ لِكُلِّ عَبْدٍ مُبِينٍ ﴾ [ق : ٨] ، وقال تعالى : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ أَتَمَّا أَنْتُمْ أَزْوَاجُ لِكُلِّ بَيْنَ رَيْبٍ كُنَّ هُوَ أَهْمٌ إِمَّا يَنْفَكُّ لِرُؤُوسِ الْأَكْبَابِ ﴾ [الرحمة : ١٩] ، فالذي أثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة ؛ فليس من ذوي الألباب ؛ ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب .

#### (٧) التخصيص :

وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن ، فإن سمع امرأ أو نبيا قَدَّرَ أنه هو المنهي والمأمور ، وإن سمع وعدًا أو وعيدًا فكمثل ذلك أن هذا الرعيد يُخَفِّضُهُ ، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء عَلِمَ أن السمر غير مقصود ، وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعفه ما يحتاج إليه ، فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي ﷺ وأمنه ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَكَلَّا



فَقُصِّ حَتَّىٰ مِنْ أَهْلِ الرُّسُلِ مَا تَثْبُتُ بِهِ مُؤَادُكَ رَجَاءُكَ فِي هَلْوَ الْحَقِّ وَمَوْجِظَةُ وَذِكْرَيْنِ  
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿[هود : ١٢٠]﴾ ، فَلْيَقْدِر الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ ثَبَّتَ فَوَادَهُ بِمَا قَصَّ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ  
الْأَنْبِيَاءِ وَصَبْرِهِمْ عَلَى الْإِذَاءِ وَثَبَاتِهِمْ فِي الدِّينِ لَانْتِظَارِ نَصْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

وكيف لا يُقْدِرُ هَذَا وَالْقُرْآنَ مَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِرَسُولِ اللَّهِ  
خَاصَّةً ؛ بَلْ هُوَ شِفَاءٌ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ وَنُورٌ لِلْعَالَمِينَ ؛ وَلِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى  
الْكَافَّةَ بِشُكْرِ نِعْمَةِ الْكِتَابِ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ  
مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِبَيِّنَاتٍ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿لَقَدْ أُنْزِلَ  
إِلَيْكُمْ كِتَابٌ فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَأُنْزِلْنَا  
إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ١٤] ، وَقَالَ  
سُبْحَانَهُ : ﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر : ٥٥] ، وَقَالَ عَزَّ  
وَجَلَّ : ﴿هَذَا يَكُنَّ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَنُورٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وَإِذَا قُصِدَ بِالْخُطَابِ جَمِيعُ النَّاسِ فَقَدْ قُصِدَ الْأَحَادُ ، فَهَذَا الْقَارِئُ الْوَاحِدُ  
مَقْصُودٌ ، فَعَالَهُ وَلِسَانُ النَّاسِ ، فَلْيَقْدِرْ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَأُورِثُ  
إِلَّا هَٰذَا النَّاسُ لَا يُؤْخِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَّغَ﴾ [الأنعام : ١٩] ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ :  
مَنْ بَلَّغَهُ الْقُرْآنَ فَكَانَ مَا كَلَّمَهُ اللَّهُ ، وَإِذَا قَدِّرْ ذَلِكَ لَمْ يَتَّخِذْ دِرَاسَةَ الْقُرْآنِ عَمَلَهُ ،  
بَلْ يَفْرُوهُ كَمَا يَقْرَأُ الْعَبْدُ كِتَابَ مَوْلَاهُ الَّذِي كَتَبَهُ لَهُ لِيَتَأَمَّلَهُ وَيَعْمَلَ بِمَقْتَضَاهُ ،  
**وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ :** هَذَا الْقُرْآنَ رِسَالٌ أَمْتَنَا مِنْ قَبْلِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ بِعُهُودِ  
نَتَذَكَّرُهَا فِي الصَّلَوَاتِ وَنَتَقَفُّ عَلَيْهَا فِي الْخَلَوَاتِ وَنَتَقَلَّدُهَا فِي الطَّاعَاتِ وَالسِّنَنِ  
الْمُتَّبِعَاتِ ، وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُولُ : مَا زَرَعَ الْقُرْآنَ فِي قُلُوبِكُمْ يَا أَهْلَ  
الْقُرْآنِ ؟ ، إِنَّ الْقُرْآنَ رِيعُ الْمُؤْمِنِ كَمَا أَنَّ الْغَيْثَ رِيعُ الْأَرْضِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ : لَمْ  
يَجَالِسْ أَحَدٌ الْقُرْآنَ إِلَّا قَامَ بِزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا  
هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء : ٨٢] .



## (٨) الناصر :

وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل آية يقرأها فهم وحال يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها ، ومهما تمت معرفته كانت العشية أغلب الأحوال على قلبه ، فإن التقيد غالب على آيات القرآن ، فلا يرى ذكر المغفرة إلا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نبيلها كقوله عز وجل : ﴿وَلِيَّ لَفَنَّا﴾ ثم أتبع ذلك بأربعة شروط : ﴿لَسَنَّا وَبَآئِنَ وَهَلْ سَلَمًا ثُمَّ أَهْبَنَ﴾ [طه : ٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا ۝٢﴾ [الأنشور : ١-٢] ، ذكر أربعة شروط ، وحيث اقتصر شرطاً جامعاً ، فقال تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَكَ أَلَّا قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، فالإحسان يجمع الكل ، وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ، ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله العشية والحزن .

ولذلك قال الحسن : والله ما أصبح اليوم عبداً يتلو القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه ، وقل فرجه ، وكثر بكائه ، وقل ضحكته ، وكثر نضبه وشغله ، وقلت راحته وبطالته .

وقال وهيب بن الورد : نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق للقلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من قراءة القرآن ، وتفهمه ، وتدبره ، فتأثر العبد بالنلاوة أن يصير بصفة الآية المثورة .

**فعند** الوعيد وتقيد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت ، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح .

**وعند** ذكر الله صفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته .



**وعند** ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذاكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة - تعالى الله عن ذلك - يفيض الصوت وينكسر في باطنه حياة من قبح مقالته ، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا إليها .

**وعند** وصف النار ترتعد فرائضه خوفا منها ، ولما قال رسول الله ﷺ لابن مسعود : « اقرأ هلي » قال : فافتتحت سورة النساء ، فلما بلغت : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] ، رأيت عينه تذرفان بالدمع ؛ فقال لي : « حسبك الآن »<sup>(١)</sup> ؛ وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ﷺ .

ولقد كان من الخائفين من خُرْ مغشيا عليه عند آيات الوعيد ، ومنهم من مات في سماع الآيات .

فمثل هذه الأحوال يخرجها عن أن يكون حاكيا في كلامه ، فإذا قال : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ مَسَسْتُ رَبِّي مُدَّابِّ يَوْمٍ فَظِيرٍ ﴾ [الأنعام : ١٥] ، ولم يكن خائفا كان حاكيا .

وإذا قال : ﴿ رَبَّنَا مَبِّحْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَأَلْزَمْنَا إِلَهُكَ الْمَغْبِطُ ﴾ [المستحقة : ٤] ، ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكيا .

وإذا قال : ﴿ وَلَقَدْ صَبَّرَ عَلَى مَا عَادِيَتْهُنَّ ﴾ [البراهيم : ١٢] ، فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلالة التلاوة .

فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات ؛ كان حفظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللحن على نفسه في قوله تعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقُوءًا وَعَدَاةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [الأنعام : ١٢٠] ، فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلالة التلاوة .



تَفْعَلُونَ﴾ [الصافات: ٣]، وقال عز وجل: ﴿وَأَقْرَبَ إِلَيْنَا مَا تُخَالِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، إلى غير ذلك من الآيات . .

وكان داخلًا في معنى قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانَةً وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَتْلُونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، يعني التلاوة المجردة، وقوله عز وجل: ﴿رَكَاتَيْنِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]؛ لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض، ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضًا عنها؛ ولذلك قيل: إن من لم يكن منصفًا بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى: مالك ولكلامي وأنت معرض عني، دع عنك كلامي إن لم تنب إلي .

ومثال ذلك: العاصي إذا قرأ القرآن وكرره، مثال من يكرر كتاب الملك كل يوم مرات، وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغول بنخريتها ومقتصر على دراسة كتابه؛ فلم يله له ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت.

ولذلك قال يوسف بن أسباط: إني لأهمل بالقرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار.

والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل: ﴿فَتَبَدَّلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ نَبَاتًا قَلِيلًا فَبُذِلَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فليستم تقرؤوه»<sup>(١)</sup>، وفي بعض الروايات: «إذا اختلفتم فقوموا عنه»، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَرُحَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا

(١) متفق عليه، البخاري (٤٧٧٣)، مسلم (٢٦٦٧).



وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» [الأنفال: ٦] ، وقال ﷺ : « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن إذا سمعته رايت أنه يخشى الله تعالى »<sup>(١)</sup> .

وقال بعض القراء : قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانياً فأنهمني وقال : جعلت القرآن على عملاً ، اذهب فأقرأ على الله عز وجل ، فانظر بماذا بأمرك وبماذا ينهاك .

لهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال ، فمات رسول الله ﷺ عن عشرين ألفاً من الصحابة ، لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف في اثنين منهم ، وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين ، وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم ، ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فأنتهى إلى قوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يَمَسَّ يَشْكَالَ ذَرْوًا خَيْرًا يَسِرُّ ﴾ ٢١ ﴿ وَمَنْ يَمَسَّ يَشْكَالَ ذَرْوًا شَرًّا يَسِرُّ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨] ، قال : يكفي هذا وانصرف ، فقال ﷺ : « انصرف الرجل وهو فقيه »<sup>(٢)</sup> ، وإنما العزيز مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية .

فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى ، بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤] ، ويقول عز وجل : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴾ [طه: ١٢٦] ، أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها ، فإن المقصر في الأمر يقال : إنه نسي الأمر ، وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحفظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحفظ العقل تفسير المعاني ، وحفظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والانتعاش ، فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ .

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٩) ، وصححه الألباني (١١٠) في « صحيح ابن ماجه » .

(٢) قال الهيثمي في « المجمع » (١٤١/٧) : رجاله رجال الصحيح .



**(٩) الترقى :**

وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه ،  
فدرجات القرآن ثلاث .

**أدناها :** أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفاً بين يديه وهو ناظر إليه  
ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير : السؤال والتعلق والتضرع والابتهاال .  
**الثانية :** أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل براه ويخاطبه بالطفه ويناجيه  
بإنعامه وإحسانه ، فيقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم .

**الثالثة :** أن يرى في الكلام المتكلم ، وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى  
نفسه ولا إلى غرائته ، ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه ، بل  
يكون مقصوراً لهم على المتكلم ، موقوف الفكر عليه ، كأنه مستغرق بمشاهدة  
المتكلم عن غيره ، وهذه درجة المقربين ، وما قبله درجة أصحاب اليمين ،  
وما خرج عن هذا ؛ فهو من الغافلين .

**(١٠) التبري :**

وأعني به أن يتبرأ العبد من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بهين الرضا  
والتزكية ، فإذا تلا آيات الوعيد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك ؛  
بل يشهد الحوقنين والصدّيقين فيها ، ويشوق إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم ،  
وإذا تلا آيات المفت وذم العصاة والمفسرين ؛ شهد على نفسه هناك ، وقنّز  
أنه المخاطب خرقاً وإشفاقاً .

ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : استغفرك لظلمي وكفري ، ف قيل له : هذا  
الظلم ، فما بال الكفر ؟ ، فتلا قوله عز وجل : ﴿ وَآتَيْنَاكَ مِنْ كَفَلٍ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ  
تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

وقيل ليوسف بن أسباط : إذا قرأت القرآن بماذا تدعو ؟ ، قال : أستغفر الله  
عز وجل من قصيري سبعين مرة .



فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كانت رؤيته تقصيره سبب قربه ، فإن من شهد البعد في القرب لطيف به في الخوف ، حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب ورواها ، ومن شهد القرب في البعد مُكْرَب به في الأمن ، الذي يفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه .

ومهما كان مشاهدًا نفسه بعين الرضا صار محجوبًا بنفسه عن الله . انتهى كلام الغزالي رحمه الله .

هذه هي المراتب العشرة لتحصيل لذة تلاوة القرآن أيها الحبيب ، ولن تستطيع فهمها بمجرد مرور نظرك عليها لأول مرة ؛ بل تحتاج إلى تأمل ومذاكرة مع غيرك من إخوانك أو مشايخك لتفسيح الأفكار وتفتيح الأفهام ، ثم العمل . ولن يفتح لك من أول مرة إحدائك ما ذكرت لك ؛ لكن الأمر يحتاج إلى مجاهدة وصبر تأنٍ لكي يحصل لك .

هيا أبدأ فرصة رمضان مع فتوحاته ونوره . . هيا أبدأ لتنتقل في هذه الأيام المباركة . . هذا هو العلم ؛ فأين العمل أيها الطالب لرضا ربك ؟

### إخواناه . .

الذكر دواء الحياة ومشاكلها ، وجللاء القلوب وفوتها ، من لزمه سعد في دنياه وأخراه ، وكيف لا والنبي ﷺ يقول : «ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟» قالوا : بلى ، قال : «ذكر الله تعالى»<sup>(١)</sup> .

وأفضل الذكر القرآن . . وقد جاءكم موسم القرآن . . شهر رمضان شهر

(١) أخرجه أحمد (١٩٥/٥) ، وصححه الألباني (٢٦٢٩) في «صحيح الجامع» .



القرآن . . فالبدار ايدار يا أمة القرآن ، يقول رسول الله ﷺ : «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»<sup>(١)</sup> ، ويقول ﷺ : «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ؛ يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشراب في النهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن أي رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، فيشفعان»<sup>(٢)</sup> .

### إخوتاه . .

القرآن كلام الله ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . . فداوموا على تلاوته ، وأكثروا من قراءته في شهر رمضان ، والتزموا بما ذكرناه آنفاً من الآداب ، الظاهرة والباطنة . . وفقنا الله وإياكم لما قاله ربنا سبحانه وتعالى في أول كتابه : ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [البقرة : ٢] .

### استدراك مهم

#### أيها الإخوة . .

بعد أن ذكرنا أهمية القرآن وحال السلف مع القرآن في رمضان لا يقوتني أيها الإخوة استدراك هام .

هذا الاستدراك ثوبة للأمة ككل ، لإصلاح حال الأمة مع القرآن كي يصلح الله حال الأمة في الواقع المرير ، فافهم معي علمني الله وإياك الحكمة وفصل الخطاب :

إن توصيف واقع الأمة الإسلامية اليوم هو كلمة واحدة : «التبعية» . . نعم : الأمة الآن في مرحلة التبعية - نسال الله أن ينفو عنا - . . ولن نخرج من هذه

(١) أخرجه أحمد (٢٥٤ / ٥) ، وصحيح الألباني (٢٩٩٢) في «الصحيح»

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤ / ٢) ، وصحيحه الألباني (٣٨٨٢) في «صحيح الجامع»







القرآن حاضرٌ معنا بطبيعته الفاخرة ، وتغليقاته المبهرة ، وآياته التي تزين الجدران ، وترسم على المشغولات الذهبية ؛ لكنه غائبٌ عن دوره الحقيقي في قيادة الحياة وتوجيهها إلى الله عز وجل .

نفتتح به الحفلات ، ونصنع منه المسابقات ، وننشئ له الكليات ، ومع ذلك لا نجني من وراء هذا الاهتمام ثمارًا حقيقية تظهر في واقعنا ، وتصطبغ بها حياتنا .

### فماذا حدث نتيجة هذا التعامل الشاذ مع القرآن ؟

توقفت المعجزة القرآنية ، أو كادت تتوقف عن العمل ، وابتعد المسلمون عن سر عزهم ومجدهم وعلومهم عند الله ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا وَإِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠] فازدادت الفجوة بين الواجب والواقع ، والقول والعمل ، ولم يعد يظهر في الأمة أجيال قرآنية يتمثل فيها القرآن كما حدث في الجيل الأول ، ذلك الجيل العظيم .

### ألسنا من أهل القرآن ؟

قد يقول قائل : ولكني أقرأ القرآن وأختمه مرة كل شهر - على الأقل - واحفظه ، بل وأعمل على تعليمه للناس ، وأعتبر نفسي من أهل القرآن ، بل ويتعامل من حولي معي على هذا الأساس ، رغم أنني أشعر داخلي بغير ذلك ، فلا يوجد فارق في السلوك بيني وبين غيري ممن لا يهتمون بالقرآن كاهتمامي به ؛ بل إنني أشعر مثلهم بتلك القيود التي تكبلني وتمنعني من فعل ما يرضي الله والتضحية من أجله .

نعم ، هذا وصف دقيق لحال البعض مع القرآن ، وهذا مما يزيد الأمر صعوبة ، أن يعتبر الواحد منا أن اهتمامه بلفظ القرآن وشكله قد جعله من أهل القرآن ، مع أن أهل القرآن هم العاملون به ، المتضعمون بمعجزته .



قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « حامل القرآن حامل راية الإسلام لا يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو » .

إن تلاوة ألفاظ القرآن ، وحفظ آياته يقدر عليها الصغير والكبير ، المؤمن والمنافق ، البر والفاجر ، بل والكفار ، وبالتالي لا يمكن لهؤلاء أن يصبحوا من أهله بمجرد حفظهم وكثرة قراءتهم لألفاظه ، ولله در عمر بن الخطاب حين قال : لا يفرركم من قرأ القرآن ؛ ولكن انظروا من يعمل به .

ويؤكد هذا المعنى ابن القيم فيقول : قال بعض السلف : تزل القرآن لعمل به ، فاتخذوا تلاوته عملاً . . ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به ، والعاملون بما فيه ، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب ، وأما من حفظ القرآن ولم يفهمه ولم يعمل به ، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم .

قال رسول الله ﷺ في ذكر علامات الساعة : « يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يغروقون من الدين كما يغرق السهم من الرميّة »<sup>(١)</sup> .

إن المطلوب من قراء القرآن بالإضافة إلى القراءة والحفظ ، شيء آخر في غاية الأهمية ، المطلوب هو الانتفاع بمعجزته في تغييرنا ووضعنا في القلب الذي يرضي الله عز وجل ، المطلوب أن نستخدم القرآن كوسيلة تقودنا للصالح مع الله ، ومن ثم نتأهل للدخول في دائرة حمايته وكفايته ونصرته ، وهذا لن يتم من خلال قراءته باللسان فقط ولو آلاف المرات .

هذا لن يتم بحفظ حروفه وترك لآلئهِ وكنوزه . .

هذا لن يتم إذا جعلنا المذباح يذبح آياته طيلة الليل والنهار ، ونحن غافلون عنه ، منشغلون بغيره . .

(١) أخرجه أحمد (١/١٣١) ، وصححه الألباني (٣٦٥٤) في « صحيح الجامع » .



لن يصبح أولادنا قرآنيين بمجرد حفظهم لألفاظ القرآن ، وإن حفظوه كله . .

سيصبح أولادنا قرآنيين عندما يتعلمون ما في الآيات من معاني وإيمان ، ويطبقون ما فيها من عمل ، بعد أن يحفظوها ، وإن أدى ذلك إلى حفظهم لأجزاء قليلة من القرآن ، فهذا خيرٌ لهم ولأمثهم من أن يكونوا مجرد حفظة فقط ، وإن جمعوا الأمرين - أقصد حفظه كاملاً مع فهمه والعمل به - فهو الأولي بل وهو المطلوب في هذه الأيام ؛ فهذا علو همة ، وزيادة طاعة ، ونصرة الأمة .

جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال : إن ابني جمع القرآن ، فقال : اللهم عَفِّراً ؛ إنما يَجْمَعُ القرآن من سَمِعَ له وأطاع .

### **كيف بين النبي ﷺ الصحابة علن القرآن ؟**

ما ذكرناه هو أيضاً للشباب والكبار . . وانظر كيف تربي الصحابة ، يقول الإمام القرطبي رحمته الله في مقدمة تفسيره تحت عنوان : باب كيفية التعلم والفقه لكتاب الله تعالى سنة نبيه ﷺ ، وما جاء على أنه سهل علن من تقدم العمل به دون حفظه . :

ذكر أبو عمرو الداني عن عثمان وابن مسعود وأبي : أن رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشرٍ أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل ؛ فَعَلِمْنَا القرآن والعمل جميعاً ، وعن أبي عبد الرحمن السُّلَمِي قال : كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن ؛ لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها .

وعن نافع عن ابن عمر قال : تعلم عمر البقرة في التي عشرة سنة ، فلما ختمها نحر جزوياً .



وقال عبد الله بن مسعود : إنا صَعُبَ علينا حفظ ألفاظ القرآن ، وسَهِّلَ علينا العملُ به ، وإنْ مَنَّ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ، ويصعب عليهم العمل به .

وعن مجاهد عن ابن عمر قال : كان الفاضل من أصحاب الرسول ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها ، ورزقوا العمل بالقرآن ، وإنْ آخر هذه الأمة يقرءون القرآن ، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به .

وقال خلف بن هشام البزار : ما أظن القرآن إلا عارية في أيدينا ؛ وذلك أنا روينا أن عمر بن الخطاب حفظ البقرة في بضع عشرة سنة ، فلما حفظها نحر جزورًا شكرًا لله ، وإن الغلام في دهرنا هذا يجلس بين يدي فيقرأ ثلث القرآن لا يُسقط منه حرفًا ، فما أحسب القرآن إلا عارية في أيدينا .

وقد قال أهل العلم بالحديث : لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث وتكثيره ؛ دون معرفته وفهمه ؛ فيكون قد أثعب نفسه من غير أن يظفر بباطل ، وليكن تحفظه للحديث على التدرج قليلًا قليلًا مع الليالي والأيام .

وممن ورد عنه ذلك من حفاظ الحديث : شعبة وابن عثية ومعمر ، قال معمر : سمعت الزهري يقول : من طلب العلم جملة فاته جملة ؛ وإنما يُدرك العلم حديثًا وحديثين ، والله أعلم .

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : اعلموا ما شئتم قلن يأجركم الله بعلمكم حتى تعملوا .

وقال ابن عبد البر : رُوي أن العلماء همتهم الدراية ، وأن السفهاء همتهم الرواية ؛ اهـ .



**ولا بد من تعليق أيها الأحبة في الله بعد كل ما سبق ، وإنما ذكرت لكم كل ما سبق جملة واحدة وإن كان يبدو على خلاف منهجنا في الأمر بتلاوة القرآن وحفظه بتدبر وبغير تدبر وحفظ القرآن بعلم أو بغير علم ، سُفِّتْ ما سبق لننتقل خطوة إلى الإمام : لذلك ألخص أهدافنا في موضوع القرآن جملة واحدة فاقول :**

**أولاً :** الاهتمام بالقرآن وجعله نصب أعيننا لا يفارقها ليل نهار .

**ثانياً :** التلاوة للقرآن أهم من الحفظ وهي نوعان لا يُستغنى بأحدهما عن الآخر .

١- تلاوة تدبر وتفكر : وهي ختمة لا يتسرع بالوصول إلى آخر القرآن فيها ؛ بل يتم فيها بالعلم فتعطي كل آية حظها من التدبر ، والبحث عن العلم بها ، والتنقيب عن أسرارها بالقراءة في التفاسير وكتب العلم وسؤال أهل العلم .

٢- تلاوة الأجر : وهي الختمات التي نطالب بها يومياً وفي رمضان وغيره ؛ إنما هي ابتغاء الأجر ، بكل حرف عشر حسنات ، فهذه يُتغاضى فيها عن التدبر ، وتُصَوَّفُ الهمة إلى تحصيل الأجر من الله فحسب ؛ فإن الوعد بأن على كل حرف عشر حسنات لم يُشترط فيه التدبر .

**ثالثاً :** حفظ القرآن وظيفة الأمة ومطلب شرعي ، ولا يزهدك في ذلك ما سقناه من نقولات عن بعض السلف ؛ وإنما كان التركيز السابق من أجل العمل ؛ فلا بد أن تحفظ القرآن ؛ لأن درجتك في الجنة بقدر حفظك ؛ بدليل حديث : «يقال لقارئ القرآن : اقرأ واؤذي ، ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا ؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»<sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه أحمد ، وصححه الألباني (٨١٢٢) في «صحيح الجامع» .



**إخوتي في الله :**

إنني أريد أن أحذّر بعض قومنا الذين يأخذون بعض الكلام ويتركون بعضه  
لأهواء في أنفسهم فيستقون من الكلام ما يزيدون به أهواءهم ورغباتهم .

**أؤكد مرة أخرى أن كل ما هو مطلوب منك :**

- حفظ القرآن .
  - تلاوة القرآن .
  - فهم القرآن .
  - تدبر القرآن .
  - العمل بالقرآن .
  - إسلام زمامك للقرآن .
- أن يربيك القرآن ، وأن يصنعك الله بالقرآن ، وأن يقودك القرآن ، وأن  
يعلمك القرآن حياتك . .

**لتكون من أهل القرآن . . الذين هم أهل الله وخاصته . .**

**اللهم اجعلنا وأهلنا ونزياتنا من أهل**

**القرآن أهلِكَ وخاصَتِهِ**



yaqob.com







# قِيَامُ مَرْضَاتِك

لَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ يُشْبِهُ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ

الْأَحْلَافُ

الْمُنَاجَاةُ فِي الْقِيَامِ







## صلاة التراويح في رمضان

شهر رمضان شهر كله خير وبركة ، وسبحان الله الكريم ، أعظم فيه من فرص المغفرة للمؤمنين ما يفوق الأمنيات ، ولكن وسبحان الملك العليم القدير تجد في شهر رمضان علامة مميزة عجيبة دون غيره من الشهور ، كأنها شامة في جبين هذا الشهر ألا وهي قيام رمضان .

ففضلاً عن أن قيام رمضان يستوجب مغفرة الذنوب المتقدمة ، فقيام رمضان لذة وبهجة خاصة عجيبة ليس كمثليها شيء .

سبحان الملك ، قد يقوم الإنسان كثيراً وطويلاً على مدار السنة ؛ ولكن قيام رمضان له مذاق خاص يختلف عن جميع السنة ، وسبحان الملك أيضاً القرآن في رمضان له مذاق خاص يختلف عن جميع أيام السنة ، وفي القيام : القرآن .

والليل في رمضان له مذاق خاص أيضاً يختلف عن جميع ليالي السنة . وأيضاً هذه من خصوصيات رمضان ، أن تجد القيام سهلاً على جميع الناس ، حتى إنك لتجد بعض من لا يصلي الفرائض في غير رمضان يصلي القيام في رمضان ، ومن خصوصيات هذا الشهر الكريم أيضاً نداوة الأصوات ، فأحلى قرآن تسمعه في حياتك تسمعه في ليالي رمضان .

وليك أخي الحبيب بعض المنشطات لقيام رمضان أولها فوائد هذه العبادة .

### فوائد صلاة التراويح :

(١) قيام رمضان من الإيمان ، ومغفرة لسالف الذنوب :



قال رسول الله ﷺ : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(١)</sup>، قال الشيخ الألباني رحمه الله : هذا الترغيب وأمثاله بيان لفضل هذه العبادات ، بأنه لو كان على الإنسان ذنوب ، فإنها تغفر له بسبب هذه العبادات ، أما إذا لم يكن للإنسان ذنب ، يظهر هذا الفضل في رفع الدرجات كما في حق الأنبياء المعصومين من الذنوب .

### (٢) استحقاق قائه اسم الصديقين والشهداء :

وهذا فيض الكريم وجوده ، يسوقه ﷺ وفيه الغنى كل الغنى : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمت رمضان وقمته ، فممن أنا ؟ ، قال رسول الله ﷺ : «من الصديقين والشهداء»<sup>(٢)</sup> .

### (٣) من قام مع إمامه كتب له ثلثون ليلة :

فقد جاء في حديث أبي ذر قوله ﷺ : «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة»<sup>(٣)</sup> ، فأتى الله في عمرك ، وأقبل على صلاة التراويح يقبل الله عليك ، أن تُحسب لك عند الله ليلة فكل ليالي العمر قدر وضيق لا قيمة لها إلا أن تقومها لله عز وجل ، فعندها يُحسب لك عند الله قيام ليلة واحتساب هذا الأجر عند الله عظيم ، فاصبر على إمامك حتى ينصرف ولا تستعجل فتخسر ليلتك .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٧) ، مسلم (٧٥٩) .

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٤٣٨) ، وصححه الألباني (٩٩٣) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

(٣) أخرجه أحمد (١٥٩/٥) ، وصححه الألباني (١٦١٥) في «صحيح الجامع» .



**(٤) اختر لنفسك اسمًا عند الله :**

قال رسول الله ﷺ : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتبت من القاتنين ، ومن قام بألف آية كتبت من المعنطين »<sup>(١)</sup>.

إذا علم المسلم اطلاع الله على حاله ، وقربه منه ، وذكر الله للعبد ، علم أن له اسمًا عند الله يعرف به عند الله سبحانه وتعالى ، قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا »<sup>(٢)</sup> ، وفي هذا الحديث الذي معنا أسماء الناس في الليل ، فاختر عملاً يكتب لك به اسمًا عند الله .

**(٥) القيام شرف :**

قال رسول الله ﷺ : « شرف المؤمن قيام الليل »<sup>(٣)</sup> ، وسبحان الملك ! ، هذا سبيل يتشرف به الإنسان ليكون عند الله شريفًا ، وإن البحث عن هذه الصفة ، والانشغال بالوصول إليها ، والالتساب إلى هذا الاسم ؛ لواجب حتم على كل من يتبغي الرفعة ؛ فهي إلى قافلة الشرفاء ، وواظب على قيام الليل تكن من الشرفاء .

**(٦) قافلة الصالحين :**

قال رسول الله ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم »<sup>(٤)</sup> ، نعم . . من أراد أن ينضم إلى قافلة الصديقين والشهداء ثم انضاف إلى قافلة

(١) أخرجه أبو داود (١٣٩٨) ، وصححه الألباني (٦٤٣٩) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٧) .

(٣) أخرجه الحاكم (٣٦٠ / ٤) ، وحسنه الألباني (٨٣١) في «السلسلة الصحيحة» .

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٤٩) ، وحسنه الألباني (٢٨١٤) في «صحيح الترمذي» .



الشرفاء ؛ فليجعل قيام الليل دأبه لأنه دأبهم وعلامتهم ، وكأنك تستشعر من كلمة الدأب المداومة والصبر والاجتهاد في هذا العمل ، فاجتهد فيه كجهدهم تكن منهم .

### (٧) القيام شفاء وعافية :

قال رسول الله ﷺ : «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومنهاة عن الإثم ، ومطرقة للداء عن الجسد»<sup>(١)</sup> ، سبحانه الله العظيم الذي من عرفه لم يخل عليه بنفس من أنفاس حياته ، فإنه نعم التعامل مع الكريم ، إذا ضحيت لله بجزء من راحتك عوضك عن ذلك راحة أكثر وصحة أفضل ، بل إنه سبحانه يجعل قيامك له وأنت تغالب شهوة النوم فتطردها ، فيجعل الجزاء من جنس العمل ، أن يطرد مقابل ذلك : الداء عن جسدك ، فالق الباحثين عن الصحة ، عليكم بقيام الليل فإن رضى الله وقيل : طرد الأمراض والأدواء عن أجسادكم .

### (٨) حصمة من الذنوب :

مر معنا في الحديث السابق أن رسول الله ﷺ ذكر في مناقب قيام الليل أنه منهاة عن الإثم ، نعم والله :

كيف لقلب ذاق حلاوة قيام الليل أن يصبح فيعصي ربه :

كيف لقلب استشعر في الليل وهو قائم رؤية الله له ومباهاته ، به ثم يصبح فيعصي الله .

كيف لقلب بات يناجي ربه ويتلذذ بكلمات الله ، ثم يصبح تاركاً طاعة به ، إنها المكافأة .

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٩) ، وحسنه الألباني (٢٨١٤) في «صحيح الترمذي» .



كما قال الحسن : من أحسن في ليلة كوفى في نهاره ، ومن أحسن في نهاره كوفى في ليلة .

### (٩) الله يباهي ملائكته :

قال رسول الله ﷺ : « إذا قام الرجل من الليل يصلي فقلبت عنه فنام في سجوده ، فإن الله يقول لملائكته : انظروا يا ملائكتي ، هذا عبيدي روحه هندي وجسده بين يدي ، اكتبوا له قيامه ، واجعلوا نومه صدقة مني عليه »<sup>(١)</sup> ، سبحانه الملك الكريم ! ، الله يباهي ملائكته بساجد قائم ، فما بالك بالمتيقظ المقاوم ؟ .. هذا شرف لا يقاوم .

### (١٠) سبيل لمحبة الله :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يحبهم الله ويستبشر بهم ويضحك إليهم » وذكر منهم « رجل عنده امرأة حسنة ، وفراش حسن ، ثم قام يصلي ، فيقول الله عز وجل لملائكته : انظروا يا ملائكتي ، هذا عبيدي ، عنده فراش حسن ، وزوجة حسنة ، فتركهما ، ثم قام يصلي يتملقني ، ويتلو آياتي ، ولو شاء رقد »<sup>(٢)</sup> ، انظر أيها الحبيب المحب ، كيف أن كل ما تبذله لله له قدر عند الله ، ويقع عند الله بسرقع ، والشاهد : قوله سبحانه للملائكة : « ولو شاء رقد » ، قاله يحفظ لك جميل أنك غالبت الرقود وآثرت القيام ، فأحبك ، واستبشر بك ، وضحك لك .

### (١١) القيام نور الوجوه والقلوب :

قيل للحسن : ما بال القاتمين أحسن الناس وجوها ؟ ، فقال : إنهم خلّوا بالله في السحر فألبسهم من نوره .

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٤٤) ، وصححه الألباني (١١١٥) في « صحيح ابن ماجه » .

(٢) أخرجه الحاكم (٧٧/١) ، وصححه الألباني (٢٤٧٨) في « صحيح الترغيب والترهيب » .



نعم نشهد ، وقد رأينا أن أهل القيام أحسن الناس وجوهاً ، إذا رأيتهم ذكرت الله ، ورغهم ظاهراً ، وحلاوتهم فائقة ، وملاحتهم بادية على سرائرهم . فاعلم يا أخي - هدايا الله وإياك إلى سبيله الأقوم - أن الناصح لنفسه لا يخرج عنه مواسم الطاعات عطلاً ، لأن الأبرار ما نالوا البر إلا بالبر ، قال رسول الله ﷺ : «الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتبت الكبائر»<sup>(١)</sup> .

فهلتم يا باغي الخير إلى شهر يُضاعف فيه الأجر للأعمال ، فتُضِبُّ المجتهدين في خدمة مولاهم في هذا الشهر هو الراحة ، هُبَّتْ على القلوب نفحة من نفعات نسيم القرب في رمضان ، وسعى سمسار الوعد للمهجورين في الصلح ، ووصلت البشارة فيه للمتقطعين بالوصل ، والمملئين بالعفو ، والمستوجين النار بالعتق ، فلم يبق للعاصي عذر .

كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة ، ثم يقول : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»<sup>(٢)</sup> .

قال الخطابي : إيماناً واحتساباً : أي نية وعزيمة ، وهو أن يقومه على التصديق والرغبة في ثوابه ، طيبة به نفسه ، وقال البغوي : احتساباً : أي طلباً لوجه الله .

ومن المعلوم أن قيام رمضان يسمى بصلاة التراويح ، قال المحافظ ابن حجر : التراويح جمع ترويقة ، وهي المرة الواحدة من الراحة كتسليمة من السلام ، سميت الصلاة في الجماعة في ليالي رمضان التراويح ، لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين .

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٣٧) ، مسلم (٧٥٩) .



وقد أقر النبي ﷺ الجماعة فيها ، فقد خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة في رمضان فرأى ناساً في ناحية المسجد يصلون ، فقال : ما يصنع هؤلاء ، قال قائل : يا رسول الله ، هؤلاء ناس ليس معهم قرآن ، أبي بن كعب يقرأهم معه يصلون بصلاته ، فقال : فقد أحسنوا ، أو قد أصابوا ، ولم يكره ذلك لهم<sup>(١)</sup> .

وقد صلى النبي ﷺ التراويح ، فمن الثعمان بن بشير قال : قمنا مع رسول الله ﷺ ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان إلى ثلث الليل الأول ، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل ، ثم قام بنا ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح ، قال : وكنا ندعو السحور الفلاح .

وعن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يصلي في رمضان ، فجئت فقممت إلى جنبه ، وجاء رجل آخر فقام أيضاً حتى كنا رهطاً ، فلما أحس النبي ﷺ أنا خلفه جعل يتجاوز في الصلاة ، ثم دخل وحله فصلين صلاة لا يصلها عندنا ، قال : قلنا له حين أصبحنا : أفطنت لنا الليلة ؟ ، فقال : نعم ، ذاك الذي حملني على الذي صنعت<sup>(٢)</sup> .

### • إحياء عصر سنة الجماعة في التراويح :

كان الناس يقوم كل واحد منهم رمضان في بيته منفرداً ، حتى انقضى صدر من خلافة عمر .

يقول عبد الرحمن الفاري : خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل

(١) أخرجه البيهقي (٤٣٨٦) ، رحت الألباني (١) في «صلاة التراويح» .

(٢) أخرجه مسلم (١١٠٤) .



فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم أخرجه مع ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعمت البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أنضل من التي يقومون - يريد آخر الليل - وكان الناس يقومون أوله<sup>(١)</sup>.

### • فضل أداء التراويح جماعة :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان ، فلم يقم بنا شيئا من الشهر حتى بقي سبع - أي سبع ليال - فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل ، فلما كانت السادسة لم يقم بنا ، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل ، فقلت : يا رسول الله لو تغفلنا قيام هذه الليلة ، فقال : « إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام الليلة »<sup>(٢)</sup> ، فلما كانت الرابعة لم يقم ، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونسائه والناس ، فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح ، قلت : وما الفلاح ؟ ، قال : السحور ، ثم لم يقم بنا بقية الشهر .

والشاهد من هذا الحديث قوله : من قام مع الإمام ، فإنه ظاهر الدلالة على فضيلة قيام رمضان مع الإمام .

قال صاحب «عون المعبود» : حصل له ثواب قيام ليلة تامة .

وقيل للإمام أحمد : يعجبك أن يصلي الرجل مع الناس في رمضان أو وحده؟ ، قال : يصلي مع الناس .

وقال : يعجبني أن يصلي مع الإمام ويوتر معه ، لحديث النبي « إذا قام مع الإمام . . . » .

(١) أثر صحيح . الألباني (١٥) في «صلاة التراويح» .

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩/٥) ، وصححه الألباني (١٦١٥) في «صحيح الجامع» .



### • وبذلك يكون تطور التراويح في العصر النبوي :

- أولاً : بدأت بالترغيب فيها دون أن يعزم عليهم .
- ثانياً : انتقلت إلى السنة والندب مقرونة بفريضة الصيام .
- ثالثاً : أدبث بالفعل ، آداها أوزاع من الناس .
- رابعاً : تسلل الناس إلى مصلاه ﷺ فاتسموا به ﷺ ، وهو لا يشعر بهم ، ثم أقرهم على ذلك وهو لا يقر على باطل .
- خامساً : تقريره ﷺ لمن يصلي بالناس سواء في المسجد أو في البيت .
- سادساً : صلاته هو ﷺ بالفعل بأهل بيته .
- سابعاً : صلاته هو ﷺ بأهل بيته والناس عدة لبال منفردة .

### عدد ركعات قيام رمضان :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله : « إن نفس قيام رمضان لم يوقت فيه النبي ﷺ عددًا معينًا ؛ بل كان هو ﷺ لا يزيد على ثلاث عشرة ركعة ؛ لكن كان يطيل الركعات ، فلما جمعهم عمر على أبي بن كعب كان يصلي بهم عشرين ركعة ، ثم يوتر بثلاث ، وكان يخفف القراءة بقدر ما زاد من عدد الركعات ؛ لأن ذلك أخف على المأمومين من تطويل الركعة الواحدة .

والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصلين ؛ فإن كان فيهم احتمال لطول القيام بعشر ركعات وثلاث بعدها كما كان النبي ﷺ يصلي لنفسه فهو الأفضل ، وإن كانوا لا يحتملونه فالقيام بعشرين أفضل ، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين ، فإنه وسط بين العشرين وبين الأربعين ، ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد مؤثت عن النبي ﷺ لا يزداد منه ولا ينقص فقد أخطأ .



وكذلك لم يذكر أنه يُكَبَّرُ حدد مقدار القراءة في كل ركعة ؛ بل يختلف ذلك بحسب نشاط القوم ، فقد أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميم الداري أن يقرأوا بالناس في رمضان ، وقال قائلهم : « فكان القارئ يقرأ بالمئين ، حتى كنا نعتد على العَصِي من طول القيام ، وما كنا نتصرف إلا في بزوغ الفجر » .

وقال أبو داود : سئل أحمد عن الرجل يقرأ القرآن مرتين في رمضان يؤم الناس ؟ قال : هذا عندي على قدر نشاط القوم ، وإن فيهم العمال . اهـ كلام ابن تيمية رحمته .

**أخي الحبيب :** لا تشغل بمناقشة عدد ركعات القيام مع الآخرين ولا تجادل وتضيع رمضان ، عليك بالعمل : فاجتهد في أن تقوم أكثر الليل ولا تضع وقتك مع البطالين .

ويجوز للنساء حضور الجماعة في قيام رمضان ، إذا تأدين بآداب الخروج الشرعية من الحجاب ، وعدم التطيب ، وعدم رفع أصواتهن أو الاختلاط بالرجال في المواصلات والشوارع ونحو ذلك ، وغض البصر ، وعدم البقاء لوقت متأخر خارج المنزل دون محرم ، وإلا فصلاتهن في بيوتهن أفضل ، ويمكن لرجل من أهل البيت أن يؤمهن للصلاة ، فمن جابر قال : جاء أبي ابن كعب في رمضان فقال : يا رسول الله كان مني الليلة شيء ، قال : « ما ذلك يا أبي ؟ » ، قلت : نساء داري قلن : إنا لا نقرأ القرآن ، فنصلي خلفك بصلاتك ، فصليت بين ثمان ركعات والوتر ، فسكت عنه وكان شبه الرضا <sup>(١)</sup> .

ويمكن أيضًا أن تؤم المرأة النساء في قيام رمضان ، عن أم ورقة الأنصارية :

(١) أخرجه ابن حبان (٢٥٤) ، وحنه الألباني (٧٩) في « صلاة التراويح » .



أن رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها ، وكان رسول الله ﷺ يزورها  
ويسمىها الشهيدة ، وكان لها مؤذن .

وإذا لم يكن الإمام قارئاً ، جاز له أن يصلي بالناس ويقرأ من المصحف ،  
فقد كانت السيدة عائشة تأمر مولى لها يؤمها في شهر رمضان في المصحف ،  
وعدة من أصحاب النبي ﷺ .

قال أبو داود : سمعت أحمد قبل له : زعم الزبيرى أنه إذا ختموا القرآن  
رفعوا أيديهم ودعوا في الصلاة ؟ ، فقال : هكذا رأيتهم بسكة يفعلون ، وسفيان  
يومئذ حي ، يعني في قيام رمضان ، وكذلك الاستراحة بعد كل أربع ركعات  
بجللة يسيرة فعله السلف ، ولا يدعو إذا استراح .

### أخي . . . وحبيبي :

الصلاة مكيال . . فمن وقى وقى له ، ومن طفف ، فقد علمتم ما قيل في  
المطففين ، أما يستحي من يستوفي مكيال شهوته ، ويطفف في مكيال قيامه  
وصلاته ١٩ ، ألا بعداً لمدين .

إذا كان الولد لمن طفف في مكيال الدنيا ، فكيف حال من طفف في مكيال  
الدين ؟ ، كيف حال المسيئين في عباداتهم ؟ ، ارحموا من حسانه كلها  
سيئات ، وطاعاته كلها غفلات .

كيف لا تحمري للمؤمن على هذه الأيام دموع ، وهو لا يدري هل بقي له من  
عمره رجوع ، متى يصلح من لا يصلح في رمضان ؟

من رد في ليلة القدر متى يصلح ؟ ، كل ما لا يثمر من الأشجار في أوان  
الثمار فإنه يقطع .

شهر رمضان شهر المصائب ، شهر التهجد والنرايح ، وأما لأوقاته من



زراهر ما أشرقها ، ولساعاته التي كالجواهر ما أظرقها ، أشرقت ليلها بصلاة التراويح ، وأنارت أيامها بالصيام والتسبيح ، جليتها الإخلاص والصدق ، وثمرتها الخلاص والعشق .

فطوبى لعبد صام نهاره ، وقام أسعاره .. يا حُسته ومصاييح النجوم تزهر ، والناس قد ناموا وهو في الخير يسهر ، غسل وجهه من ماء عينه ، وعين العين أظهر وأظهر .

**إذا ما الليلُ أظلم .. كابدوه :**

**حبيبي في الله ..**

لعل أطيب أوقات المناجاة أن تخلر بربك والناس نيام ، والخليلون هجج ، وقد سكن الكون كله ، وأرخت الليل سدرة ، وغابت نجومه ، فتستحضر قلبك ، وتذكر ربك ، وتمثل ضعفك وعظمة مولاك ، فتأنس بحضرته ، وطمئن قلبك بذكره ، وتفرح بفضل رحمة ، وثبكي من خشيته ، وتشعر بمراقبته ، وتلج في الدعاء ، وتجتهد في الاستغفار ، وتفضي بحوائجك لمن لا يعجزه شيء ، ولا يشغله عن شيء شيء ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ، فيكون ، وتسأله لدنياك وآخرتك ، وجهادك ودعوتك ، وأمانيك ووطنك وعشيرتك ، ونفسك وإخوانك .

الليل سكون وهدوء ، وفي الهدوء تركيز وصفاء والناس نيام ، وفي ذلك بعد عن الرياء ، الليل خلوة مع الله ، وفي الخلوة قرب وأنس ومناجاة .

قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »<sup>(١)</sup> ، وإنما كانت صلاة الليل أفضل ؛ لأن

(١) أخرجه مسلم (١١٦٣) .



القلب فيها يكون أكثر إقبالاً على الله ، وأبعد عن الشواغل ، ولما كان وقت الليل والتهجد فيه أفضل أوقات التطوع بالصلاة ، فيها يكون العبد قريباً من ربه ، فيها تفتح أبواب السماء ويستجاب فيها الدعاء ، فيشبعي عليك أن تواظب عليها خلال شهر رمضان .

قال الأزدي : سمعت الحَوَاص يقول : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

ولكن لا ينهض إلى قيام الليل إلا أهل المجاهدة والمغالبة وأولو العزم ، فالنهوض إلى الله في هذه الساعات أشد وطئاً على النفس وأثقل من النهوض إليه بغيرها ؛ ولذا كان قيام الليل من مقاييس العزيمة الصادقة وسمات النفوس الكبيرة ، فعلينا أن ندخل هذا في حسابنا ولا نخفل عنه ؛ حتى لا نخدعك نفسك وتضيع عليك عملاً من أفضل الأعمال التي يتقرب بها إلى الله عز وجل في هذا الشهر وغيره ، وإنما تفاوت القوم بالهمم لا بالصور ، ومن تلمح حلاوة العاقبة هان عليه مرارة الصبر .

قال رسول الله ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن »<sup>(١)</sup> .

### وصف المتجهدين وليهم :

في وصف ليلة واحدة من ليالي أهل القرب والصفاء أهل السبق والنقاء أهل الله المخلصين :

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله : « أما السابقون المقربون فتستغفر الله

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٩) ، وصححه الألباني (٢٠٥٣) في « صحيح الجامع » .



الذي لا إله إلا هو ، أولاً من وصف حالهم وعدم الانصاف به ، بل ما شممنا له رائحة ، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها ، وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم ، فاسمع الآن وصف القوم واحضر ذهنك لشأنهم العجيب وخطرهم الجليل ، فإن وجدت من نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهم فاحمد الله وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح .

فنيا القوم عجيب ، وأمرهم خفي إلا على من له مشاركة مع القوم ، فإنه يطلع على ما يريه إياه القدر المشترك ، وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله ، وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومرافقته ، فسرت المحبة في أجزائهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب .

فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صنعت أنفاسه إلى إلهه ومولاه ، واجتمع همه عليه ، متذكراً صفاته العلى وأسمائه الحسنى ، مشاهداً له في أسمائه ، وقد تجلت على قلبه أنوارها ، فأنصبغ قلبه بمعرفة ومحبته ، فبات جسمه على فراشه يتجافى عن مضجعه ، وقلبه قد أوى إلى مولاه وحببيه فأواه إليه ، وأسجده بين يديه خاضعاً خاشعاً ذليلاً منكسراً من كل جهة من جهاته ، فيا لها سجدة ما أشرفها من سجدة ، لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء .

وقيل لبعض السلف : أسجد القلب بين يدي ربه ؟ ، قال : إي والله ، بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة ، فشقان بين قلب بييت عند ربه قد قطع في سفره إليه ببداة الأكوان ، وخرق حجب الطبيعة ، ولم يقف عند رسم ، ولا سكن إلى علم ، حتى دخل على ربه في داره ، فشهد عز سلطانه وعظمة جلاله وعلو شأنه وبهاء كماله . فإذا صارت صفات ربه وأسمائه مشهدة لقلبه أنستة ذكر غيره ، وشغلته عن حب من سواه .

وبالجملة : فيبقى قلب العبد - الذي هذا شأنه - عرشاً للمثل الأعلى - أي



عرشاً لمعرفة محبوه ومحبه . وتاهيك بقلب هذا شأنه ، فباله من قلب من ربه  
ما أدناه !!

فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكران ، وسجدت تحت العرش ، وأبدانهم في  
قرشهم كما قال أبو الدرداء : « إذا نام العبد المؤمن عرج بروحه حتى تسجد  
تحت العرش ، فإن كان طاهراً أذن لها في السجود ، وإن كان جُنُباً لم يؤذن لها  
بالسجود » وهذا - والله أعلم - هو السر الذي لأجله أمر النبي ﷺ العجب إذا  
أراد النوم أن يتوضأ .

فإذا استيقظ هذا القلب من منامه ، صعد إلى الله يهيمه وحبه وأشواقه ،  
مشتاقاً إليه ، طالباً له ، محتاجاً له ، عاكفاً عليه ، فحاله كحال المحب الذي  
غاب عنه محبوه الذي لا غنى له عنه ، ولا يد له منه ، وضرورته إليه أعظم من  
ضرورته إلى النفس والطعام والشراب ، فإذا نام غاب عنه ، فإذا استيقظ عاد  
إلى الحين إليه وإلى الشوق الشديد والمحبة المقلقة ، فحبيبه آخر خطراته عند  
منامه وأولها عند استيقاظه كما قال بعض المحبين لمحبيه :

وَأَحْزَنُ شَيْءٍ أَنْتَ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ      وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ عِنْدَ مُبْغِي

فَأَنْ لِقَابِ لَا يَصْلِحُ لِهَذَا وَلَا يُصَدَّقُ بِهِ ، لَقَدْ صُرفَ عَنْهُ خَيْرُ الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ .

فإذا استيقظ أحدهم ، وقد بلغ إلى قلبه هذا الشأن ، فأول ما يجري على  
لسانه ذكر محبوه والتوجه إليه ، واستعطافه والتعلق بين يديه ، والاستعانة به  
أن لا يُخْلِي بينه وبين نفسه وألا يكله إليها فيكله إلى ضعيف وعجز وذنب  
وخطيئة ، بل يكله كلاءة الوليد الذي لا يملك ضراً ولا نفعاً ولا موقفاً ولا حياة  
ولا نشوراً .

فأول ما يبدأ به : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » متديراً



لمعناها؛ من ذكر نعمة الله عليه بأن أحياه بعد نومه الذي هو آخر الموت ، وأعادته إلى حاله سرّياً سليماً محفوظاً مما لا يعلمه ولا يخطر بباله من المؤذيات والمهلكات ، التي هو عَرَضٌ وهدف لسهايه كلّها ، التي تقصده بالهلاك أو الأذى ، والتي من بعضها شياطين الإنس والجن . فمن الذي كلاه وحرسه وقد غاب عنه حسه وعلمه وسمعه وبصره ، قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْفُلُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ أَلْفَيْنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٧٢] فإذا تصور العبد ذلك فقال : « الحمد لله » كان حمده أبلغ وأكمل من حمد الغافل عن ذلك .

ثم تفكر في أن الذي أعاده بعد هذه الإمامة قادرٌ على أن يعيده بعد موته الكبرى ، ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله » ، ثم يدعو ويتضرع ، ثم يقوم إلى الرضوء بقلب حاضر مستصحّب لما فيه ، ثم يصلي ما كتب الله له صلاةً محبّب ناصح لمحبوبه ، متلذّذ من كسر بين يديه ، لا صلاة مُؤدّن بها عليه ، يرى من أعظم نعم محبوبه عليه أن أقامه وأنام غيره ، واستزاره وطرده غيره ، وأهله وحرم غيره ، فهو يزداد بذلك محبةً إلى محبته ، ويرى أن قُرّة عينه ، وحياء قلبه ، وجنة روحه ونعيمه ولذته وسروره في تلك الصلاة ، فهو يتمنى طول ليله ، ويهتّم بطلوع الفجر كما يتمنى المحب الفائز بوصول محبوبه ذلك ، فهو كما قيل :

يَوَدُّ أَنْ ظِلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ      وَزَيْدٌ فِيهِ سَوَادُ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

فهو يتمنى فيها مولاة تملق المحب لمحبوبه العزيز الرحيم ، ويناجيه بكلامه معطياً لكل آية حظها من العبودية .

١ - فتجذب قلبه وروحه إليه آياتُ المحبة والوداد ، والآيات التي فيها



الأسماء والصفات ، والآيات التي تعرف بها إلى عبادته بآلائه وإنعامه عليهم ، وإحسانه إليهم .

٢- وتُطِيبُ له السير آياتُ الرجاء والرحمة وسعة البر والمغفرة ، فتكون له بمنزلة الحادي الذي يطيب له السير ويهونه .

٣- وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه بالمعرضين عنه العادلين به غيره ، المائلين إلى سواء ، فيجمعه عليه ويمنعه أن يشرّد قلبه عنه . فتأمل هذه الثلاثة وتنفذ فيها ، واللّه المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه .

وبالجملة : فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلّى في كلامه ، ويعطي كل آية حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله ، بل الزائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها .

ثم شأن آخر لو فطن له العبد لعلم أنه كان قبل يلعب ، كما قيل :

وكنْتُ أرى أن قد تناهى بين الهوى      إلى غاية ما يعقبا لي ملعب  
فلما تالّيتها وعانيتُ حُسْنَهَا      تيقنْتُ أنني إنما كنتُ أَلْعَبُ

فروأسفاه وواحسرتاه كيف يتغني الزمان وينفذ العمر والقلب محجوب ما شم لهذا رائحة ، وخرج من الدنيا كما دخل إليها وما ذاق أطيّب ما فيها ، بل عاش فيها عيش البهائم ، وانتقل منها انتقال المقاليس ، فكانت حياته عجزاً وموته كعداً ، ومعاده حسرة وأسفاً .

فإذا صلى ما كتب الله له جلس مطرقاً بين يدي ربه هيباً له وإجلالاً ، واستغفرو استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه ، فإذا قضى من الاستغفار وطراً وكان عليه بعد ليل ، اضطجع على شقه الأيمن مُجِئاً لنفسه مُريحاً لها ، مقرّياً لها على أداء وظيفة القرض ؛ فيستقبله شيطاناً بجذبه وهمته



كانه لم يزل نائماً طول ليلته لم يعمل شيئاً<sup>(١)</sup>، انتهن كلام طيب القلوب  
وريحانة المتجهدين ابن القيم رحمته.

### **بكالهم . . . وحرز الدموع :**

ولا يُذكر الليل إلا ويقارنه ذكرُ الدموع ، والبكاء من أعظم ما تقرب به  
العابدون ، واسترحم به الخائفون ، ومن أرق من المتجهدين أفئدة حين اتخذوا  
من الدمع رسولهم لربهم ، فالدمع ألح شفعا لهم ، فقد كاتبوا الله بدموعهم وهم  
يتظرون الجواب .

قال رسول الله ﷺ : وعينان لا تمسهما النار أبناً : عين بكت من خشية  
الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله<sup>(٢)</sup> ، قيل لصفوان بن محرز عند طول  
بكائه وتذكر أحزانه : إن ذلك يورث العمى ، فقال : ذلك شهادة لها فبكنى حتى  
عمي .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : ما عاشرت رجلاً أرق قلباً من مفيان  
الثوري ، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة ، فما كان يتم إلا أول الليل ، ثم يتنفض  
مرعوباً ينادي : النار . . النار ، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ، ثم  
ينوضأ ويقول علي إثر وضوءه : اللهم إنك عالم بحاجتي غير مُعْلَم ،  
وما أطلب إلا فكاك رقبتني من النار ، إلهي ، إن الجزع قد أرقني ، وذلك من  
نعمك السابقة علي ، إلهي ، لو كان لي عذر في التخلي ، ما أقمت مع الناس  
طرفة عين ، ثم يُقبل على صلاته ، وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت  
لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه .

(١) طريق الهجرين (٢٠٥-٢١١) .

(٢) أخرجه أبو يعلى (٣٠٧/٧) ، ومصحح الألباني (٤١١٣) في «مصحح الجامع» .







## لِمَ كُلْ هذا الاهتمام بالليل ؟

لخمسة أمور :

الأول : أن الإنسان عندما يقوم الليل يكون هذا أخلص لربه جل وعلا ؛ لأنه يكون في وقت سر لا يطلع عليه أحد .

الثاني : أنه أشق على النفس ولذلك يكون الأجر أكثر ، فالأجر على قدر المشقة .

الثالث : مع خلو البال من مشاغل الحياة وسكون الليل والفرغ من الدنيا والكد فيها يكون القلب أكثر مواطاة وموافقة للسان في الذكر .

الرابع : أن الليل موطن لتنزل الرحمات وتنزل رب الأرض والسماوات ، فعممت العبادة فيه .

الخامس : أن قيام الليل عبادة جامعة لطهارة القلب .

وقد قال قتادة : « كان يقال : شهر الليل منافق » يعني في قيام الليل .

## ما يعين على التهجّد :

### الأسباب الظاهرة :

(١) قلة الطعام وعدم الإكثار منه :

نكما قلت لك سابقاً - أخي الحبيب - حاول أن تقلل من كمية الطعام ، فقلة الطعام سبحانه ، وإذا قل الأكل مُطِرَ القلب الحكمة ، فالواجب على الناصح لنفسه ألا يكثر الأكل ، فيكثر الشرب ، فيغلب النوم ، ويثقل عليه القيام ، أما يربيك حديث رسول الله ﷺ : « أقصر من جُشائك ؛ فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً في الآخرة »<sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه الحاكم (١٢٥/٤) ، وحسنه الألباني (١١٧٩) في « صحيح الجامع » .



رأى معقل بن حبيب قوماً يأكلون كثيراً فقال : ما نرى أصحابنا يربطون يصلون الليلة .

وقال وهب بن منبه : ليس من بني آدم أحب إلى شيطانه من الأكل والنوم .  
**وقال أبو سليمان الداراني :** من شيع دخلت عليه ست آفات : فقد حلاوة المناجاة ، وتعلو عليه حفظ الحكمة ، وحرمان الشفقة على الخلق ، وثقل العبادة ، وزيادة الشهوات ، وإن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد ، والشياعون يدورون حول المزابل .

### (٢) الاقتصاد في الكد نهاراً :

لا تتعب نفسك بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح ، وتضعف بها الأعصاب ، فإن ذلك مجلبة للنوم ، وعليك بالقصد في هذه الأعمال ، وأن تتجنب فضول الكلام ، وفضول المخالطة التي تشتت القلب .

### (٣) الاستعانة بالقليل نهاراً :

فمن أنس كثيلاً قال : قال رسول الله ﷺ : « قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ »<sup>(١)</sup> .

### (٤) ترك المعاصي :

لا تحتجب الأوزار بالنهار فتقيد عليك صيامك ، وتُقسي قلبك ، وتحول بينك وبين قيام الليل .

قال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد ، إني أبيت معافى ، وأحب قيام الليل ، وأعد ظهوري ، فما بالي لا أقوم ؟ ، فقال : فتوبك قيدتك .

(١) أخرجه الطبراني (١٣/١) في «الأوسط» ، وحثه الألباني (١٦٤٧) في «السلسلة الصحيحة» .



وقال الثوري : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته ، قيل : وما هو ؟ ، قال : رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي : هذا مرء . . .  
 ورحمهم الله فُلْتُ ذنوبهم فعلموا من أين أتوا ، ونحن كثرت ذنوبنا فلم ندر من أين أتينا .

وقال الفضيل بن عياض : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار ؛ فاعلم أنك محروم مكيل كبلك خطيئتك .

### (٥) طيب المطعم :

قال بعض العلماء : إذا صمت يا مسكين ، فانظر عند من تفطر ، وعلى أي شيء تفطر ، فإن العبد ليأكل أكلة فيقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأولى ، فالذنوب كلها تورث فاساد القلب ، وتمنع من قيام الليل ، وأخضة بالتأثير تناول الحرام .

ولذلك قال بعضهم : كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وإن العبد ليأكل أكلة فيحرم قيام الليل سنة .

### (٦) عدم المبالغة في حشو الفراش :

فإن مما يعين على قيام الليل عدم المبالغة في حشو الفراش ؛ لأنه سبب لكثرة النوم والغفلة ، ومجلبة للكسل والدعة ، ولقد كان فراش رسول الله ﷺ من الحصر الذي حُطَّ في جنبه ، وكانت وسادته التي ينام عليها بالليل من أدم حشوها ليف .

فلا تتدثر بالبطاطين ، وتضع المدفأة إلى جوارك ، على سرير وثير مريح ، فأنت بذلك تستعد لنوم طويل لن تستطيع الاستيقاظ منه أبداً ، تعتمد أن يكون نومك غير مريح حتى تستطيع القيام بسهولة .

(٧) النوم على الجانب الأيمن ، والوضوء والتسوك قبل النوم وأذكار النوم هذه ستة النبي ﷺ والأحاديث فيها محفوظة مشهورة فاصمل ولا تكسل .



**الأسباب الباطنة :****(١) الإخلاص :**

من صفا صفى له ، ومن كثر كثر عليه ، وإنما يكال للعبد كما كال .  
إذا اطلع الخبير على ما في الضمير فلم يجد غير الخير أقامك بين يديه في  
الدجاجي ، فإن قيامك في الليل علامة من علامات المحبة لله ، وهي عبادة  
عنوانها وتاجها الإخلاص .

يا أخي .. كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عبادة أفدها العجب ،  
وساعة يزري العبد فيها على نفسه خير له من عبادة يدل فيها بعمله ، وأضر  
الطاعات على العبد ما أنسته مساويه وذكرته حسناته .

**(٢) يقينك أن الكبير المتعال هو الذي بدعوك للقيام :**

إنها دعوة من السماء .. ويكفي أنها من الله لتلبي وتنفذ ، كفاك جزاء على  
الطاعة أن رضيك لها أهلا .. انظر إلى حديث رسول الله ﷺ : « يقول ربنا  
تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من  
يدعوني فأستجيب له ؟ ، من يسألني فأعطيه ؟ ، من يستغفروني فأغفر له »<sup>(١)</sup> ..  
قف يرادي الذل .. رقل في الدجاجي : يا أيها العزيز .. منا وأهلنا الضر ..

**(٣) نعم الرجل إن كان يقوم من الليل :**

قال رسول الله ﷺ : « نعم الرجل عبد الله إن كان يقوم من الليل »<sup>(٢)</sup> ، فمن  
كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل ، وهذه شهادة غالية عالية من  
الحبيب محمد ﷺ ، وقد ساق إليك عشرات الأحاديث في فضائل  
المتهمدين ، فكيف نضيع على نفسك أن تكون منهم !!

(١) أخرجه البيهقي ، وصححه الألباني (٨٠٢١) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه أحمد ، وصححه الألباني (٦٧٧١) في «صحيح الجامع» .



#### (٤) يقينك أنك يعين الله :

الله يسمع ويرى صلاتك بالليل .. هان سهر الحراس لما سمعوا أن أصواتهم بسمع الملك ، قال سبحانه تعالى : ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ يَحِينُ تَقُومٌ ۝﴾ وَقَفُّكَ فِي الشَّجِيرِ ﴿الشعراء: ٢١٨-٢١٩﴾.

#### (٥) نبيك ﷺ قام ، وأنت تنام !!

كان ﷺ يقوم الليل حتى تضطر غلماؤه ، وكان لا يترك القيام وهو مريض ولا في سفر ، وأنه ﷺ ما ترك القيام في وقت الجهاد ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فكيف بك وقد ضج الليل من نومك وضجت الأرض من معاصبك .

#### (٦) وضع الجنة نُصَبَ هيتيك :

ويتينك بأن التهجد يورثك أعلن الجنان .. وتفكرتك فيما أعد الله للمتجهدين في الغرف من نعيم الجنة .. ووقوفك طويلا مع أخبار المتجهدين في ليلهم ونومهم مع الحور العين .

#### (٧) وضع النار وعذابها وأغلالها وأنكالها نصب هيتيك أيضا :

فمن سهر هنا في طاعة الله متهجدا باكيًا متاجيًا ، لا يسهر في النار مع الضريع والزقوم والغسلين ، وسهر الليل بالقيام أهون من مقطعات الحديد وشرب الحديد .

#### (٨) النوم على نية القيام للتهجد .

#### (٩) سؤال المولى عز وجل ودعاؤه أن يمن عليك بالقيام .

#### (١٠) علمك بمدى اجتهاد الصحابة الكرام في القيام .

#### (١١) معرفة مدنى اجتهاد نساء السلف في القيام :



أما لك بالرجال أسوة ١١٩ . أتسبقك وأنت رجل نوسة ١١٩

(١٢) الشيطان يستعك من القيام ، أنظيحه ١١٩

(١٣) دوام محاسبة النفس :

وتريخها على قيام الليل إن فرطت فيه .

(١٤) النبي ﷺ كان يتفقد أصحابه ويوتظهم للقيام .

(١٥) علمك ببيكاه السلف وتحسرهم على نوات القيام .

(١٦) اتهام النفس :

بالتقصير في القيام ، وقولك لها : قومي يا مأوى كل سوء ، فلأنت أحق بالضرب من شر الدواب ، أيقظ أصحاب محمد أن يتأثروا به دوننا . . كان الرجل من السلف لا يأتي فراشه إلا زحفاً ، ومع هذا يعاتب نفسه على التقصير في حق ربه .

(١٧) معاقبة النفس :

على ترك القيام ، ومنعها من لذاتها أياها ، والتصدق بالمال ، تام الصحابي تميم الداري ليلة فلم يقم للتهجد ، فقام سنة لم يتم فيها عقوبة للذي صنع .

(١٨) الزهد في الدنيا :

فمن زهد في الدنيا وتقلل منها ، وصحب الدنيا ببذته صارت روحه معلقة بالعلأ الأعلى ، وعلق قلبه بالآخرة ، صفى وقته بمناجاة ربه في القيام ، واتخذ القرآن دثاراً وشعاراً ، ومن عرف قيمة الدنيا وقلة المقام بها ، أمات فيها الهوى طلباً لحياة الأبد ، فاستيقظ من نوم الغفلة واسترجع بالقيام ما انتهبه العدو منه في زمن البطالة ، ومن تبك الدنيا عليه ، لم تضحك الآخرة إليه .



## (١٩) علمك بأن الحيوانات تذكر ربها ، وأنت نائم !!

لماذا تسبح الحيوانات ربها في السحر؟ وهي التي لم تقترف ذنباً ولم ترتكب جناية ، وأنت في نومك وضغطك !! ، وتجتهد الديوك في عبادة الله وأنت في لعبك وتفريطك .. أما تستحي !!

## (٢٠) كثرة ذكر الموت :

كان النبي ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال : « يا أيها الناس ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » (١) .

## (٢١) قراءة تراجم المتجهدين والعيش معهم :

والترية بالقدرة خير وسيلة ثعين على القيام ، والحكايات عن الصالحين المتجهدين وكيف أتهم ما كانوا يريدون العيش في الدنيا إلا للتهجد ..

لما أتى معاذ بن جبل الموت قال : مرحباً بالموت مرحباً ، زائر مُغِيبٌ وحبيبٌ جاء على فاقة لا أفلح من تدم ، اللهم ، إني كُنتُ أخافك وأنا اليوم أرجوك ، اللهم ، إنك تعلم أنني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لغرس الأشجار ، ولا لكري الأثمار ، ولا لجني الثمار ، ولكن لظماً الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب في جَلِّ العلم .

هذه الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب من يريدون سلوك طريق التهجد ، فيمتت العبد نفسه ، وهو يرى أناساً مصيرهم ومصيره إلى الله واحد ، ومع هذا سهرت عيونهم ونامت عينه !

(١) أخرجه الحاكم (٣٤٣/٤) ، وحسنه الألباني (٩٥٤) في «السلسلة الصحيحة» .



ما ذانت أعينهم غمضًا وهو ينام وله غطيط ! بكوا تحت ستر الليل وهو لاعب ! خافوا وهم قد نصبروا أقدامهم حتى تورمت ومالوا في الأسحار إلى الاستغفار وهو الآمن الغافل النائم فإذا أراد أن يلحق بالمتهجدين السادة .. فليترك مخاللة الفراش والوسادة ..

### وأما الميسرات الباطنة لقيام الليل فأربعة أمور :

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين ، وعن البدع وعن فضول مومم الدنيا .

الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل ، فإنه إذا تفكر أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حزنه .

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والآثار ، حتى يستحكم به رجاؤه فيهيجه الشوق لطلب المزيد .

الرابع : وهو أشرف البواعث : حب الله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو متاج ربه وهو سبحانه معه مطلع عليه .

### آداب القيام :

١ - الإخلاص وترك العجب :

قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل تطوعًا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أمين الناس خمسًا وعشرين »<sup>(١)</sup> ، وقد كان ﷺ ينام السحر الأعلى ليذهب النوم بصفرة القيام وهو أبعد الناس عن الرياء .

اتباع هدي النبي ﷺ :

(١) صحيحه الألباني (٣٨٢١) في «صحيح الجامع» .



## ٢- الاختصال والتطيب ولبس الثياب الحسنة :

فمن مجاهد بن جبير قال : كانوا يكرهون أكل الثوم والكراث والبصل من الليل ، وكانوا يستحبون أن يمس الرجل عند قيامه من الليل طيباً يمسح به شاربته وما أقبل من اللحية .

## ٣- التسوك لقيام الليل :

قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي ، قام الملك خلفه ، فسمع لقراءته ، فيدنو منه حتى يطع فاه على فيه ، وما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك ، فظهروا أنواهم للقرآن »<sup>(١)</sup> ، فانظر رحمك الله إلى حرص الملائكة واعتنائهم باستماع القرآن من البشر ، والذي نفسي بيده لو لم يكن في فضيلة السواك ليلاً إلا هذا الحديث لكفى .

## ٤- غسل اليد قبل غمسها في إثناء الوضوء .

٥- الحرص على أذكار القيام والاستفتاح والتأسي بالنبي ﷺ في كيفية صلاته .

## ٦- ترديد الآية وتدبر ما فيها .

## ٧- ترديد السورة .

## ٨- البكاء .

## ٩- حسن الصلاة وحضور القلب .

## ١٠- ترك القيام مع النعاس والفتور :

قال رسول الله ﷺ : « إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لماله يذهب يستغفر فيسب نفسه »<sup>(٢)</sup> .

(١) أخرجه البزار (٢/٢١٤) ، وصححه الألباني (٢١٣) في « السلسلة الصحيحة » .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٢٠٩) ، مسلم (٧٨٦) .



١١- النهي عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام :

قال رسول الله ﷺ : **« لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تخصصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم »** (١).

١٢- إيقاظ الأهل والعبيد ومن يليه لقيام الليل .

واعلم - أخي - أنه من اعتاد على القيام لله لذلك إذا غفل عنه ، فعن ابن مسعود قال : إذا نام الرجل وهو يريد القيام من الليل أيقظه إما سنور ، وإما صبي ، وإما شيء فيستيقظ ، فيفتح عينيه وقد وكل به قرينان : قرين سوء وقرين صالح ، فيقول قرين السوء : **« افتح بشر »** ، ثم عليك ليلاً طويلاً ما تسمع صوتاً ولا قيام أحد ، فإن نام حتى يصبح أتاه الشيطان فبال في آذنه ، فأصبح ثقيلاً كسلاناً خبيث النفس مغبوناً ، أما الآخر فيقول له الملك : **« افتح بخير »** ، ثم فاذكر ربك وصل ، فإن قام فتوضأ ثم دخل المسجد فذكر الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبي محمد ﷺ ، فإذا فرغ من صلاته استقبله الملك فقبله ، ثم يصبح طيب النفس قد أصاب خيراً .

**أخي في الله . .**

ألق نفسك في الدجى على باب الذل .

وقل : **« إلهي ، كم لك سواي ومالي سواك . . صيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك . »**

نفقري إليك وغناك عني ، بقوتك وضعفني ، بعزك وذلي إلا رحمتني وعفوت عني ، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك .

أسألك مسألة المسكين . . وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل . . وأدعوك



دعاء الخائف الضريع ، سزال من خضعت لك رقبته ، ورغم لك أنه ،  
وقاضت لك حيناه ، وذل لك قلبه . .

**إلهي . .** أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي ، أنا الذي كلما هممت  
بترك خطيئة عرضت لي أخرى . .

**وافئنيها** | خطيئة لم تيل وصاحبها في أخرى . .

**وافئنيها** | إن كانت النار لي مقيلا وماوي . .

**وافئنيها** | إن كانت المقامع لراسي تها . .

رب أفحمني ذنوبي وانقطعت مقالتي فلا حجة لي ، فأنا الأسير ببليتي ،  
المرتن بعيلي ، المتردد في خطيتي ، المتحير عن قصدي ، المتقطع بي ، قد  
أوقفت نفسي موقف الأشقياء المجترئين عليك ، المستخفين بوعدك ،  
سبحانك أي جرأة اجترائها عليك ، وأي تغريب غررت بنفسي .

مولاي ارحم كبوتي لحسر وجهي وزلة قدمي ، وعد بحلمك علي جهلي  
وبإحسانك علي إساءتي ، فأنا المقر بذنبي المعترف بخطيتي . .

**وهذه يدي وناصيتي** ، أستكين بالقود من نفسي ، ارحم ضعفي ونقاد أياي  
واقتراب أجلي ، وقلة حيلتي ومسكنتي ، مولاي وارحمني إذا انقطع من الدنيا  
أثري ، وانمحن من المخلوقين ذكرتي ، وكنت في المتسعين كمن قد نسي ،  
مولاي وارحمني عند تغير صورتي وحالي ، إذا بلت جسمي وتفرقت أعضائي  
وتقطعت أوصالي ، يا غفلتي عما يراد بي .

**مولاي وارحمني** في حشري ونشري ، واجعل في ذلك اليوم مع أوليائك  
موقفي ، وفي أحبائك مصدري ، وفي جوارك مسكني يارب العالمين ،  
سبحانك اللهم وحنانك ، سبحانك اللهم وتعاليت .





# الاحسان كاف

حين يخلو

أهل بيته







## الاعتكاف

الاعتكاف . . وما أدراك ما الاعتكاف . .

جئنا إلى بيت القصيد والمَعَكِّ الصادق للحبِّ الحقيقي . .

**حين يخلو كُلُّ حبيبٍ بحبيه**

حين يُذكر الاعتكاف تهفو إليه النفوس المزمّنة والقلوب الصادقة .

الاعتكاف بيتُ المشاعر . . وعمقُ الإيمان . . وصدقُ التوجه . . وحلاوة  
العزبة . .

الاعتكاف . . ملازمةُ الباب . . والوقوفُ في المحراب ؛ ولذةُ أُولي  
الألباب . .

الاعتكاف . . لا بد منه لكل صادق ؛ فإنه مطلبٌ رئيسٌ يحتاجه في حياته . .  
في القلب شعث لا يُلْمُهُ إلا الإقبال على الله . .

وفي القلب فاقة . . لا يسدها إلا الأُنس به واستشعار معيّن . .

هَمُّ الحياة وكبدُها . . شتاتُ القلب وتفرقه . . مأساةُ التعامل مع الناس  
ودنياهم . . كل ذلك يجعل الإنسان يتوق إلى خُلوّة حصينة يخلو فيها مع ربه  
والله . . وحيّيه ومعبوده وسيده ومطلوبه . .

يجعل الإنسان يشاق إلى لحظات يتخلص فيها من كل شيء ، ومن كل  
أحد . . ويجمع همُّ قلبه وكلُّ مشاعره وأحاسيسه بل وكلُّ حواسه على الله  
وحده .



وفرحة اعتكاف رمضان لمن أراد أن يغتنمها فرصة القمص . .

فإنه يخص العشر الأواخر من رمضان جزاً إيمانيّ عبق . . جزاً روحانيّ طلق . . فيها هدايا . . وفرائد وفوائد . . ويقم لا تحصن تحتاج إلى شكر . .  
ولك في رسول الله ﷺ أسوة ؛ فإن هذه الخلوة فترة إعداد وتهيئة وتدريب لأحد عشر شهراً قادمة .

قال بعض أصحاب التفاسير عند الكلام على خلوة النبي ﷺ في غار حراء  
كلاماً نفيساً أنقله هنا ينصه تأمله وتستفيد ما يمس قلبك منه قال رحمه الله :

« وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة طرقاً من تدبير الله له ؛ ليُعده لما ينتظره من الأمر العظيم . ففي هذه العزلة كان يخلو إلى نفسه ، ويخلص من زحمة الحياة وشواغلها الصغيرة ؛ ويُفرغ لمروحيات الكون ، ودلائل الإبداع ؛ وتسبح روحه مع روح الوجود ؛ وتتعانق مع هذا الجمال وهذا الكمال ؛ وتتعامل مع الحقيقة الكبرى ، وتُعرّن على التعامل معها في إدراك وفهم .

ولابد لأيّ روح يُراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى . . لابد لهذا الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت ، وانقطاع عن شواغل الأرض ، وضجة الحياة ، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة .

لابد من فترة للتأمل والتدبر والتعامل مع الكون الكبير وحقائقه العليقة .  
فالاستغراق في واقع الحياة يجعل النفس قائله ونستقيم له ، فلا تحاول تغييره .  
أما الانخلاع منه فترة ، والانعزال عنه ، والحياة في طلاقة كاملة من أسر الواقع الصغير ، ومن الشواغل التافهة ؛ فهو الذي يؤهل الروح الكبير لرؤية ما هو أكبر ، ويديره على الشعور بتكامل ذاته بدون حاجة إلى عرف الناس ، والاستعداد من مصدر آخر غير هذا العرف الشائع !



وهكذا ذُيِّرَ - الله لمحمد ﷺ وهو يمد له لحمل الأمانة الكبرى ، وتغيير وجه الأرض ، وتعديل خط التاريخ . . ذُيِّرَ له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنوات . ينطلق في هذه العزلة شهراً من الزمان ، مع روح الوجود الطليقة ، ويتدبر ما وراء الوجود من غيب مكنون ، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب عندما يأذن الله . اهـ .

### أبواب الإخوة . .

لقد كان محور حياة الرسول ﷺ الرئيسي عبادة الله عز وجل ، فهو خير من عبد الله عز وجل في هذا الكون ، فكانت له عباداته اليومية التي كان يواظب عليها من قروض ونوافل ، من أداء الصلوات الخمس ، وأداء للرواتب ، وصلاة الضحى ، وقيام الليل ، وعبادة مريض ، وتجهيز غازي ، وقضاء حوائج الناس ، وغير ذلك من سلوكه اليومي .

وقد كانت له عبادات أسبوعية ، مثل : صيام الاثنين والخميس ، وصلاة الجمعة .

وعبادات حولية ، مثل : صيام شهر رمضان ، وقيامه ، واعتكافه في العشر الأواخر منه .

وكل هذه الأمور التعبدية التي كان يحيا بها ﷺ لها توجيهاتها التربوية في حياة الإنسان المسلم ، لذلك كان لزاماً على المسلم معرفة التوجيهات التربوية في عبادات رسول الله ﷺ المتنوعة ، حتى يستطيع العمل على نهج رسول الله ﷺ ، لأنه القدوة في كل أمورنا على حد سواء وهذا هو الاتباع بإحسان .

والاعتكاف عبادة ليست كغيرها من العبادات ، فهي تعني الانقطاع إلى الله عز وجل بالكلية ، وهجر ملذات الدنيا ، التي تعرض عادة السير الروحي للإنسان ، والصلة المتكاملة بالله عز وجل من أجل تحقيق الصفاء الروحي في علاقة الإنسان المسلم بالله عز وجل .



فالجانب الروحي في الشرع وظيفته الرئيسية إيجاد صلة مستمرة بين العبد  
وخالقه عز وجل من خلال دائرة العبادة الراسعة ، التي تشمل حياة هذا الإنسان  
 بكليته ؛ مبتغياً بذلك مرضاة الله عز وجل ، متبعاً فيه شريعة الحق تبارك  
 وتعالى ، وتقطع هذه الصلة الروحية عند انحراف هذا الإنسان عن اتباع  
 مرضاة الله عز وجل ، وتطبيق شرعه القويم ، ونعود بعودة الإنسان إليها .

وفي الاعتكاف فرصة كبيرة لتحقيق هذه الصلة المستمرة بين العبد وربه  
عز وجل ، وذلك لِتَوَفُّر بُعْثَةِ مَرْضَاةِ اللَّهِ عز وجل ، واتباع شرعه تبارك وتعالى  
 بصورة مستمرة أثناء الاعتكاف ، والجوانب التربوية لسنة الاعتكاف لا تنحصر  
 في تربية النفس على تحري ليلة القدر ، أو في تربية الجانب الروحي في حياة  
 الإنسان المسلم ، وإنما هناك جوانب تربوية متعددة تمكثنا أن نقول : إن  
 الاعتكاف يعتبر بحق مدونة إسلامية تنعقد بصورة سنوية .

وعندما تعمل التربية الإسلامية على الوصول بالإنسان المسلم إلى درجة  
«لَيْسَ تَقْبِيرٌ» ، كان لابد وأن تُعِيرَهَا السُّنَّةُ جُلَّ اهتمامها ، وتعمل على ترسم  
 خطا النبي ﷺ في أحواله كما كان يفعل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ،  
 فكانوا نماذج بشرية عالية الهمم ، أمثال : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ،  
 وغيرهم رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين ، كانوا يعملون باستمرار في اتباعه ﷺ  
 في جميع أموره حتى وإن لم يعرفوا الحكمة في سلوكه ﷺ في أي موقف من  
 مواقف حياته .

ولا أدل على ذلك من أنه قد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما  
رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره ، فلما رأى  
 ذلك القوم أقروا نعالهم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : ( ما حملكم  
 على إلقاءكم نعالكم ؟ ) ، قالوا : رأيناك ألقيت نعلك فآلقينا نعالنا ، فقال



رسول الله ﷺ : «إن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن فيهما قلراً ، وقال ﷺ : «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فليُنظر ، فإن رأى في نعليه غلراً أو أدّى قليباً فليصل فيهما»<sup>(١)</sup> .

فكانت تلك المبادرة الفورية التلقائية لمتابعة سلوك الرسول ﷺ ألقي نعله فألقوا نعالهم وهكذا دومًا في كل الأحداث ، ونتج عن ذلك بطبيعة الحال الاستسلام الكلي لشرع الله عز وجل ، الذي كان أساسه ارتفاع درجة الإيمان بالله في تلك النفوس .

وعندما بدأ نور الإيمان يخفت ، وتلثت مؤشرات في نفوس كثير من المسلمين - إلا من رحم ربي - بدأ التخلت من دائرة الشريعة الإسلامية ، وخاصة سنة المصطفى ﷺ ، وقد نبشت نابتة شرٌ باعتبار أن كثيرًا مما جاء في حياته ﷺ سُنة ، ولا بأس من تركها !!

ترى بعض العلماء والمتفقيين من أهل عصرنا ، ممن عُرف بالنساهل في التمسك بالسنة ، إذا قيل له في تركه بعض السنن ، قال : هي سنة ، وهي جائزة الترك ، وينسى أو يُغفل المعنى الإيجابي لحب الرسول ﷺ ، وهو المفتضي للاتباع والاقتداء ، واللائق بالمسلم الحصيف غير هذا ، فقد كان السلف الأول يفعلون كل مطلوب شرعًا - ولو كان رغبة أو فضيلة - ودون تمييز بين ما يطلب على سبيل الفرض أو الواجب ، وبين ما يطلب على سبيل الترغيب أو النذب .

فالسنة المندوبة حصنٌ للفرائض الواجبة ، وبابٌ لزيادة الحسنات والأثوار على العتسن بها ، وعنوان الحب والاتباع لهدى الرسول الكريم ﷺ في شأنه

(١) أخرجه أبو داود (٦٥٠) ، وصححه الألباني (١٢) في مشكاة المصابيح .



كله ، فالحرص على السنن النبوية والتمثل بها من أكبر العنائم ، وأجل الصفات ، وأفضل القربات والطاعات ؛ فعليك به أيها الأخ المسلم .

والاعتكاف سنة مؤكدة ، واطب عليها رسول الله ﷺ في حياته بعد هجرته إلى المدينة المنورة ، وقد هجرت هذه السنة وغيرها من السنن النبوية في حياة الكثير من مسلمي اليوم - إلا من رحم ربي - وذلك لأسباب منها :

(١) ضعف الجانب الإيماني في تلك النفوس .

(٢) الإقبال المتزايد على ملذات الحياة الدنيا وشهواتها ، والذي أدى إلى عدم القدرة في الابتعاد عنها ولو لفترة بسيطة ، وبالتالي شغل الوقت والفكر بها .

(٣) انحصار محبة رسول الله ﷺ على الجانب اللفظي دون العملي ؛ والذي يتمثل في تطبيق جوانب السنة المحمدية المتعددة ، ومنها الاعتكاف .

قال الزهري : عجباً من الناس ! ، كيف تركوا الاعتكاف ، ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه ، وما ترك الاعتكاف حتى قبض .

الاعتكاف الذي كان يحياه الرسول ﷺ في العشر الأواخر من رمضان ، واقتصرت مدته الزمنية بين تسعة إلى عشرة أيام ، إلا أنها تعتبر بمثابة مدرسة تربوية مستقلة متكاملة ، تتخللها كثير من أنواع العبادة لله عز وجل ، والتي تعمل على إيقاظ كثير من الجوانب الحياتية في الإنسان ، وجعلها في دائرة واحدة متجهة إلى خالقها عز وجل ، فهي بمثابة دورة تربوية مكثفة لها نتائجها الإيجابية الفورية على حياة الإنسان في أيام وليالي الاعتكاف .

ولها أيضاً أثرها الإيجابي على حياة الإنسان فيما يستقبله من أيام خلال حياته التي يحياها إلى رمضان آخر ، فحري بنا أبناء أمة محمد ﷺ العمل بهذه



السنة ، والإقبال عليها سنة بعد سنة ، للإفادة من جوانبها المتعددة ، وإحياء لسنة الحبيب محمد ﷺ الذي قال : « من أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة »<sup>(١)</sup> .

### هدي النبي ﷺ في الاعتكاف :

وهديه ﷺ في الاعتكاف كان أكمل هدي وأيسره .

فكان إذا أراد أن يعتكف وُضع له سريره وفراشه في مسجده ﷺ ، وبالتحديد وراء اسطوانة التربة كما جاء في الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ : « أنه كان إذا اعتكف طرح له فراشه ، أو بوضع له سريره وراء اسطوانة التربة »<sup>(٢)</sup> .

وكان النبي ﷺ يُضرب له خِيَاءٌ على مثل هيئة الخيمة ، فيمكث فيه غير أوقات الصلاة حتى تتم الخلوة له بصورة واقعية ، وكان ذلك في المسجد ، ومن المتوقع أن يُضرب ذلك الخياء على فراشه أو سريره ، وذلك كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان ، فكانت أضرب له خِيَاءً ، فيصلي الصبح ، ثم يدخله »<sup>(٣)</sup> .

وكان دائم المكث في المسجد لا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان من بول أو غائط ، وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها حين قالت : « وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفاً »<sup>(٤)</sup> .

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٨) ، وضعفه الألباني (٥٠١) في « ضعيف الترمذي » .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٧٤) ، وضعفه الألباني (٣٩٢) في « ضعيف ابن ماجه » .

(٣) متفق عليه ، البخاري (١٩٢٨) ، مسلم (١١٧٢) .

(٤) متفق عليه ، البخاري (١٩٢٥) ، مسلم (٢٩٧) .



وكان عليه السلام يُرْتَى إليه بطعامه وشرابه إلى معتكفه ، وكان عليه السلام يحافظ على نظافته ؛ إذ كان يُخرج رأسه إلى حجرة عائشة عليها السلام لكي تُرجل له شعره ، فعنها عليها السلام : « أنها كانت تُرجلُ النبي عليه السلام وهي حائض ، وهو معتكف في المسجد ، وهي في حجرتها ، بتاولها رأسه »<sup>(١)</sup> .

وكان عليه السلام لا يعود مريضاً ، ولا يشهد جنازة ؛ وذلك من أجل التركيز والانقطاع الكلي لمناجاة الله عز وجل ، ففي الحديث عن عائشة عليها السلام أنها قالت : « كان النبي عليه السلام يمر بالمريض وهو معتكف فيمر كما هو ولا يُعْرِج يسأل عنه »<sup>(٢)</sup> ، وأيضاً عنها أنها قالت : « السنة في الاعتكاف أن لا يعود مريضاً ، ولا يشهد جنازة ، ولا يمس امرأة ولا يباشرها ، ولا يخرج لحاجة إلا لما لابد منه ، ولا اعتكاف إلا بصوم ، ولا اعتكاف إلا في مسجد جامع » .

وكان أزواجه عليهن السلام يزرنه في معتكفه ، وحدث أنه خرج بوصل إحداهن إلى منزلها وكان ذلك لضرورة ، إذ كان الوقت ليلاً ، فرأى عليه السلام أن خروجه معها عليها السلام لابد في ذلك الليل ، فخرج معها من معتكفه ؛ ليوصلها إلى بيتها .

ومخلاصة القول : إن هديه عليه السلام في اعتكافه كان يتسم باليسر ، فقد كان جُل وقته مُكثً في المسجد ، وإقبالاً على طاعة الله عز وجل ، وترقباً لليلة القدر .

### مقاصد الاعتكاف :

- (١) تحري ليلة القدر .
- (٢) الخلوة بالله عز وجل ، والانقطاع عن الناس ما أمكن ؛ حتى يتم أنه بالله عز وجل وذكره .

(١) نفس الحديث السابق .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٧٦) ، وصححه الألباني (١٤٣٨) في «صحيح ابن ماجه» .



- (٣) إصلاح القلب ، ولم شتته بالإقبال على الله تبارك وتعالى بتكليفه .
- (٤) الانقطاع التام للعبادة الصبر من صلاة ودعاء وذكر وقراءة قرآن .
- (٥) حفظ الصيام من كل ما يؤثر عليه من حظوظ النفس وشهواتها .
- (٦) التقليل من المباح من الأمور الدنيوية ، والزهد في كثير منها مع القدرة على التعامل معها .

### حكم الاعتكاف :

مئة مؤكدة عن رسول الله ﷺ .

ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركبة على سديها حصير ، قال : فأخذ الحصير بيده فتحاها في ناحية القبة ، ثم أطلع رأسه فكلّم الناس ، فلدنوا منها ، فقال : «إني اعتكفت العشر الأول التمس هذه الليلة ، ثم اعتكفت العشر الأوسط ، ثم أتيت فليل : إنها في العشر الآخر ، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف» ، فاعتكف الناس معه ، قال : «وإني أريتها رتزا وإني أسجد صبيحتها في طين وماء» ، فأصبح رسول الله ﷺ من ليلة إحدى وعشرين وقد قام إلى الصبح فمطرت السماء ، فركف المسجد ، فأبصرت الطين والماء ، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجيئته وروثة أنفه فيهما الطين والماء ، وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الآخر<sup>(١)</sup> .

### شروط الاعتكاف :

- (١) الإسلام : إذ لا يصح من كافر ، وكذلك العرثد عن دينه .

(١) متفق عليه ، البخاري (٧٨٠) ، مسلم (١١٦٧) .



(٢) التمييز : إذ لا يصح من صبي غير مميز .

(٣) الطهارة من الحدث الأكبر ( من جنابة ، وحيض ، ونفاس ) ، وإن طرأت مثل هذه الأمور على المعتكف أثناء اعتكافه وجب عليه الخروج من المسجد ؛ لأن مكته على هذه الحال في المسجد حرام .

(٤) أن يكون في مسجد : والأفضل أن يكون الاعتكاف في مسجد جامع تقام فيه الجمعة ، حتى لا يضطر إلى الخروج من المسجد لأجل صلاة الجمعة .

### أركان الاعتكاف :

(١) النية : وهي أمرٌ ضروري ، وفيه إخلاص العمل إلى الله عز وجل ، وهو كذلك في سائر الأعمال .

(٢) المكث في المسجد : وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَرَقَعْتُمْ إِيَّاهُ مِنْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وفي هذا تأكيد على أن مكان الاعتكاف هو المسجد .

### زمانه وبداية وقته :

إذا كان في رمضان فأكث وقتي العشر الأواخر منه ، ويجوز في أي وقت في رمضان أو غيره ، فهو لا يختص بزمن معين ؛ لأنه أمرٌ مستحب في جميع الأوقات ، وخاصةً إذا ألزم المسلم نفسه بذلك ، وأما بالنسبة لبداية وقته فقبل غروب الشمس لمن أراد أن يعتكف ليلة أو أكثر .

### محظورات الاعتكاف :

(١) الخروج من المسجد : يطل الاعتكاف إذا خرج من المسجد لغير حاجة .



(٢) مباشرة النساء : ومنها الجماع ، فهذا الأمر يطل الاعتكاف ؛ لورود النهي عنه صريحا في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَجْرُمُونَ﴾ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي السُّجُودِ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

(٣) الحيض والنفس : فإذا حاضت المرأة المعتكفة أو نُفِست وجب عليها الخروج من المسجد ؛ وذلك للحفاظ على طهارة وقدسيتها المسجد ، وكذلك الجنب حتى يغتسل .

(٤) قضاء العدة : وذلك إذا تُوفي زوج المعتكفة وهي في المسجد ، وجب عليها الخروج لقضاء العدة في منزلها .

(٥) الردة : حيث إن من شروط الاعتكاف الإسلام ، فيطل اعتكاف المرتد .

### أهداف الاعتكاف :

لا بد أيها الأخبة في الله من تحديد الأهداف المطلوبة وراء هذا العمل العظيم ؛ لأن معرفة الأهداف وتحديدتها يجعل النفس تشرف لها وتتطلع إليها دوماً وتحرص على تحصيلها .. وهي كثيرة :

#### (١) تطبيق مفهوم العبادة بصورتها الكلية :

يُوصَل الاعتكاف في نفس المعتكف مفهوم العبودية الحققة لله عز وجل ، ويدريه على هذا الأمر العظيم الذي من أجله خلق الإنسان ؛ إذ يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿رَمَّا خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ﴾ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِي﴾ [الدريات : ٥٦] ، حيث إن المعتكف قد وهب نفسه كلها ورقته كله متعبدا لله عز وجل ، فالإنسان كثيرا ما يضيع أوقاتا ثميته ، قضائها في أمور مُباحة دون أن يتوحي بها طاعة الله عز وجل ، وفي هذا المدار تسمير حياته ، ويعيش كثيرا من ساعات الغفلة



وخاصة في زمننا المعاصر الذي كثرت فيه المنغريات والصوارف عن طاعة الله .

فالمعتكف يادى ذي بذة نجد أنه ينوي الاعتكاف مخلصاً لله عز وجل ، ويبدأ ذلك يلزومه المسجد من أجل طاعة ربه ، ويكون شغله الشاغل في زمن الاعتكاف هو مرضاة الله عز وجل ، فهو يشغل بدنه وحواشه ووقته من أجل هذا الأمر ، بالصلاة من فرض ونفل ، وبالدعاء ، والذكر وقراءة القرآن ، وغيرها ، ويبعد في نفس الوقت عن صوارف هذه الطاعة ، فيبعد عن مجالس الكلام المباح ، وإن تكلم مع أخيه ففي حدود الحاجة وفي مدار طاعة الله عز وجل . وبذلك يتحقق في واقعه مفهوم العبادة لله عز وجل التي عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه رحمة الله بقوله : العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم ، والمكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين أو البهائم ، والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عقابه ، وأمثال ذلك من العبادة لله . اهـ .

وهذه الدربة في مثل أيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان المبارك ينريي المعتكف على كيفية تطبيق مفهوم العبودية لله عز وجل في حياته العامة والخاصة ، ويضع موضع التطبيق قول الحق تبارك وتعالى : ﴿قُلْ إِنَّ عِبَادِيَ لَشَرَكِيَ وَإِنِّي كَأَن لَّمْ أَخْبَرِكُمْ فَفَعَلْتُ وَمَا أَكُن بِمُتَّبِعِيكُمْ فَلا تُشْرِكُوا بِيَوْمَ الْحِسَابِ﴾ لا شريك لكم وبذلك ليرتد ولنا أول السليين ﴿[الأشعاع : ١٦٢-١٦٣] .



وبعد انقطاع وقت الاعتكاف يجتهد المعتكف قدر استطاعته لجعل حياته الخاصة والعامة في دائرة العبادة ، ولم يفتن كثير من الناس أن النية هي المحوّل العجيب ، إلا أنها لا تحوّل الجماد إلى نوح آخر من الجماد ؛ ولكنها تحوّل العبادة العادية التي نضمحل وتزول بمجرد الانتهاء منها إلى أعمال باقية خالدة ؛ فالطعام والشراب والنكاح كل ذلك زائل ذاهب ، فإذا قصد العبد به نية صالحة ؛ كأن يتوي بالتقوي بالطعام والشراب على طاعة الله ، وكان يعف نفسه عن الزنا بالنكاح ، ويطلب الولد الصالح الذي يعبد الله ويجاهد في سبيله ؛ فإن هذه الأعمال تتحوّل إلى أعمال باقية صالحة .

وبهذا التوجه في النفس الإنسانية المسلمة نستقيم هذه النفس في حياته كلها ، وإذا كثّر عدد الأفراد من هذه النوعية في أي مجتمع إسلامي استقام ذلك المجتمع أيضا .

### (٢) تحري ليلة القدر :

يكدرح الإنسان في حياته من رمضان إلى رمضان اثني عشر شهرا بأيامها ولياليها ، ﴿يَكْتُمُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَارِحٌ﴾ إِنَّ رَبَّكَ كَذَّاءٌ فَتَلْقِيهِ ﴿ [الانشقاق : ٦] ويبقى الإنسان المسلم في عملية أخذ وعطاء في ميدان الطاعة والمعصية ، ويغفل القلب في كثير من الأحيان عن ميدان الطاعة ، وتتغلب الجوارح في الخطايا ، وتتكاثر الذنوب على كاهل هذا الإنسان من حيث يدري ومن حيث لا يدري ، وفي واقع الإنسان المسلم الحصيف نجده مستغفرا متيبا إلى الله عند درابته بوقوعه في المعصية والخطأ ، وهذه من سمة الإنسان ؛ لقوله ﷺ : «كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون»<sup>(١)</sup> . فتدوم توبة الحصيف ويضيع الكثير على الغافل .

(١) أخرجه أحمد (١٩٨/٣) ، وحسنه الألباني (١٥١٥) في «صحيح الجامع» .



وتبين بذلك الخطايا التي لم يعلم بها ، ولكن هذا الواقع لا يتوافر في حياة الكثير من مسلمي اليوم ، الذين يعيشون في عصر سمته الغفلة عن مرضاة الله عز وجل ؛ وذلك لكثرة صوراف وشواغل الدنيا ، وكثرة التلهيات والمنكرات ، التي أصبحت في عرف هذا العصر من المعروف ، كل هذا يستوجب على الإنسان تحيُّن الفرص التي يقف فيها لمحاسبة نفسه ، والتخلص قدر الاستطاعة من تراكم الذنوب .

ومن رحمة الله عز وجل بالإنسان المسلم أن أوجد له مواسم للطاعات يتقرب فيها الإنسان إلى ربه عز وجل ، ونحيط عنه من خلال هذا التقرب تلك الخطايا والمعاصي ، ومن هذه المراسم شهر رمضان ، وأخص ما في هذا الشهر ليلة القدر ، إذ يقول الرسول الكريم ﷺ : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(١)</sup> .

ففي الاعتكاف فرصة دررية للمعتكف لمراجعة حياته السابقة ، وتأمل ما عمل فيها من سوء ، وعقد النية على عدم الرجوع إليه ، والتوبة والندم عليه ، والتضرع إلى الله العليّ القدير أن يغفر عنه ويغفر له ، وخاصة في ليلة القدر ، وأولى الناس بشهود ليلة القدر من بداية وقتها وحتى انتهائه هو المعتكف ؛ لأنك تجده قائماً في المسجد في ذلك الوقت ذاكراً لله في جميع أحواله بمختلف أنواع الذكر متحريراً هذه الليلة المباركة .

وشعور الإنسان المسلم بمغفرة الله عز وجل ، وأنه قد تخفف من كثير من الذنوب التي أزيحت عن كاهله يعطيه نوعاً من الدافعية للانطلاق في طاعة الله عز وجل ، ومرضاته في أعماله المختلفة ، لكسب المزيد من الحسنات التي تثقل موازينه يوم العرض على الله عز وجل .

(١) متفق عليه ، البخاري (٢٥) ، مسلم (٧٦٠) .



## (٣) تعوّد المكث في المسجد :

في الاعتكاف تدريب وتربية للنفس على تعوّد المكث في المساجد ، الذي له أهميته في حياة الإنسان المسلم ؛ فالمعتكف قد ألزم نفسه البقاء في المسجد مدة معينة ، وفي شهر رمضان عادة ما تكون ما بين تسع إلى عشر ليال يقضي وقته كله في مرضاة الله عز وجل ، وقد لا تقبل النفس الإنسانية مثل هذا القيد في بداية الاعتكاف ؛ ولكن عدم القبول هذا عادة ما يتبدد سريعاً لما تلقاه النفس المسلمة من راحة وطمأنينة في بقائها في بيت الله .

ومعرفة المعتكف بأهمية بقائه في المسجد أثناء اعتكافه ، وبالتالي المبادرة إلى المسجد قبل الأذان أو بعده بعد رمضان ، يجعله يحرص على هذا الأمر في حياته بصورة مستمرة لأهميته التي تتجلى في الأمور التالية :

## ١- رجل تعلق قلبه بالمساجد :

أن الرجل الذي يمكث في المسجد قد أحب المسجد من قلبه ، وذلك الحب يجعله من الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، ففي الحديث : «ورجل قلبه معلق بالمساجد»<sup>(١)</sup> .

## ٢- فضيلة المكث في المسجد :

أن الذي يمكث في المسجد ينتظر الصلاة له أجرُ صلاة ، وأن الملائكة تستغفر له مادام في مُصَلٍّ ولم يُخْبِث . قال رسول الله ﷺ : «صلاة في إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين»<sup>(٢)</sup> .

(١) ميثق عليه ، البخاري (١٣٥٧) ، مسلم (١٠٢١) .

(٢) أخرجه أبو ذراد (٢٧/٢) ، وحه الألباني (١٢٨٨) في «صحيح أبي داود» .



### ٣- فرح الله بالعبد :

فرح الله عز وجل باتخاذ المؤمن المسجد موطنًا يقصد الله فيه ويذكره ، وهذه من النعم الجليلة من الله الجليل عز وجل على هذا العبد الفقير ، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « ما توطن رجلُ مسلم المساجد للصلاة والذكر إلا تبشئ الله له كما تبشئ أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم »<sup>(١)</sup> .  
الله أكبر ! ، لك أن تتصور من غير تشبيه ولا تحثيل ولا تعطيل ولا تأويل تبشئ الله لك حال قدومك إليه وإقبالك عليه .

ومعرفة هذه الفضائل ضرورية بالدرجة الأولى للمعتكف ؛ إذ أنها تعطيه دافعًا للاستمرار في اعتكافه بجد واجتهاد في طلب رضا الله عز وجل ؛ حتى تستمر له هذه الحسنات والأجور .

### (٤) البعد عن الترف الحادي :

فُتحت الدنيا على كثير من مسلمي اليوم ، وتوفرت وسائل الراحة المختلفة التي كلما أخذ إليها الإنسان ازداد في طلبها ، وبذلك عملت وسائل الراحة هذه في زيادة التفرقة في حياة المسلم ، ويشتغل كثير من الأحيان أن وسائل العيش المترف أمرٌ أساسي في حياته لا يستطيع أن ينخلن عنه .

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، إذ كان راضيًا من الدنيا بالكفاف ، وهو الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ويتمتع بالطيبات متى تيسرت من غير سرف ولا مخيلة ؛ ليوضح لأمتة حقيقة الزهد لتستن به فيه ؛ لأنه إمام الزاهدين وقدوة المؤمنين ورحمة الله للعالمين .

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٢٨) ، وحسنه الألباني (٥٦٠٤) .



ففي حديثه عليه السلام يقول عائشة رضي الله عنها : «ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام برّ ثلاث ليال تياحاً حتى قبض» <sup>(١)</sup>.

وفي إدامه يقول جابر رضي الله عنه : إن رسول الله ﷺ سأل أهله الأدم فقالوا : ما عندنا إلا خل ، فدعا به فجعل يأكل ويقول : «نعم الأدم الخل ، نعم الأدم الخل» <sup>(٢)</sup>.

وفي مسكنه في حديث عمر الطويل ، يقول عمر : «فدخلت عليه ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش ، قد أثر الرمال بجنبه ، متكئ على وسادة من أدم حشوها ليف» <sup>(٣)</sup>.

فهذا واقع خير خلق الله عز وجل في هذه الدنيا ، وهذا موقفه من وسائل العيش التي جعلت الكثير منا - إلا من رحم الله - يتمادى في طلبها بصورة تزيد غفلة عن طاعة الله عز وجل ويبع دينه من أجلها .

وفي الاعتكاف يتخفف المعتكف من هذه الأمور ، فيعرف قيمتها الحقيقية وأنها لا أهمية لها ويصبح كأنه إنسان غريب في هذه الدنيا ، فهو من أجل مرضاة الله عز وجل ارتضى أن يقبع في ناحية من المسجد ليس لديه في الغالب إلا وسادة يضع عليها رأسه وغطاء يغطي به ، فراشه هو فراش المسجد ، فهو قد ترك فراشه الوثير وعاداته الخاصة من أجل ذلك الرضى . وكذلك طعامه ، فهو عادة لا يؤتى إليه بالكثير من الطعام ، فيأكل كما يأكل الغريب ، ويأكل كما يأكل العبد الفقير إلى ربه .

وبهذا يتربى الفرد على حقيقة لها أصالتها في التربية الإسلامية ، وهي أن

(١) متفق عليه ، البخاري (٥١٠٠) ، مسلم (٢٩٧٠) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٢) .

(٣) متفق عليه ، البخاري (٤٦٢٩) ، مسلم (١٤٧٩) .



الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار ، وأنها دار مرور وعبور إلى حياة أخرى . سرمدية خالدة ، يجب أن يعمل لها الإنسان مجلّ وقته من خلال تعامله مع هذه الحياة الفانية ، فيترفع عن التعلق بالكثير من الأمور المعاشية ، التي كانت تشغل به في السابق عن مرضاة الله عز وجل .

### (٥) الإقلام عن كثير من العادات الضارة :

في ظل غياب مفهوم التربية الإسلامية في كثير من المجتمعات الإسلامية ؛ نشأت لدى أفراد هذه المجتمعات كثيرٌ من المعاصي المنتشرة التي اسنهان بها الناس ، ومنها : التدخين ، وسماع الموسيقى والأغاني ، ومشاهدة ما يبث في الفضائيات من أحاديث تخدش عقيدة المسلم ، ومن مناظر تعمل على هدم أساميات الأخلاق الإسلامية .

فيتعرف الإنسان المسلم في فترة الاعتكاف ، وقد خلا إلى خالقه ، على مفهوم العبادة بصورتها الشاملة ، وأنه يجب أن يكون متعبداً لله عز وجل على مدار الساعة في حياته العامة والخاصة ، وأن يتغني مرضاة الله عز وجل في كل حين فشغله بالطاعة انشغال عن المعصية ، وهذه المعرفة لمفهوم العبادة تجعله يقف على زيف هذه المعصية السيئة ، فهو عندما يتخذ حب ومرضاة الله عز وجل كميزان يزن به كل عمل يقوم به ؛ يجد أن تلك المعاصي لا تتفق مع هذه المحبة لله عز وجل ، بل تعمل في اتجاه معاكس لها ، ويجد بذلك أن مثل تلك المعاصي تخرجه من دائرة العبودية الصادقة لله ؛ وإذا كان الأمر كذلك فيجب عليه أن يتخلص منها في أسرع وقت ممكن .

فالمسلم العاقل الذي أخلص نيته لله عز وجل في اعتكافه يعرض كل الحرص على سلامة وكمال طاعته وعبادته لله عز وجل ؛ فإذا كان قد ابتلي بشيء من هذه المعاصي ؛ فالاعتكاف فرصة مثوية يستطيع فيها المعتكف أن



يتخلص من هذه البلياء عن طريق التوبة والالتجاء إلى الله عز وجل أولاً ، وعن طريق فطام النفس عن تلك البلياء في فترة الاعتكاف ، وعدم تحقيق رغبة النفس منها وتعويدها على ذلك ، وفي هذا كله تربية للنفس على القدرة على التخلص من كثير من العادات التي لا تُرضي الله عز وجل فضلاً عن المعاصي والذنوب .

### (٦) حفظ اللسان والجوارح مما لا ينفع الإنسان :

يُستحب للمعتكف أن يشتغل بالصلاة وقراءة القرآن وذكر الله وما إليها من القربات ، وعليه أن يئزّه اعتكافه عما لا يُعْبَهُ من الأقوال والأفعال ، وأن يتجنب الجدال والجراء والسباب ، فهذه الأمور تُكْرَهُ لغير المعتكف ، فمنه أشدُّ كراهة ، ولا بأس أن يتكلم بما فيه حاجته ومصلحته مما لا إثم فيه .

ومن أطلق حُدْبَةَ اللسان ، وأهمله مؤخِّي القَتَان ، سلك به الشيطان في كل ميدان ، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى الجوارح ، ولا يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ، ولا ينجر من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع ، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله .

وغض البصر أيضاً من الأمور التي أمر الإسلام بها ، فينبغي على المعتكف ألا يستخدم بصره إلا في أمور الطاعة من قراءة قرآن ، وطلب علم ، وتدبر ، وتأمل في ملكوت الحق تبارك وتعالى ، وهو بذلك ممثّل لأمر الله عز وجل في حالته هذه في مقامه بالمسجد الذي قد يرتاده النساء ، كما هو الحال في المسجد الحرام ، أو في حالة خروجه لحاجاته المختلفة إلى خارج المسجد . وكذلك بقية الجوارح لا يستخدمها إلا في طاعة الله عز وجل ، حتى القلب والفكر لا يجوز استخدامها في نمي أمور لا تُرضي الله عز وجل .



## (٧) التفكير في آلاء الله عز وجل :

في عصر الغفلة الذي نعيشه ، وسعي الإنسان الحثيث وراء متطلبات الحياة المادية ؛ تقل الفرص التي تتيج للإنسان المسلم إعمال العقل والفكر في مجال الآيات الكونية والشرعية .

وفي فترة الاعتكاف تصفو النفس المسلمة في اتصالها بخالقها ، وينفض الإنسان يديه من مشاغل الحياة الدنيا ، ويتفرغ لما يُرضي الحق تبارك وتعالى ، وتُتاح له الفرصة تلو الفرصة للقيام بعمليات التفكير والتدبر ، وذلك من جراء الوقت الفسيح الذي يعيشه المعتكف ، وقد أخلت قلبه من كل شيء إلا الله عز وجل ، فلو تفكر المعتكف في أمر كُلٍّ من الصيام والاعتكاف فقط ؛ لعرف ووقف على كثير من الحكَم التي تقف وراءهما ، ولارتفع مؤشر الإيمان لديه .

## (٨) الصبر وقوة الإرادة :

في واقع الاعتكاف يتعرض الإنسان المسلم إلى مواقف متعددة هي بمثابة تمرين عملي للعبد على الصبر ، فعلى سبيل المثال :

• هناك صبر على طاعة الله عز وجل ، فهو أمر لم يكن المعتكف معتاداً عليه في حياة ما قبل الاعتكاف ، وهو الآن بعيد تماماً عن أي صوارف تصرفه عن هذه الطاعة ، وهذه الطاعة المستمرة لله عز وجل تحتاج إلى صبر مستمر من قبل المعتكف ، وفي هذا تربية للإرادة وكبح لجماح النفس التي عادةً ما ترغب في التغلّب من هذه الطاعة إلى أمور أخرى تهواها .

• وهناك الصبر على ما نقص مما ألفت عليه النفس من أنواع الطعام مثلاً .

• وهناك الصبر على نوع الفراش الذي يتنام عليه ؛ فليس بالإمكان أن يوضع له سرير في المسجد .



• وهناك الصبر على ما يجد في المسجد من مزاحمة الآخرين له ، ومن عدم توفر الهدوء الذي كان يألفه في منزله إذا أراد النوم .

• وهناك الصبر على الزوجة إذ يُحْرَم عليه مباشرتها عند دخوله إلى منزله للحاجة وهي حلاله ، وفي هذا الأمر تتجلى قيمة الصبر وقيمة القوة في الإرادة وضبط النفس .

### (٩) الاطمئنان النفسي :

إن ذكر الله عز وجل بعموميته جالبٌ لطمأنينة النفس لا محالة ، وتؤكد الطمأنينة في واقع المعتكف بصورة أساسية ؛ لأن حياته في معتكفه تدور حول هذا الأمر بطريقة مستمرة ، فصحوته ذكر ، ومنامه ذكر ، وطعامه ذكر ، وحركاته وسكناته كلها ذكر ، وهنا تشرق على نفسه طمأنينة لم يكن يعهدها في حياته قبل الاعتكاف ؛ لأنه زَكَّرَ واستكان إلى جنب الله ، فهو خيفَ على الله في بيت من بيوته ، وقد ينسأل عن سر تلك الطمأنينة ومصدرها ، فيجد الإجابة تبرز من ثنايا أعماله التي يقوم بها في اعتكافه ، والتي منها على سبيل

### المثال :

• الصلاة : لقاء مباشر مع خالقه . . بناجيه . . فيسمع الله عز وجل . . يدعوه في سجوده . . فيستجيب له ، فتطمئن النفس إلى هذا اللقاء وتُكثِر منه .

• قراءة القرآن : وهو ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ ، به طمأنينة قلوب المؤمنين ، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين ، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن ، فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه ، واضطرابه من شكوه ، والقرآن هو المحصل لليقين ، الدافع للشكوك والظنون والأوهام ، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به .



• الذكر المقبّد والمطلّق : من تهليل ونحميد وتسبيح وتكبير . . وفي استمرارية المعتكف في هذا النوع من الذكر كل أوقاته مدعاة وسبب لحصول الأمان والاطمئنان النفسي .

**يقول ابن القيم :** إن ذكر الله عز وجل يُذهب من القلب مخاوفه كلّها ، وله تأثير عجيب في حصول الأمن ، فليس للمخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل ، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويَزول خوفه ، حتى كان المخاوف التي يجدها أماناً له ، والغافل خائفٌ مع أمّنه ، حتى كان ما هو فيه من الأمن كلّهُ مخاوف ، ومن له أدنى حسٍّ قد جرّب هذا ، هذا والله المستعان .

### (١٠) تلاوة القرآن الكريم :

إن معرفة المعتكف بفضائل قراءة القرآن الكريم ، والعمل به ، وختمة مرة تلو الأخرى ، هي تربية على الحرص على تعلم القراءة السليمة للقرآن الكريم ، وعلى الحرص كذلك على المداومة على قراءته ، وتخصيص ورد يومي يحرص كل الحرص على قراءته ، وبذلك يسعد في دنياه وآخرته .

### (١١) التوبة النصوح :

في حياة المعتكف نجد أن هناك أموراً عدة نخش على التوبة النصوح من كل معاصيه ، **منها :**

• أن القلب قد توجه بكلّيته إلى الله عز وجل ، وأن الصلة بين هذا الإنسان وخالقه اتسعت بالاستمرارية على مدار اليوم واللييلة في أيام وليالٍ متوالية ، وحرّي الإنسان المسلم أن يستمر هذه الصلة بالتوبة والندم والاستغفار ، وذلك لقربه من الله عز وجل .



• أن هناك مجالاً للتفكير والتأمل في حياته : كيف هي من تطبيق شرع الله عز وجل ؟ ، وما جوانب النقص في هذا التطبيق ؟ ، وما الأسباب التي أدت إلى وجود هذا النقص ؟ ، ومن خلال هذا التأمل تظهر خطايا ومعاصي هذا الإنسان ، ومن خلال التأمل يأتي الإقرار والاعتراف من جانبه بهذه الذنوب والمعاصي ، ويدفعه ذلك إلى المبادرة بالتوبة والنية والعزم على عدم العودة إليها .

• أن المعتكف يحيا بواقعيته شهر المغفرة والتوبة والعشق من النار ، وفي هذا دافع حقيقي للتوبة النصوح .

• استشعار مرضاة الله عز وجل والثقة فيه بأن يغفر الذنوب جميعاً ، يورث النفس طمأنينة واستقراراً ، ويدفعها إلى الاستمرارية في العمل الصالح ، وإبتغاء مرضاة الله في كل حين ، والمصارعة إلى التوبة والاستغفار كلما بدا منه ذنب أو خطأ أو تقصير ، وبذلك نصلح حياته .

### (١٢) التعمد على قيام الليل :

المعتكف يتغني مرضاة الله عز وجل من اعتكافه وقيام الليل ، وخاصة في العشر الأواخر من رمضان ، من صلاة التراويح والتهجد ، وبذل جهده فيما يزيده رضا من الله عز وجل .

ومن خلال قيام الليل يتربى المعتكف على حسن الوقوف بين يدي الله عز وجل بنفس صافية ، وروح موصولة بالله عز وجل ، يتربى على حسن المناجاة ، ويقف على هذه اللذة ، وهو موقن بأن الله عز وجل قريب منه . . يراه . . يسمعه . . يستجيب له .

وهذا كله يعطي للإنسان دفعة قوية للمواظبة على قيام الليل ، وحرى بمن



تعود على لذة مناجاة خالقه في أوقات السَّحر ، والذي يعتبر من أئسن الأوقات في حياة المسلم ، واليقين بأن الله عز وجل يراه ويسمعه ، حري به ألا تفوته ليلة من ليالي عمره الفصير إلا وقد قلقد بتلك المناجاة ، وأعز نفسه بالالتجاء الحق إلى بارئه .

### (١٣) عمارة الوقت :

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله : «وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة ، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم ، وهو يمرُّ مرَّ السَّحاب ، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته ، وإن عاش فيه عيش البهائم ، فإذا قطع وقته في الخفلة والسهر والأمانى الباطلة ، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة ، فموت هذا خير له من حياته ! اهـ .

والمعتكف قد عمل جهده وخرص على إنفاق وقته كله في طاعة الله عز وجل ومرضاته ، وعمل أيضًا على تنظيم وقته ، وتعود في فترة اعتكافه على ذلك التظيم ، فاستفاد من كل دقيقة في مرضاة الله ؛ وهو بذلك قد وقف على قيمة الوقت وحقيقته ، فترى في هذه الفترة الزمنية القصيرة على كيفية استغلال الوقت بصورة سليمة ؛ مما يتوقع أن يكون له أثره في حياته بعد الاعتكاف .

### (١٤) القرب من الله عز وجل ، ومحبه تبارك وتعالى للعبد :

فالمعتكف قد ابتعد عن الخلق ، وأدى ما اقترضه الله عليه من صيام وصلاة وزكاة ، وتقرب إلى الله عز وجل بنوافل شتى من اعتكاف وصلاة وقراءة قرآن وذكر وتفكير وتأمل وغير ذلك ، واعتادت النفس أداء هذه النوافل ، فمن طريق هذا القرب من العبد لربه ، ويعدّه عن الخلق ، يأتي تبادل المحبة بين العبد وخالقه عز وجل ، وهذا فضل من الله عز وجل في رفع درجة المعتكف عنده



تبارك وتعالى ، فهذا وعده سبحانه في الحديث القدسي قال : « لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه »<sup>(١)</sup> .

وشعور المعتكف بهذه المحبة تجعله يعمل على المحافظة عليها في حياته بعد الاعتكاف ؛ لأن محبة الله له أضمن ما يملك الإنسان في الدار القانية ، والدار الباقية ، ولا بد له من العمل على تنمية هذه المحبة عن طريق زيادة القرب من الله عز وجل ؛ لأن العبد كلما ازداد تقرباً إلى الله عز وجل واده الله قرباً منه ، وأتابه على القليل من هذا التقرب بالأجر والثواب العظيم ، فمن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ غير منهم ، وإن تقرب إلي شيواً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة »<sup>(٢)</sup> .

### (١٥) تزكية النفس :

قال سبحانه : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى » [الأعلى : ١٤] ، والتزكية هي تطهير النفس ، ورفع مكانتها عند الله عز وجل ، بطاعته تبارك وتعالى ، والاعتكاف مبدأ رئيسي في تطهير النفس ، وعند استمرارية مفهوم التزكية من اعتكاف في مرحلة ما بعد الاعتكاف ، فيحرص دائماً على تطهير النفس من كل أمر ليس فيه رضى الله تبارك وتعالى ؛ فيكون ذلك عنوان فلاحه ونجاحه في دنياه وآخرته .

### (١٦) صلاح القلب وجمعه على الله عز وجل :

وهذا مجمرع فيه فضائل الاعتكاف كلها ؛ إذ إن المعتكف إن أخلص النية

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨/١١) ، (٣٤٩) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٦٩٧٠) ، مسلم (٢٦٧٥) .



في اعتكافه وحبس نفسه على طاعة الله ، واشتغل بذكر مولاه ، وابتنى بذلك رضا ، توجه القلب بكليته إلى خالقه بناجيه ويدعوه ويستغفره ، ويفتقر إليه في كل شئونه ، **وفي هذا يقول ابن القيم :**

«وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه : عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه ، والمخلوة به ، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق ، والاشتغال به وحده سبحانه ، بحيث يصبر ذكره وحب والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته فيتولي عليه بدلها ، ويصير الهم كله به ، والخطرات كلها بذكره ، والتفكير في تحصيل مراضيه وما يقرب منه ، فبصير أنسه بالله بدلاً من أنسه بالخلق ، فيبغض بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حيث لا أنس له ، ولا ما يفرح به سواء ، فهنا مقصود الاعتكاف الأعظم » اهـ .

إنَّ المخلوة والأنس بالله عز وجل التي يحياها المعتكف في معتكفه هي بمثابة تربية وتدريب له ؛ لكي تستمر تلك المخلوة والأنس بالله في حياته بعد الاعتكاف ؛ حتى يتخلص في حياته العامة بعد ذلك من متعلقات النفس المادية ، وتستمر تهينة النفس للأنس بالله في وحشة القبور ، وهذا يعني أن من فوائد الاعتكاف ما لا يقتصر على الدنيا ؛ بل يتعداها إلى الحياة الآخرة ، فالقبر أول منازل الآخرة .

### (١٧) حقيقة اتباع ومحبة الرسول ﷺ :

اعتكف المعتكف اتباعاً للرسول واستمر في اعتكافه متابعا لهدي النبي ﷺ .  
فاتباع الرسول ﷺ في جميع أقواله وأعماله يؤدي إلى أمور أساسية يسمي إليها المعتكف ، منها :

• محبة الإنسان لله عز وجل ، وهذا مطلب أساسي .



• محبة الله عز وجل لهذا الإنسان ، وهي نتيجة أساسية لاتباع الرسول ﷺ .

• خفران الذنوب من الله عز وجل لهذا الإنسان .

• ثم نتيجة ثالثة ، وهي محبة الإنسان المسلم للرسول ﷺ ، محبة فعلية والتي تأتي عن طريق الاتباع ، فالمحب الحقيقي هو المتبع لجميع أعماله وأقواله من غير زيادة أو نقصان ، ودرجة التكامل في محبة الرسول ﷺ هو التمسك بالثقة الواجبة والمستحبة علي السواء ؛ لأنها دليل حقيقي علي المحبة والاستكثار من الحسنات التي تأتي من طريق متابعة الإنسان المسلم لسلوكه ﷺ بصورة عامة .

**قال ابن القيم - عليه رحمة الله :** « لما كان صلاح القلب واستقامته علي طريق سيره إلى الله تعالى متوقفا علي جمعيته علي الله ، ولم شيعته بإتباعه بالكلية علي الله تعالى ، وكان فضول الطعام والشراب وفضول مخالطة الأنام ، وفضول الكلام ، وفضول المنام ، مما يزيده شعنا ، ويشتهه في كل واد ، ويقطعه عن سيره إلى الله أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه .

اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى ، وشرعه بقدر المصلحة بحيث يتفقد به العبد في دنياه وآخراته ، ولا يضره ولا يقطع عن مصالحه العاجلة والآجلة .

**فالمعتكف قد حبس نفسه علي طاعة الله وذكره ، وقطع نفسه عن كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه علي ربه وما يقربه منه ؛ فما بقي له ثم سوى الله وما يرضيه عنه » اهـ .**

ولهذا ذهب الإمام أحمد وإمام السنة إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة



الناس، حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن؛ بل الأفضل للانفراد بنفسه،  
والتغلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه.

### إذا فمعنى الاعتكاف وحقيقته:

قطع العلائق عن المخلاتق للاتصال بخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة  
بالله والمحبة له والأنس به؛ أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله بالكلية حتى كل  
حال. كان بعضهم لا يزال منفردًا في بيته خاليًا بربه، فقيل له: أما  
تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: «أنا جليس من ذكرني».

### كيف نحصل حلاوة الاعتكاف؟

أما كون الطاعة ذات حلاوة فيدل عليه قوله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان»<sup>(١)</sup>،  
وقوله ﷺ: «ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»<sup>(٢)</sup>، والمقصود أن ذوق  
حلاوة الإيمان والإحسان أمر بجدة القلب، تكون نسبته إليه كنسبة ذوق حلاوة  
الطعام إلى الفم.

واعلم - علمت كل خير - أن حلاوة الطاعة ملاكها في جمع القلب والهمم  
والسر على الله. ويفسر ابن القيم ذلك قائلًا:

الاعتكاف هو محووف القلب بركابته على الله عز وجل، لا يلتفت عنه يمتة  
ولا يسرة، فإذا ذقت الهممة طعم هذا الجمع اتصل اشتياق صاحبها وتأججت  
نيران المحبة والطلب في قلبه..

ثم يقول: فلله همه نفس قطعت جميع الأكوان وسارت، فما ألقت عصا  
السير إلا بين يدي الرحمن تبارك وتعالى، فسجدت بين يديه سجدة الشكر

(١) أخرجه مسلم (٣٤).

(٢) متفق عليه، البخاري (١٦)، مسلم (٤٣).



على الوصول إليه ، فلم تزل ساجدة حتى قيل لها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ۖ﴾<sup>(١٥)</sup>  
 أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكِ وَأَنِيبْ ۖ تَوْبَتُكَ ۖ ﴿١٦﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ ﴿١٧﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ۖ ﴿١٨﴾ (النجم : ٢٧-٢١) ،  
 فسبحان من فاوت بين الخلق في مهمهم حتى ترى بين الهمتين أبعد ما بين  
 المشرقين والمغربين ، بل أبعد مما بين أسفل سافلين وأعلى عليين ، وتلك  
 مواهب العزيز الحكيم : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَلِيِّ﴾  
 [الجمعة : ٤] .

ثم يقول : وهكذا يجد الله غامرة عند مناجاة ربه ، وأتسأ به ، وفرياً منه ،  
 حتى يصير كأنه يخاطبه ويسأره ، ويعتذر إليه تارة ، ويتملقه تارة ، ويثني عليه  
 تارة ، حتى ييقن القلب ناطقاً بقوله : أنت الله الذي لا إله إلا أنت ، من غير  
 تكلف له بذلك ؛ بل ييقن هذا حالاً له ومقاماً ، كما قال النبي ﷺ : (الإحسان  
 أن تعبد الله كأنك تراه)<sup>(١٩)</sup> .

وهكذا مخاطبته ومناجاته له ، كأنه بين يدي ربه ، فيسكن جأشه ويطمئن  
 قلبه ، فيزداد لهجاً بالدعاء والسؤال ، تذللًا لله الغني سبحانه ، وإظهاراً لفقر  
 العبودية بين يدي عز الربوبية ؛ فإن الرب سبحانه يحب من عبده أن يسأله  
 ويرغب إليه ؛ لأن وصول بره وإحسانه إليه موقوف على سؤاله . .

بل هو المتفضل به ابتداءً بلا سبب من العبد ، ولا توسط سؤاله وطلبه ، بل  
 قدر له ذلك الفضل بلا سبب من العبد ، ثم أمره بسؤاله والطلب منه إظهاراً  
 لمرتبة العبودية ، والفقر والحاجة ، واعتراحاً بعز الربوبية ، وكمال غنى الرب ،  
 وتفرد بالفضل والإحسان ، وأن العبد لا غنى له عن فضله طرفة العين ، فيأتي  
 بالطلب والسؤال إتيان من يعلم أنه لا يستحق بطلبه وسؤاله شيئاً ، ولكن ربه  
 تعالى يحب أن يُسأل ، ويرغب إليه ، ويطلب منه . .

(١٩) متفق عليه ، البخاري (٤٤٩٩) ، ومسلم (٨) .



**ثم قال :** فإذا تم هذا الذل للعبد تم له العلم بأن فضل ربه سبق له ابتداء قبل أن يخلقه ، مع علم الله سبحانه به وتقديره ، وأن الله تعالى لم يمتعه علمه سبحانه بتقصير عبده أن يقلّر له الفضل والإحسان ، فإذا شاهد العبد ذلك ؛ اشتد سروره بربه ويمواقع فضله وإحسانه ، وهذا فرح محمود غير مذموم ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَهِيمُ ﴾ [يونس : ٥٨] اهـ (١) .

### برنامج الاعتكاف :

(١) الدخول إلى المعتكف مغرب يوم ٢٠ رمضان ، ليلة الحادي والعشرين هي أول ليلة من ليالي العشر .

(٢) لا تنس نية الاعتكاف ، والأجر على قدر النية « إنما لكل امرئ ما نوى » ، والنية تجري مجرى الفتح من الله تعالى ، فعلى قدر إخلاصك يفتح الله عليك بالنيات ، مثلاً :

• اتباع سنة الرسول ﷺ طلباً لمحبة الله ورسوله .

• التماس ليلة القدر .

• جمع شمل القلب .

• التحلي عن هموم الدنيا ومشاغليها .

• مصاحبة الصالحين والتأسي بهم .

• شد البئزر في العبادة والتخلص من الكسل .

• عمارة المسجد .



• التبتل .

• التخلص من العادات وتحقيق معنى العبودية .

هذه أمثلة والفتح يأتي من الله .

(٣) أول اعتكافك الإفطار ، وتعود منذ يومك الأول ترك العادات الملازمة والطقوس التي تصاحب الإفطار ، تعود البساطة واجتنب التكلف ، ثمرات وماء وقد أفطرت .

(٤) تعلم في هذا المعتكف ألا تضيع وقتك ، ثمرات وكرب من الماء لا تستغرق لحظات ، كن يقطاً .

(٥) ثم اجلس مكانك في الصف الأول خلف الإمام ، استعداً للصلاة المغرب مع استحضار النيات في المسارعة والمسايفة إلى الصف الأول .

(٦) ابدأ المسايفة والمسارعة في المسجد لكل أعمال الخير وإن استطعت ألا يسبقك أحد إلى الله فافعل .

(٧) أحضر قلبك وكل جوارحك ومشاعرك ، واحتفظ بكل حضورك العقلي والذهني في صلاة المغرب ، هذه أول صلاة في الاعتكاف ، وصل الله بصدق : التوفيق والإعانة وألا تخرج من هذا المكان إلا وقد رضي ربك عنك رضا لا سخط بعده ، وأن يتوب عليك توبة صدق لا معصية بعدها ، وأن يقبل عملك ويوفقك فيه ويرزقك الإخلاص في القول والعمل ، وأن يصرف عنك القواطع والصوارف ، وأن يرزقك إتمام هذا العمل ولا يحرمك خيره ، ركز في هذه الأدعية وأمثالها ، وابتهل إلى ربك وتضرع ؛ فإنه لا يرد صادقاً سبعمائة .

(٨) لا تتعجل وتعلم وتعود ذلك ، ألا تتعجل الانصراف بعد الصلاة ؛ فإنك لن تخرج من المسجد ، احتفظ بحرارة الخشوع بعد الصلاة أطول فترة



ممكنة ، أذكار الصلاة ثم الدعاء . . ثم انشغل بذكر الله حتى يأتي وقت الطعام وتدعى إليه .

(٩) اضبط بطنك في هذا الاعتكاف ، فإن أخسر وقت تفقده هو الذي تقضيه في الحمام ، فكل ما يسر ببساطة مما تم إعداده في المسجد ، ولا تأمر ولا توص أن يأتيك الطعام من البيت أو من الخارج ، ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس .

تواضع وكل مما يسر ، وتعلم أن ما يسد الرئق ويقيم الأزد يكفي ، فلا تأنف أن ناكل كسرة من خبز ، ولا تتأفف من تصرفات من حولك أثناء الطعام ، ألزم نفسك الدل لله ، وترك التمتع في هذه الرحلة مع الله في الاعتكاف في بيته ، قال رسول الله ﷺ : « إن عباد الله لبوا بالمتنعين ، وكان يكره كثيراً من الإرفاء »<sup>(١)</sup> .

(١٠) فترة الأكل لا تتجاوز خمس دقائق أو عشر دقائق على الأكثر ، وقم فوراً ، ادخل الحمام قبل الزحام ، جدد نشاطك ، تروضاً ، غير ملابسك إن أمكن ، خذ مكانك في الصف الأول ، صل ٦ ركعات بخشوع « صلاة الاوابين » إلى أذان العشاء .

(١١) اعلم أن القادمين لصلاة العشاء يختلفون عن المعتكفين ، فقلوب مقيمة في المسجد تختلف عن قلوب أت من الدنيا وهمومها ، فاحذر المخالطة « اختين » .

(١٢) صلاة العشاء والتراويح يجب أن تختلف عند المعتكف عما ذي قبل : حضور القلب . . استشعار اللذة . . حلارة المناجاة . . لذة الأنس بالله . .

(١) أخرجه أحمد (٢٤٣/٥) ، وحسنه الألباني (٣٥٣) في « السلسلة الصحيحة » .



صدق الدعاء . . أنت رجلٌ مقيمٌ في بيت الله ، لا خروج . . لا اختلاط . . لا معاصي . . كن أفضل .

(١٣) احرص على كل الخيرات : ترديد الأذان ، أو اجعل لك نصيباً من الأذان ، ثم ركعتي السنة فبين كل أذانين صلاة ، ثم الدعاء بين الأذان والإقامة والانشغال بالذكر .

(١٤) إذا انتقضت صلاة التراويح أسرع إلى جِئائك في المعتكف ، ودعك من السلام على الناس ، وكثرة الكلام ، فإن ذلك يقسي القلب ، لا بد أيها الحبيب من العزلة الشعورية الحقيقية وأن تهاجم نفسك لكي تقبل ذلك وتُحب ذلك وترضى بذلك .

أسرع إلى جِئائك ، ارقد وانشغل بالذكر ، وسرعان ما ستنام هذه الساعة ، وهي مهمة طبعاً لجسدك في أول الليل ، ففيها إغاثة على النشاط في التهجد . (١٥) هي ساعة ، ستون دقيقة تحديداً إن بارك الله فيها ستكون كافية جداً ، استعن بالله واسأل الله البركة في أوقاتك وأعمالك .

(١٦) استيقظ وانطلق بسرعة وب نشاط ، جدد وضوءك ، تطيب ، جمل ملابسك ، استعد ببعض الأذكار والأدعية للدخول في الصلاة ، صلاة التهجد . (١٧) تستمر صلاة التهجد إلى ما قبل الفجر بنصف ساعة ، واجتهد في هذه الصلاة أكثر من غيرها ، فإنه الثلث الأخير من الليل ساعة التنزل الإلهي ، أكثر الدعاء واصدق في اللجوء إلى الله ، جدد التوبة ، سلب الله القبول .

(١٨) السحور بمتهي البساطة والسرعة لا يتجاوز ١٠ دقائق ، ثم تجديد الوضوء حتى ولو كنت على وضوء ، ثم التفرغ للاستغفار بالأسحار .

(١٩) سابق إلى مكانك في الصف الأول خلف الإمام ، وانشغل بالاستغفار



فقط : ﴿وَرَبَّ الْأَعْمَارِ هُمْ يَسْتَفِيزُونَ﴾ [الدريات : ١٨] ، حافظ : لا يتسامرون . .  
لا ينامون . . لا يغفلون . .

(٢٠) صلاة الفجر مشهودة ، ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء :  
٧٨] ، كن في أشد حالات الانتباه ، وتدبر الآيات وركز في الدعاء .

(٢١) اجلس في مُصَلَّاك بعد الصلاة ، ولا تلتفت بعد أذكار الصلاة . .  
أذكار الصباح الماثورة كلها لا تترك منها شيئاً .

(٢٢) اقرأ الآن بعد الانتهاء من أذكار الصباح ثلاثة أجزاء ، وهذه القراءة  
بينة تحصيل الأجر ، أما تلاوة التدبر فلها رُقَّتْ آخر .

(٢٣) صلاة الضحى ثمان ركعات بالتمام والكمال ، احرص عليها وقد  
أديت شكر مفاصلك

(٢٤) آن أوان النوم والراحة ، لك أربع ساعات بالتمام والكمال نوم ، نم  
نوماً هنيئاً ، ورؤى سعيدة .

لا تنس قول معاذ : إني لأحسب نومتي كما أحسب قومتي ، فاحسب  
تلك الساعات ، وأشهد الله من قلبك أنك لو استطعت ما نمت ؛ ولكن هذه  
النومة لا للغطلة ولكن للتقوي على الاستمرار .

(٢٥) استيقظ قبل الظهر بفترة كافية لاستعادة النشاط وتجهيد الوضوء ،  
وربع ساعة قبل الأذان في الصلاة على النبي ﷺ وتركيز شديد .

(٢٦) ردد الأذان ، وصل قبل الفريضة أربعاً واستغل باقي الوقت في  
الدعاء .

(٢٧) صل الفريضة بحضور قلب فللصلاة السرية أسرار في الأنس بالله  
أكثر من الجهرية .



(٢٨) صلّ بعد الفريضة أربع ركعات ، قال رسول الله ﷺ : «من صلّى قبل الظهر أربعاً وبعد الظهر أربعاً حرّم الله عليه النار»<sup>(١)</sup> .

(٢٩) تلاوة قرآن ، أربعة أجزاء إلى ما قبل أذان العصر بربع ساعة .

(٣٠) ربع ساعة قبل الأذان في قول : الكلمتان الحيتان «سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» تحيةً وطلباً لمحبة الله .

(٣١) صلّ قبل الفريضة أربعاً ، قال رسول الله ﷺ : «رحم الله امرءاً صلّى قبل العصر أربعاً»<sup>(٢)</sup> .

(٣٢) اقرأ بعد صلاة العصر ثلاثة أجزاء وقد تمت لك الآن عشرة أجزاء قراءة .

(٣٣) قبل المغرب بنصف ساعة أذكر المساء بتركيز ودعاء .

(٣٤) الوقت قبل أذان المغرب في غاية الأهمية ، استحضِر الدعوة المستجابة للصائم ، وأنت في نهاية اليوم وفي غاية التعب من كثرة العمل لله ، انكسر وذلّ واطلب الأجر ، واحتسب التعب ، واسأل الله بتضرع أن يقبل منك عملك ، ولا تنس الدعاء بظهر الغيب لأهلك وللمسلمين ، ولن أهدم منك دعوة لي بظهر الغيب .



yaqob.com

(١) أخرجه أحمد (٣٣٥/٦) ، وصححه شبيب الأرناؤوط .

(٢) أخرجه أحمد (١١٧/٢) ، وحسنه الألباني (٣٤٩٣) في «صحيح الجامع» .



## نصائح الاعتكاف

### (١) محظورات :

#### \* ممنوع الكلام :

إياك وكثرة الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد القلوب عن الله القلب الفاسي .

#### \* ممنوع الهزار :

إياك والضحك ، فإن كثرة الضحك تميئ القلب ، دحك من التهريج ، اترك المزاح تماماً أنت في بيت الملك العظيم ، الزم السميت الصالح ، وكن في هذه الفترة متواصل الأحزان .

#### \* ممنوع الاختلاط :

لا تشغل بغيرك ، الاعتكاف في المسجد اعتكاف جماعي ومعك أناس كثيرون ، الطباع مختلفة ، والبيئات متنوعة .

لا تشغل عينك بمتابعة النظر إلى الآخرين .

لا تشغل أذنك بسماع المناقشات والمحاورات .

لا تشغل قلبك بالتعليق على الأحداث .

لا تشغل بغيرك . . . دع الخلق للخلق . . . انشغل بحالك مع الله ، حاول

أن تنسى الناس .



### • ممنوع التليفون داخل المسجد :

أغلق تليفونك تمامًا ، والأفضل أن تكون قد تركته في بيتك مع الدنيا ، ممنوع دخول الدنيا إلى بيت الله ، إن وُجد فهو اتصال واحد يوميًا يسمح به فقط للاطمئنان على أهلِكَ ، لا رنات ، ولا رسائل .

### • ممنوع الخروج من المسجد :

آخر حدود عالمك الخاص : حيطان المسجد وأبوابه . .

آخر حدود عالمك الخاص : وجوه المصلين من أهل المسجد . .

احذر أن يقلت قلبك من بين الجدران ويتجول في الشارع . .

احبس قلبك هنا . .

### • ممنوع الكسل :

كل الوقت عمل ، وانظر إلى البرنامج ، لا نجد دقيقة فراغ ، مطلوب علو الهمة في هذه الفترة ، فلا تقتر .

### • ممنوع الشهوات :

هذا زمن المجاهدة :

قلل طعامك .

قلل نومك ما أمكنتك .

قلل كلامك ما أمكنتك .

لا تنصرف لنفسك ، واحسن إلى من أماء إليك .

عُضْ بصرك ، واجعل عينك على قلبك دومًا .

لا تُجِب عن الأسئلة ، ولا تعرف على أحد .



### • ممنوع الغفلة :

جدّد التوبة دائماً ، ولا تترك نفسك بدون عمل ؛ بل اعمل وادّاب ، وقاوم الفتور ، وإياك والكسل والدخّة والنوم ، واستعن بالله .

### • ممنوع الكبر :

عند التعامل مع الآخرين ، قد تبدو تصرفات غير مقصودة ؛ ولكنها تشير إلى أمراض قلبية خطيرة من الكبر ، والغرور ، والمجب ، ورؤية النفس ، واحتقار الآخرين وازدراءهم والتعالي عليهم ، وكل هذه الأمراض محبطة للأعمال ؛ فاحذر واحترس ، واضبط نفسك على أدب الإسلام :

لا تنظر إلى أحد شِرّاً .

لا تُشير إلى أحدٍ بإصبعك .

لا ترفع صوتك .

لا تسخر من أحد .

إياك وتصغير الخد للآخرين .

احذر الغيبة والنميمة والبهتان القلبي .

### فتح ثمرات أخرى للموئ الهمم العالية :

- ختمة من الفجر إلى المغرب .

- ختمة من المغرب إلى الفجر .

- صلاة ١٠٠ ركعة أو أكثر في ليلة أو يوم ، ﴿وَأَسْجِدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [البقره : ١٩] ،

كل يوم ١٠٠ ركعة في ١٠ يوم = ١٠٠٠ ركعة .

- الذكر ١٢٠٠٠ مرة نسيحة في يوم وليلة كأبي هريرة .

- تكوين أكبر رصيد من الحسنات في الاعتكاف .



- الدعاء لمدة ساعة كاملة دون انقطاع .
- الدعاء في سجود لمدة نصف ساعة متواصلة .
- الدعاء بجميع أدعية السنة ، وخذ معك كتاب «مختصر التَّصْبِيحَة» للمقدم أو الدعاء ، للفقهاني .
- تَعَزُّد أن تربط المصحف بيدك ، اقصد ألا تتركه من يدك أبدًا ، لتكون عادةً طيبة لك بعد رمضان .
- فُكِّر في القيام بأعمال كبيرة فُتَّة ترفعك عند الله ، واكتبها في كراس ووقَّع لها قبل دخول الاعتكاف .
- راجع موضوع «الطفرات» في «عمرة رمضان» . يفتح لك ثغرات أخرى أكثر ، والله المستعان .

**في نهاية فترة الاعتكاف** نجد أن الصلة الإيجابية بين العبد وخالقه عز وجل قد ازدادت في استمراريتها على مدار الليل والنهار ، سكن فيها المعتكف إلى بارئه في بيت من بيوت الله عز وجل ، أحبَّ الله عز وجل ، ووجد هذا الحب سبيلًا إلى قلبه عن طريق لزومه لبيت الله عز وجل ، معرفيًا عن حياة دنيا أحبها وجمع لها ، وفطم نفسه منها لفترة الاعتكاف .

وَجَدَ هذا الحُبَّ سبيلًا إلى قلبه ، عن طريق لزوم طاعته عز وجل ، من أداء الفرائض ، وقيام بالنوافل المتعددة ، وتعتري النفوس المؤمنة الصادقة مشاعر الحب هذا ، وهي تتمنى الشوق إلى لقاء الله ؛ لأنها ذاقَت لذة هذا الحب ، ذاقَت لذة المناجاة ، وذاقَت لذة الخشوع ، وذاقَت لذة انهماك الدمع من خشية الله وتَعْظِيمه ، وذاقَت لذة راحة النفس ، وذاقَت لذة الطاعة بصورتها الكلية ؛ فكان هذا الحب الذي جاء نتيجة قرب العبد من ربه عز وجل .









عَمَلٌ لَا يَرْضَاكَ

مُكَافَأَةٌ

نَهَايَةِ الْخِدْمَةِ







## عمرة رمضان

### راقبلت أيام الخير :

أحبتي في الله ، أقبلت أيام الخير ، وهذه الأيام تمر ونجري وتمضي علينا ، ويمضي العمر ويأتي الموت بما فيه ، وتقوم القيامة وعندئذ يتحسر الإنسان ولا تنفعه الحسرة ، ويندم ولات حين مندم ، ويقدم أعذاره فلا تقبل : ﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْفَرَجَ ۝ كَلَّا لَا فَتَّةَ ۝ إِنْ رَأَىٰ يَوْمَئِذٍ الْإِنْسَانَ ۝ لَتَكُونُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ فِطْرَةٍ بَّيِّنَةٍ ۝ لَّكَ الْآخِرُ وَالْأَوَّلُ ۝ وَكَوْنًا الْآخِرُ مَعَ الْبَاقِ ۝ ﴾ [القيامة : ١٠-١٥] ، نسأل الله أن يرزقنا غنيمة الأوقات ، قال الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ حِلْفًا لِّمَن أَرَادَ أَن يَتَذَكَّرَ لَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] جعل الليل والنهار خليفة ، يخلف أحدهما الآخر ليستدرك العبد ما فاتته ، ودخول رمضان غنيمة تحتاج أن تستغلها اغتنامًا حقيقيًا .

### عظمة رمضان :

أيها الإخوة ، أرايتم لو أن رجلاً رزق بزوجة صالحة على خلق ودين وجمال وحسب ، كيف يكون حاله ؟ إنه قد اجتمع له الخير كله ، وهذا المعنى نجده هنا ، إذا اجتمع شرف الزمان وشرف المكان وشرف العبادة ، والزمان الشريف هو رمضان ، رمضان وما أدراك ما رمضان ؟ شهر عظيم ، عظيم بكل معاني الكلمة ، يكفي في ذلك أن الله سماه باسمه في كتابه العزيز فقال : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وفرض صومه : ﴿ فَمَن شَهِدَ فِيكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ . يكفيك فيه قول النبي ﷺ : من أدركه شهر رمضان فلم يغفر له فابعده الله



في النار»<sup>(١)</sup> ، ولذلك قلت مراراً : إنني لا أتخيل السنة بدون رمضان ، رمضان هو ترمومتر السنة ، هو الضابط للسنة ، وكأنني يحدث رسول الله ﷺ : «تحترقون تحترقون ، فإذا صليتكم الصبح ضلتها ، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتكم الظهر ضلتها»<sup>(٢)</sup> ، كأنني بهذا المعنى في رمضان ، كان المعنى عندي تحترقون تحترقون طوال السنة ، فإذا جاء رمضان أطفأ نيران السنة كلها فهو موسم عظيم جداً .

وكما قلت بأنني لا أتخيل السنة بدون رمضان ، فإنني أقول : لا أتخيل والله وجه الأرض بدون الكعبة ، وهذا شرف المكان ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا﴾ [البقرة : ١٢٥] ، فهذه الكعبة أمان وقيام للدين ؛ لأنه إذا هدمت الكعبة قامت القيامة ، وقد قال الله عز وجل : ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُرَقَاءَ أَلْيَتَ الْحَرَامِ قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة : ٩٧] ، قال العلماء : تقوم به أديانهم ، فقيام الدين بالكعبة أمر ظاهر . . مادامت الكعبة موجودة فالدين موجود .

لذلك ينبغي أن تفقه هذا الأمر وتفهمه إذا أردت أن تؤدي عمرة رمضان ، فاعرف شرف الزمان وشرف المكان .

### لماذا نعتصر ؟

قال رسول الله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى»<sup>(٣)</sup> ، فلا بد من تحرير النية وتمحيصها قبل التفكير في أداء عمرة في رمضان ، وإلا

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٩) ، وصححه الألباني (٧٥) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه الطبراني (٩١/٩) في «الصغير» ، وحنه الألباني (٣٥٧) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

(٣) متفق عليه ، البخاري (١) ، ومسلم (١٩٠٧) .



فإن هذا العمل العظيم - عمرة رمضان - يصبح عند فساد النية هباءً منثورًا ،  
تعالوا لنحرر ابتداء لماذا نعتمر في رمضان ؟

### أولاً : الرحلة إلى الله :

قال بعض السلف : ذكرتني هذه الرحلة بالرحلة إلى الله .

عندما نذهب إلى العمرة ، نذهب إلى من ؟ . . . نرحل إلى من ؟ . . . إنك  
تكون في رحلة إلى الله تعالى ، تفهم فيها معنى الفرار إلى الله : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾  
[التوبة : ٥٠] ، وترى فيها معنى الهجرة : «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (١) .

فلا بد أن تفهم في العمرة أنك مهاجر إلى الله ، فارٌّ إلى الله ، مرحلٌ ذاهبٌ  
إليه ، وهذا كله يدخل في معنى كلمة إليك اللهم ليك .

### ثانياً : التلبية والفرار إلى الله :

كثيرٌ من الناس يردد هذه التلبية ولا يفهم معناها ، وليك معناها : جئتك  
يا رب . . . أستجبت لأمرك . . . كان بعض السلف إذا ضاق صدره دخل بيته  
وأغلق على نفسه الباب وقال : إلهي . . . إليك جئت ، هذا المعنى تجده حقيقة  
في العمرة ، وأنت ذاهب إلى بيت الله تقول : يا رب جئت إليك ، لذلك فإن  
الذي يحس هذا المعنى لا يردد التلبية على أنها نشيد أو أغنية يقال كما يفعل  
كثيرٌ من الناس ، لا . . . وإنما يلبي من قلبه ، بل يلبي قلبه ، فقلبه هو الذي  
يردد : ليك اللهم ليك ، ليك لا شريك لك ليك ، إن الحمد والنعمة لك  
والملك ، لا شريك لك .

(١) أخرجه البخاري (١٠) .



لذلك فإن النبي ﷺ قال : « ما من مُلَبٍّ يلبي إلا لئن ما عن يمينه وشماله من  
حجر أو شجر أو نمر ، حتى تقطع الأرض من هاهنا ومن هاهنا »<sup>(١)</sup> ، فيصبح  
هذا الملبي مركز الكون ، كل ما عن يمينه يلبي معه ، وكل ما عن شماله يلبي  
معه ، وهو نقطة مركز الدائرة ، فاستشعار ذلك يملأ القلب خضوعاً وخشوعاً  
للملك جلّ جلاله ، قال جابر رضي الله عنه : « خرجنا من المدينة نصرخ بالحج  
هراخا »<sup>(٢)</sup> ، وقال رسول الله ﷺ : « خير الحج العج والثج »<sup>(٣)</sup> .

العج هو رفع الصوت بالتلبية ، والثج : كثرة إراقة الدماء ، ليك اللهم  
ليك . . تقول : جنت إليك ، جنت إليك بذنوب العمر . . يهيموم العمر . .  
بمآسي السنين . . بكرب الحياة . . جنت إليك وليس لي غيرك . . ومن ذا  
الذي أذهب إليه سواك ؟ . . عبيدك سواي كثير وليس لي غيرك . . ليك . .  
عندما تقولها بهذا المعنى : فسوف تكون من قلبك . . من عقلك . . من  
عينك . . تكون ليك من كل ذرة في جسمك ، بكل كيانتك ، ليك حقيقة ،  
فالمعنى الثاني من معاني العمرة : الفرار إلى الله ، فرار من الفتن ، فرار من  
الدنيا ، فرار من الماضي الحزين إلى الله الرحيم الخئنان .

### ثالثاً : الهجرة إلى الله :

والمهاجر من هجر ما غيى الله عنه ، وفي قصة قاتل العثة ، أمره العالم أن  
يخرج من بلده ، لأنها بلد سوء ، وأن يذهب إلى بلد آخر فيها أناس صالحون  
تعبدهم الله معهم ، وهذا المعنى تجده في العمرة ، فأنت مهاجر إلى الله ، تركت

(١) أخرجه الترمذي (٨٢٨) ، وصححه الألباني (٥٧٧٠) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه مسلم (١٢٤٧) .

(٣) أخرجه الترمذي (٨٢٧) ، وحسنه الألباني (١٥١٠) في «الصحيح» .



ذنوبك ، ومعاصبك وغفلتك . . تركت أهلك ، ودنياك ، تركت كل شيء وجئت لربك وليس معك شيء من الدنيا لتعبد الله مع الصالحين من عباده في أظهر بقعة على ظهر الأرض ، لذلك فلا بد أن نتكلم عن النية : لماذا نعتصر ؟ ، لماذا ذهب إلى عمرة رمضان ؟

هل لأنها صارت عادة عندك ؟ ، وهل لو أنك لم تذهب سيتكلم الناس عنك بسوء ؟ ، وقد يكون أحدهم قد غلّ من مشاكل الدنيا فيذهب إلى العمرة ليسريع من ذلك العناء ، يذهب متفرجاً ، ويقول : رمضان هناك له لذة ، لا يوجد أولاد ولا مشاكل ، أو يذهب إلى الحرم لكي يرى المشايخ ويجلس معهم . . هذه كلها نيات فاسدة ، لماذا تذهب ؟

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، الرجل يغزو في سبيل الله يريد الأجر والذكر فما له ؟ ، قال ﷺ : « لا شيء له »<sup>(١)</sup> ، فإذا اختلطت عليك النية بإرادة وجه الله وإرادات آخر قسد عملك ولا شيء لك ولا أجر لك ، لابد أن تتخلص من كل النيات الفاسدة وكل الآفات المهلكة ، فتتوي نية صالحة متجردة خالصة هي : الرحلة ، والفرار ، والهجرة إلى الله وحده .

### رابعاً : التبتل :

إننا نحتاج أن نعمل أعمالاً جديدة ، فريد أن نقوم بأعمال لم نفم بها قبل ذلك ، هذه الأعمال الجديدة تحدد الإيمان ، تنتشط الدورة الإيمانية ، ومن هذه الأعمال التبتل ، والتبتل معناه الانقطاع : « **وَأَذْكُرْ أَنَّمَّ رَبُّكَ** وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَتَبَلَّأَ » [المزمل : ٨] ، أي انقطع إليه انقطاعاً . . وأنصحك أن تبحث أحياناً عن مسجد

(١) أخرجه النسائي (٣١٤٠) ، وصححه الألباني (٥٦) في «السلسلة الصحيحة» .



بعيد عن حيك ، لا تعرف فيه أحدا ، ولا يعرفك فيه أحد . . اذهب وامكث هناك يوما كاملاً من العشاء للفجر ، أو من الظهر إلى العشاء ، انقطع تماماً . . ليس معك تليفون ، ولا جوال ، ولا أحد يعرفك ، ولا أحد يصل إليك وبراك ، وتلبس ثيابك وتجلس مسكناً فقيراً ذليلاً متمسكاً ، تنقطع عن انشغالاتك بالدنيا وتقبل على الله بكل قلبك .

وفرصتك لذلك التبتل في الكعبة أعظم وأفضل عندما تترك زوجتك وأولادك وعملك ومالك وأصدقائك وزملاءك وتليفوناتك وتنقطع لعبادة الله وحده لا شريك له .

إن معنى التبتل الانقطاع ، أما أن تذهب إلى هناك ومعك هواتفك وتتابع عملك من هناك . . ماذا فعلتم ؟ ، ماذا اشترىتم ؟ ، ماذا بعتم ؟ ، هذا ليس معنى التبتل .

أنت قلت : ليك لا شريك لك ، فلماذا جعلت معه شركاء ، ليك يا الله . أم ليك للمصنع ؟ ، ليك يا الله أم ليك للشركة ؟ ، هل تقول : نعم أنا معك لكن أنا أيضاً مع الناس ومع مصالحي وشهواتي وآمالي الدنيوية . . هذا لا يصح أبداً .

الملك لا يرضى ذلك ، ولا يقبله ، إما هو وحده وإلا فلا . .

تبتل . . انقطع . . اترك كل شيء خلف ظهرك ، حاول أن تنسى الدنيا بما فيها ومن فيها ، لذلك إياك أن تتكلم وأنت هناك في التليفون كل الأيام بل اجعله للضرورة فقط كأن تطمئن على زوجتك وأولادك ، فإني ﷺ كان محتكفاً وجاءت إليه السيدة صفية رضي الله عنها تزوره ، وخرج معها فأوصلها إلى بيتها ، فتعلمنا من هذا جواز السوال للاطمئنان على الزوجة والأولاد . كل عمل بدليل إنه شرع ودين .



لا بأس أن تعلمن على أهلك ، بل هذا هو المطلوب منك أن تسأل عن أخبارهم ، وتعلمن على أحوالهم ، لأنهم مسئوليتك ، والرسول ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »<sup>(١)</sup> ، هذه مسئولية شرعية وليست دنیا ، أما المصنع والعمل فدعك من كل هذا .

نريد أن نعيش حياتنا يومًا بيوم ، فمما أسرخ موت الناس اليوم ، اللهم ارزقنا حسن الخاتمة ، نريد أن نستفيد من موت الناس من حولنا ألا نعيش الدنيا باتساعها . . بطول الأمل فيها ، بل عش كل يوم جزئية مستقلة بذاتها .

### أيها الإخوة . .

نحن اليوم على قيد الحياة ، وغداً في علم الله ، لا ندري ماذا يكون فيه ، فأنقذ عبادتك في يومك ودعك من كثرة الشواغل ، وحقق معنى التبتل وهو الانقطاع للعبادة

ودعني أنقل معك مرة ثانية إلى النيات : لماذا نذهب إلى العمرة ؟

لأن في هذا جواب كثير من الإشكالات ، فإن بعض الناس يذهب إلى العمرة ، ثم يأتي يشكو ويقول : ذهبت إلى العمرة ، ولكني لم أجد قلبي . . كنت أظن أنني سأكون هناك في قمة الإيمان وسأشعر بروحانية كأنني أطيّر في السماء وأعيش في الجنة ، كنت أظن أنني سأموت من الفرح والسعادة ، ولكني لم أجد شيئاً من ذلك للأسف الشديد ! ، إن كثيراً من المسلمين يعيش وهمًا . . وهما حقيقياً . . يظن أنه بسجود أن يذهب ويرى الكعبة سيطيّر بجناحين !!

أقول : لا يا أخي ، بل هذا الأمر يحتاج إلى عمل إلى عبادة حتى يتحصل لك ما تتمناه . . أنت لماذا ذهبت إلى هناك ، لو قلنا : للتبتل ، فهذا يعني أنك

(١) متفق عليه ، البخاري (٨٥٣) ، مسلم (١٨٢٩) .



ذاهب لعبادة الله ، صلاة وذكر ودعاء وطواف وقراءة قرآن واستغفار . . إن فعلت ذلك وداومت عليه وجدت ثمرته وإلا فلا ولكل سلعة ثمن .

بعض الناس يذهب فيقوم بالعمرة فقط ، ثم يذهب ليجلس في الفندق ويصلي في المسجد المجاور للفندق ١ ، وكأنها سياحة !

وبعض الناس - للأسف الشديد! - يقضي أيامه هناك نائمًا ، حتى في الاعتكاف في العشر الأواخر ، تجده يصلي الظهر ثم ينام ، ويصلي العصر ثم ينام ، فمن أين إذا تجدد قلبك ١٩ ، وكيف بحالك هذه تجد قلبًا ٢٠

حج الإمام مسروق بن الأجدع التابعي المعروف فيما نام إلا ساجدًا ، إنه لم يضع جنبه على الأرض ، وما نام على ظهره ، وإنما كان يغليه النوم وهو ساجد ، ما نام على سرير ، ولا استلقى على ظهره ١ ، كان يصلي طوال الوقت ، فكان من طول الصلاة ينام وهو ساجد ، هذه هي الهمة ، إننا نذهب بنية التبتل ، فلا بد أن نعمل حقيقة ، ونجتهد في هذا العمل .

من يذهب بنية التبتل لابد أن يكون له برنامج عمل يقوم به ، ينظر أيهما أنضل : الصلاة أم الطواف أم تلاوة القرآن أم الذكر أم حضور مجالس العلم ، ماذا يعمل ؟ ، وماذا يقدم ؟ .

يقول العلماء : إن كل عمل لا يؤدي إلا في محل ووقت فهو واجب الوقت .

فأفضل الأعمال ما كان موافقًا لمكانك ووقتك ، فعندما تكون في الحرم ١ دروس العلم موجودة لكنها موزونة في أماكن أخرى وفي أوقات أخرى ، تعطيك أن تجلس فتتسلى بالذكر ، لكن الذكر له أوقات غير محددة ، بل تستطيع أن تذكر في أي وقت وفي أي مكان ، إذا الطواف يُقدَّم ، تقرأ فيه القرآن وتدعو وتذكر . . لأن الطواف لا يوجد إلا حول الكعبة ، فهذا محله وهذا وقته فهو أولي ، وهذا من فقه العبادة . .



بعض الناس لا يطرف إلا طواف العمرة فقط ، وهذا فهم خاطئ ، بل كلما وجدت السبيل للطواف طف ، كلما دخلت الحرم ووجدت السبيل للطواف طف .

وقد تجد من يقول : الطواف فيه اختلاط ، والنساء يسرن إلى جوارك وخلفك وأمامك ، أقول : وهل وقت الطواف يشعر فيه الإنسان بالنساء ؟ ، إنك تحتاج إلى علاج قوي من البداية ، لا بد أن تفهم أولاً ما هو قدر الكعبة ، ولا بد أن تفهم معنى الحب معنى حب الله سبحانه .

فحين تفهم معنى الحب ، وتعرف الله سبحانه ، وتعرف أنك في بيته ، وتعرف قدر بيته سبحانه وتعالى ، وأنت تطوف حول بيت حبيبك بالحب ، قلن تشعر ساعتها بمن حولك .

ولكن بعض الناس أساء إلى الحب ، فالحب معنى ، والعلماء يقولون : الألفاظ قوالب المعاني ، قلر أنك وضعت المعنى في قالب معين فإتلك بهذا تُضيقه . . تُصغره ، قلر أردت أن تقول لإنسان : ما هو الحب ؟ ، فقلر أخطأت في الحب .

الحب معنى فلا يوضع في قالب ، ولا يُتخجم ، الحب معنى سام جداً ، معنى عالٍ ، وخصوصاً إذا تكلمنا عن حب الله ، فهو معنى يُحس . . يُعاش ، ولا يُوصف ، هذا ما أطلبك به ؛ أن تذهب إلى العمرة بالحب ، وبالطبع إضافة الشرطين الآخرين الخوف والرجاء ، وكذلك أن تصوم رمضان بالحب والخوف والرجاء ، أن تصلي بحب وخوف ورجاء ، وهكذا كل عبادتك وأحوالك مع الله ، ساعتها ستعيش معاني لا تستطيع أن تصفها ، إذا سئلت : بماذا تشعر ؟ ، تقول : أشعر أنني أحب الله جداً . . أحس أنني أحب الله حباً شديداً ، هذا المعنى لا يوصف وإنما يُحس فقط .



وهناك معان في الإسلام لا تفسر مثل : قرة العين ، والسكينة ، والحب ، فهذه أشياء لا توصف ، لا تُعلم ، لا يستطيع أن أعلمك كيف تحب الله ، وإنما أستطيع أن أقول لك : افعل كذا لكي يحبك . .

الشاهد : أنك عندما تشرع في الطواف تتذكر عظمة هذا البيت . . وشدة شوقك إليه ، أحد الإخوة عندما ذهب إلى العمرة أول مرة ونظر إلى الكعبة قال : سأصاب بالذهول . . بيت ربنا فيه قطعة من الجنة : الحجر الأسود من الجنة ، قال رسول الله ﷺ : «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم»<sup>(١)</sup> ، فإذا لمست الحجر الأسود فقد لمست شيئاً من الجنة .

ذهبت جارية إلى الحج ، فقالت لمن يرفقها : أين بيت ربي ؟ ، فكانوا يقولون لها : اصبري حتى تري بيت ربك ، فلما دخلوا المسجد الحرام ورأوا الكعبة قالوا لها : هذا بيت الله ، فجرت وهولت وهي تقول : بيت ربي . . بيت ربي ، حتى وضعت يدها على الكعبة فعا وفعوها عن جدار الكعبة إلا ميتة<sup>١١</sup>

هذا هو المعنى ، وهؤلاء هم الذين شعروا به وأحسوه ، بيت ربي . . بيت ربي<sup>١١</sup> ، إحساسك عندما ترى الكعبة بأن قلبك قد طار والتصق بالكعبة . . بيت ربك . . بيت حبيبك . . بيت الله ، هذا هو المطلوب . . الله الذي لم تر منه إلا خيراً ، هو الذي أوصلك إلى الكعبة ، فله الحمد والمئة سبحانه وتعالى .

فإذا وصلت إلى هذا البيت ورأيتَه ولمسته وأنت الآن تطوف حوله ، إن

(١) أخرجه أحمد (٣٠٧/١) ، وصححه الألباني (٢٦١٨) في «الصحيحة» .



المشتاق ساعتها لا يحس بمن حوله ، وإن المحب ساعتها لا يدري من بجواره ، لأنه يطوف حول بيت حبيبته يناجيه وكأنه وحده معه .

### سادسًا : صعبة الرسول ﷺ في حجة :

هذه نية خالية بهمة عالية ، قال رسول الله ﷺ : «عمرة في رمضان كمحبة معي»<sup>(١)</sup> ، لو استشعرت عظمة هذا الوعد النبوي الصادق ، أنك إذا اعتنعت في رمضان عمرة صادقة بنية خالصة ومتبعة بإحسان على منهج النبي ﷺ ، تكون كأنك حججت مع النبي ﷺ ، يالها من عمرة 11 . . بل ركضة إلى القردوس الأعلى . . اني صادقًا . . وإنما لكل امرئ ما نوى .

### سابعًا : مغفرة الذنوب المتقدمة :

قال رسول الله ﷺ : «الجمعة إلى الجمعة ، والعمرة إلى العمرة ، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتبت الكيالي»<sup>(٢)</sup> ، فانظر إذا اجتمعت لك جمعة في رمضان في العمرة فقد اجتمعت لك ثلاثة أسباب لمغفرة الذنوب المتقدمة في وقت واحد ، فهذا حري أن تعود كيوم ولدتك أمك وصحيفتك يضاء نقية لا ذنب فيها .

فالزم نفسك تلك النية ، أنك تريد أن تغسل من ذنوبك ، وتغتسل من خطاياك وآثامك ، وتطهر من غدراتك وفجراتك ، تريد أن تبدأ حياة جديدة بتاريخ ميلاد جديد ، لتكون عبدا جديدا لله عز وجل . . فاقبل ولا تخف . .

### ثامنا : أهالي القصور من أهالي الأجور :

لا شك أن تاجرًا حريصًا ، وخبيرًا جزئيًا لا يرضى بالعُين في تجارتِه ، فضلًا عن خسارته ، وقد رأينا أن التجار يسافرون إلى أقصى بلاد الأرض طلبًا لربح

(١) متفق عليه ، البخاري (١٧٦٤) ، مسلم (١٢٥٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣) .



زائد، فكيف برجلي عمره قصير، وأجله قريب، وعمله قليل، وجهته ضيف، أمانة فرصة أن تُحسب له الركعة بمئة ألف، والتسبيحة بمئة ألف، والحرف من القرآن بمئة ألف.

والله، إنه لغور عظيم، وفرصة لا تُعوّض، إنها حقاً غنية باردة، لا تعجب من تكرار هذه الكلمة معنا؛ فوالله أنا لا أدري كيف أشكر الله على هذه النعمة العظيمة، ولا أدري إلى أي مدى سيلغ حب القلب له سبحانه وتعلقه به بعد هذه البتة الجسام.

فإنه سبحانه وعَدَّ على الحسنة بعشر أمثالها، وقلنا: رضينا ربي، ثم وعد على الدرهم بسبعين في الإنفاق، قلنا: رضينا ربي، وجعل النفقة في الحج والعمرة كالنفقة في سبيل الله بسبعين ألف أيضاً؛ قلنا: رضينا ربي؛ فإذا بالكريم يزيدنا: أن الحسنة هناك في بيته الحرام في الكعبة بمئة ألف، وفي مسجد حبيب المصطفى ﷺ الحسنة بألف قياساً على الصلاة، وهذا مذهب ابن عباس رضي الله عنهما في المسألة: أن كل الأعمال تُضاعف في الحرمين الشريفين.

فأقبل يا بطلان؛ فرصة العمر، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذَهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلذَّكْرَيْنِ﴾ وَأَمِيرٌ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغْنِي عَنْكَ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٤-١١٥].. اغتم هذه الفرصة وارحل إلى عمرة رمضان؛ تجمد المضاعفات من الخيرات، والبركات والحسنات، والفرص والمكافآت.

ولا يفوتني أن أذكرك أن مذهب ابن عباس رضي الله عنهما هذا في غاية الخطورة؛ فإنه ثبت عنه رضي الله عنه أنه انتقل من مكة إلى الطائف، فقبل له: أترغب عن البلد الحرام؟ قال: وما لي لا أترغب عن بلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف فيه الحسنات. فكما بشرتك أجدوك؛ أنه إذا كانت الحسنة بمئة ألف؛ فالسيئة بمئة ألف.



ولعله بذلك على هذا قول الله عز وجل : ﴿وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْعَمَلِ يَقْلُوبْهُ اللَّهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] فتوَعَّد بعذاب أليم لمجرد الإرادة ، وهذا مُسَامَحٌ فيه في غير هذا المكان ؛ فدلَّ على أن المعاصي تُضَاعَف عقوباتها لشرف المكان .

وإني وإن كان يهزني أن يُكْتَبَ لك مئة ألف قيراط في الجنة بصلاة جنازة واحدة ، القيراط كجبل أحد ، تصديقاً بحديث رسول الله ﷺ ، إلا أنه يُفَرِّغُنِي أن نظرة واحدة إلى رجه امرأة في الحرم تُكْتَبَ بمئة ألف رَّيَّة .

### **الخلاصة : لماذا نعتمر في رمضان ؟**

(١) ليجتمع لنا أفضل الأعمال في شرف الزمان ، وشرف المكان ، وشرف الأعمال .

(٢) الرحلة إلى الله .

(٣) الفرار إلى الله .

(٤) الهجرة إلى الله .

(٥) التبتل والانتقطاع والتفرغ لله .

(٦) صحبة رسول الله ﷺ في حجة .

(٧) مغفرة الذنوب المتقدمة .

(٨) أعالي القصور من أعالي الأجور .

ثم تعال إلى العمل نفسه : كيف نعتمر ؟

### **كيف نعتمر ؟**

(١) النية : وقد قلنا تحريرها .



(٢) لابد من تعلم أحكام العمرة قبل السفر ، واعلم أن ذلك فرض عين عليك في هذا العلم ، فلا بد من أن تعلم كيف تؤدي العمرة على سنة النبي محمد ﷺ .

**أحكام الإحرام :** لأن كتابنا ليس كتاباً فقهياً ، فإننا نتحدث عن أسرار شعائر العمرة ، ويمكنك مراجعة أحد الكتب الفقهية لإتقان الشعائر ، ولكن ببساطة اعلم أن أركان العمرة أربع : الإحرام ، والطواف بالبيت سبعاً ، والسعي بين الصفا والمروة سبعاً ، والحلق أو التقصير .

### واليك أخي أسرار الإحرام :

**أولاً :** تعظيم لمقام الملك جل جلاله ، ألا تدخل بيته أول قدومك عليه إلا بلباس حر يشترطه .

**ثانياً :** من أسرار لباس الإحرام أن تخلع كل شيء إلا ثوبين أبيضين ، فهو أنقص من الكفن ، فالكفن ثلاثة أثواب ، تستشعر بذلك الاستغناء عن الدنيا بأكملها ، فأنت لا تحوز منها في هذا الحال إلا هذين الثوبين ، غنياً به سبحانه وحده ، مستغنياً به عن كل ما سواه .

**ثالثاً :** في هذه الملابس وفرضها على كل من أحرم للحج أو العمرة شعور بأن الناس سواسية أمام الله عز وجل ، فكلهم غنيهم وفقيرهم ، صغيرهم وكبيرهم ، الأمير والوزير ، والعامل والحقير ، الكل قد كشف رأسه خضوعاً وإذعائاً لذي الجلال ، لا يميز أحد على أحد ، الكل قد خلع اسم دكتور أو مهندس أو وزير أو أمير ، وخضع الكل لاسم عبد ، وهذا من أجل ما في العرفقة ، أنه تنسى رظيفتك ومقامك اللبنيوي ترتبته لك نسبك إلى الله عز وجل عبد مربوب مقهور مطيع يلزم رسم الأدب وحدود الطاعة .

**رابعاً :** من أهم مشاهد الإحرام أن تشهد عند نزع ملابس الدنيا ثم اغتسالك



وليس الإزار والرداء فحسب كأنه أتاك ملك الموت فنزع روحك ، وغسلوك وكفنوك ، فلما باشرت الأحوال قلت كما يقول كل ميت : ﴿ حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ ﴾ [الأنبياء: ٩٩-١٠٠] ، وقد بقيت لك فرصة قليل لك : ارجع ، فرجعت بكفك تنادي بأعلى صوتك . . ليك اللهم ليك ، إذا استشعرت هذا ، كل الذي قلته لك ، استشعرته فعلا ، فتخرج ليك اللهم ليك من حين قلبك بكل مشاعر وأحاسيس رجل أعطي فرصة أخيرة لمهلة وجيزة ، فأقبل على ربه يقول ليك . . أي جنتك . . جنتك . . ملازماً لطاعتك . . خاضعاً لك . . مقبلاً على ذلك . .

وأيضاً من أسرار الإحرام أنه تربة شديدة دقيقة لتعلم الطاعة المطلقة دون تدخل العقل في أوامر الله ، فممنوع في الإحرام ليس سائر خاص غير الإزار لحفظ العورة المغلظة ، ممنوع الطيب ، ممنوع قص الشعر ، ممنوع قص الأظفار ، الصيد ممنوع ، والزوجة ممنوعة ، سبحانه الملك إنه إحرام !!

**خامساً :** إحرام القلب قبل إحرام الجسد ، إنك حين تنوي العمرة تتبني وجه الله ، لا بد أن يحرم القلب ابتداء بتوبة تصوح قبل الجسد ، فكما يخلع الجسد ملابس الدنيا للإحرام ويلبس ملابس الآخرة ، فلا بد أن يخلع القلب أيضاً هم الدنيا ، ويلبس هم الآخرة ، فلا تلفته أثناء العمرة الصوارف ولا تقطعه القواطع .

#### (٤) التلبية :

لكي تلبي من قلبك ؛ لا بد أن تفهم معنى كلمة ليك ، وهي في الشرع كما هي في اللغة ، المفصرد واحد ، فافهم معناها لتلبي ولا تغني ، معنى ليك : إجابة ولزوماً لطاعتك ، وقيل معناها : اتجاهي وقصدي إليك ، وقيل معناها :



محبتي لك ، وقيل معناها : إخلاصي لك ، وقيل معناها : أنا مقيم على طاعتك ، وقيل معناها : قرباً منك ، وقيل : أنا ملب بين يديك ، أي خاضع .  
والحقيقة أن معنى لبيك هو كل ما سبق . . كل ذلك ؛ فقلها من قلبك .

### (٥) رؤية بيت الله . . الكعبة بيت النور :

لما أضاف الله تعالى ذلك البيت إلى نفسه ونسبه إليه بقوله عز وجل لخليله : ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتَ الْكَافَّةِ وَالْعَالَمِينَ وَالرَّحْمَنَ الشُّجُورَ ﴾ [الحج : ٢٦] ، تعلق قلوب المحبين ببيت محبوبهم ، فكلما ذكر لهم ذلك البيت الحرام حثوا ، وكلما تذكروا بغدعم عنه أثروا . .

- فلله ذرها من رؤية ١١ . . رؤية البيت . . لحظات كأنها ليست من الدنيا . .
- بيت خلق من الحجر . . وأضيف إلى الله فصار مغناطيس أفئدة الرجال . .
- بيت من وقع عليه طرفة بَشَرٍ بتحقيق الغفران . .
- بيت من طاف حوله ؛ طافت اللطائف بقلبه ، فطروقة بطروقة ، وشوطة بشوطة ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟
- بيت ما خسر من أنفق على الوصول إليه ماله .
- بيت ما ربح من ضن عليه شيء .
- بيت من زاره نسي مزاره ، وهجر دياره .
- بيت لا تستبعد إليه المسافة .
- بيت لا تترك زيارته لحصول مخافة أو هجوم آفة . .
- بيت من صبر عنه ؛ فقلبه أقسى من الحجارة . .
- بيت من وقع عليه شعاع أنواره ، تسلى عن شمسهِ وأقماره . .



بيت ليس المعجب من بُعد عنه كيف يصبر، إنما المعجب ممن حضره كيف يرجع!

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل على هذا البيت كل يوم مائة وعشرون رحمة: سنون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين»<sup>(١)</sup>.

والله كم في رؤية البيت من نفحات وتفحات ومعان عطرات . . .  
عجبا للبيت . . . عجبا للكعبة . . . أي يبر في النظر إليها . . . والله إنها ليست من الدنيا هذه اللحظات . . .

آيات تحير الأبواب . . . وجمال ينسبك الدنيا بأسرها . . . وجلال دموع العين عنه جواب . . . أي سر بين البيت والعين إذا ما نظرت . . . وبين دموعها . . .

### (٦) الطواف :

أولاً : لو لم يكن للطواف من فضل إلا قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَطَافَ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ بِالْبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَلْقَيْنَا فِي الْوُحُوشِ آسَافِينَ﴾ [الحج : ١٠١]، لكفاه . فقد استعمل الله الأنبياء لتطهير بيته للطائفين ، وغدومهم على غيرهم .

قال رسول الله ﷺ : «الطواف بالبيت صلاة ، ولكن الله أحل فيه المنطق ، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير»<sup>(٢)</sup>.

ثانياً : كان رسول الله ﷺ إذا طاف بالبيت استلم الحجر والركن في كل طواف ، وكان يلمس صدره ووجهه بالملتزم .

(١) أخرجه الطبراني (١٩٥/١١) في «الكبير» ، وضعفه الألباني (١٧٦٠) في «ضعيف الجامع» .

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٨٣٦) ، وضعفه الألباني (٣٩٥٤) في «صحيح الجامع» .



قال الثَّواري : تبرُّكًا وتيمُّنًا به سمي الملتزم ؛ لأنَّ الناس يحتفون به ويضمُّونه إلى صدورهم ، وصحَّ أنه ما دعا به ذرَّ عامَّة إلا برى ، أي بصدق النية وتصديق الشارع والإخلاص ، وغير ذلك مما يعلمه أهل الاختصاص .

عن محمد بن المنكدر عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « من طاف بالبيت أسبوعًا لا يلفو فيه كان كعدل رقبة يعد له »<sup>(١)</sup> .

ثالثًا : عن محمد بن المنكدر قال : قال رسول الله ﷺ : « من طاف بهذا البيت أسبوعًا فأحصاه ؛ كان كمنى رقبة ، لا يضع قدمًا ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة »<sup>(٢)</sup> .

رابعًا : الابتداء بالحجر ؛ لأنه وجب عند التشريع أن يعين محلُّ البداء ووجهُ المشي ، والحجر أحسن مواضع البيت ؛ لأنه نازل من الجنة ، واليمين أيمن الجهتين .

وطواف القلوم بمنزلة تحية المسجد ، إنما شرع تعظيمًا للبيت ؛ لأن الإبطاء بالطواف في مكانه وزمانه عند تهيؤ أسبابه سوء أدب ، وأول طواف بالبيت فيه رمل واضطباع ، وذلك لمعانٍ : منها ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ، من إخافة قلوب المشركين ، وإظهار صولة المسلمين ، فهو فعل من أعمال الجهاد ، وهذا السبب قد انقضى ومضى ، ومنها تصوير الرغبة في طاعة الله ، وأنه لم يزد السفر الشاسع والتعب العظيم إلا شوقًا ورغبة .

### (٧) تقبيل الحجر :

وأعظم ما في الطواف تقبيل الحجر :

(١) أخرجه ابن عبان (٣٦٩٧) ، وصححه الألباني (١١٤٣) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢) وصححه الألباني (١١٤١) في «صحيح الترغيب والترهيب» .



• الحجير . . وما أدراك ما الحجير ١١ . . إنه من الجنة . . يا الله . . من الجنة شيء على الأرض ثم لا نشأت إلى ١١ . . ثم لا نلثمه بشفاء القلوب ورجيها ١١ . .

قال رسول الله ﷺ : «الحجير الأسود من الجنة»<sup>(١)</sup> .

وقال رسول الله ﷺ : «كان الحجير الأسود أشد بياضا من الثلج حتى سودته خطايا بني آدم»<sup>(٢)</sup> ، نقل الحافظ في الفتح عن المحب الطبري قوله : في بقاء أسود عبرة لمن لا بصيرة له ، فإن الخطايا إذا أثرت في الحجير الصلد ، فتأثيرها في القلب أشد .

يا هذا . . سودت الخطايا الحجير وهو من الجنة ، وأنت من التراب ومن الأرض ، فانظر سودته وهو صلد ، أفلا تسود القلب إذا عصى وهو من لحم ودم !!

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا : «إن الحجير والمقام ياقوتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولولا ذلك لأضاء ما بين المشرق والمغرب» .

• وقال ﷺ : «إن مسح الحجير الأسود والركن اليماني يطهّر الخطايا خطئا»<sup>(٣)</sup> ، فيالجود عطاء الملك . . وبإله من حجير كريم ميمون يأتي تسخة بغفران الذنوب .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : «لولا ما من

(١) أخرجه أحمد (٣٠٧/١) ، وصححه الألباني (٢٦١٨) في «الصحيحين» .

(٢) أخرجه أحمد (٣٠٧/١) ، وصححه الألباني (٢٦١٨) في «الصحيحين» .

(٣) أخرجه أحمد (٨٩/٢) ، وصححه الألباني (٢٦٩٤) في «صحيح الجامع» .



الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسه ذو عامة إلا شفي ، وما على الأرض شيء من الجنة غيره»<sup>(١)</sup> .

\* عن ابن عباس مرفوعاً : « إن لهذا الحجر لساناً وشفعتين ، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق»<sup>(٢)</sup> ، وقال رسول الله ﷺ : «ليأتين هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد علي من استلمه بحق»<sup>(٣)</sup> .

\* **أخي** . . لقد يوب العلماء لتقييله وفضله والمزاحمة عليه .

فقد قبل عمر ابن الخطاب الحجر ثم قال : والله لقد علمت أنك حجر ، ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .

قال القاسم بن محمد : رأيت ابن عمر يزاحم على الركن حتى يدهن وقال : هرت الأفتدة إليه ، فأريد أن يكون فزادي معهم .

وعن عبد الله بن عمر أنه استلم الحجر ثم قبل يده ، وقال : ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يقبله .

### (٨) صلاة ركعتين خلف المقام :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعاً ، ثم صلى خلف المقام ركعتين<sup>(٤)</sup> .

فبعد أن تنتهي من الطواف أخي الحبيب ؛ صل ركعتين سنة الطواف خلف مقام إبراهيم ، أو حيث تيسر بقدر إمكان القرب منه ، ثم حاول أن تقف على

(١) أخرجه البيهقي (٧٥/٥) ، وصححه الألباني (٧٦١٩) في «المصحيحين» .

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦/١) ، وصححه الألباني (٢١٨٤) في «صحيح الجامع» .

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٧/١) ، وصححه الألباني (٥٣٤٦) في «صحيح الجامع» .

(٤) متفق عليه ، البخاري (٣٨٧) ، مسلم (١٧٠٠) .



الملتزم بين الحجر وباب الكعبة ، الصق بطنك وصدرك وركبتك ووجهك  
بالكعبة ، وناج ربك . . وناد ربك من قريب ، وهنا تسكب العبرات وتحس  
بالقرب الحقيقي من باب مولاك . . ثم انطلق بعدها إلى زمزم .

### (٩) التضرع من زمزم :

#### فضل زمزم :

\* زمزم . . وما أدراك ما زمزم ١١ . ركضة جبريل عليه السلام ، هزمة  
الملك ، سقيا إسماعيل ، برة الشبابة ، إيه يا شرب الأبرار . .  
إيه يا خير ماء . . ويا سيد المياه . .

\* قال وهب بن منبه : نجدوها في كتاب الله ، يعني زمزم ، شراب الأبرار ،  
مضنونة ، طعام طعم ، شفاء من سقم ، لا تُثَرَّح ولا تُذَم .

\* غسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم ، اشرب وتضرع واغسل قلبك ، عن أنس  
ابن مالك : كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « فرج سقفي وأنا  
بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست  
من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ، فأفرغها في صدري ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي  
فمرج إلى السماء الدنيا ، قال جبريل لخازن السماء الدنيا : انزع ، قال : من  
هذا ؟ قال : جبريل » (١) .

\* خير ماء على وجه الأرض ، خير ماء تشربه لتكون من خير أمة ، عن ابن  
عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خير ماء على وجه الأرض ماء  
زمزم ، فيه طعام من طعم ، وشفاء من سقم » (٢) .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٤٢) ، مسلم (١٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧٣) .



• لا يتصلع منه منافق ، عن عثمان بن الأسود ، حدثني عبد الله بن أبي مليكة قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : من أين جئت ؟ ، فقال : شربت من زمزم ، قال : شربتها كما ينبغي ؟ ، قال : وكيف ذا يا أبا العباس ؟ ، قال : إذا شربت منها فاستقبل القبلة واذكر اسم الله ، وتنفس ثلاثاً وتصلع منها ، فإذا فرغت منها فاحمد الله ، فإن رسول الله ﷺ قال : إن آية ما بيتنا وبين المنافقين أنهم لا يتصلعون من زمزم<sup>(١)</sup> .

هذا الحديث قرة عين للمخلصين الصادقين ، وينصح المنافقين فحذار ، فإن زمزم اختبار لقلبك ، والتصلع : هو الإكثار من الشرب حتى يتمدد الجنب والأضلاع ، فيقال : شرب فلان حتى تصلع أي : انتفخت أضلعه من كثرة الشرب .

• ماء زمزم لما شرب له ، لماذا تشرب من زمزم ؟ ، قال رسول الله ﷺ : «ماء زمزم لما شرب له»<sup>(٢)</sup> .

**قال الحكيم الترمذي لشارب ماء زمزم :**

إن شربه لشيع أشبعه الله .

إن شربه لرئي أرواه الله .

وإن شربه لشفاء شفاه الله .

وإن شربه لسوء خلق حسنه الله .

وإن شربه لضيق صدر شرحه الله .

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦١) ، وضعفه الألباني (٣٠٥٢) في «ضعيف ابن حبان» .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٥٧) ، وصححه الألباني (٨٨٣) في «الصحيحين» .



وإن شربه لانفلاق ظلمات الصدر فلقها الله .

وإن شربه لغنى النفس أغناه الله .

وإن شربه لحاجة قضاها الله .

وإن شربها لأمر نابه كفاه الله .

وإن شربه للكربة كشفها الله .

وإن شربه لنصرة نصره الله .

وبإية نية شربه من أبواب الخير والصلاح وفق الله له بذلك ؛ لأنه استغاث  
بما أظهره الله تعالى من جنته غيائًا .

• عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنا نسميها شباغة - يعني زمزم - وكنا نجدها  
نعم العون على العيال .

• قال وهب بن منبه : والذي نفس وهب بيده لا يعمد إليها أحد فيشرب  
منها حتى يتفضل إلا نزعته دابة وأحدثت له شفاة .

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله : جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء  
زمزم أمورًا عجيبة ، واستشفيت به من عدة أمراض فبرئت بإذن الله .

### (١٠) السمي بين الصفا والمروة :

• السر في السمي بين الصفا والمروة على ما ورد في الحديث ، أن هاجر  
أم إسماعيل عليها السلام لما اشتد بها الحال ، صنعت بينهما سعي الإنسان المعهود ،  
فكشف الله عنها الجهد بإبداء زمزم وإلهام الرغبة في الناس أن يعمرؤا تلك  
البقعة ، فوجب شكر تلك النعمة على أولاده ومن تبعهم ، وتذكر تلك الآية  
الخارقة لتبتهت بهيمتهم وتدلهم على الله ، ولا شيء في هذا مثل أن يُنضد عقد



القلب بهما بفعل ظاهر منضبط مخالف لمألوف القوم ، فيه تذلل عند أول دخولهم مكة ، وهو محاكاة ما كانت فيه من العناء والجهد ، وحكاية الحال في مثل هذا أبلغ بكثير من لسان المقال .

• إذا دنوت من الصفا فاقرا قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، ثم قل : نبدأ بما بدأ الله به ، ثم ابدأ بالصفا فترتقي عليه حتى ترى الكعبة إن أمكنك ذلك ، وتستقبل الكعبة وتوحد الله وتكبره وتقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، قل ذلك ثلاث مرات ، وقدعو بين التهليلات بما شئت من الدعاء المأثور ، ثم انزل لتسعى بين الصفا والمروة ، فامش إلى العلامة الموضوعة عن اليمين وعن اليسار ، وهو المعروف بالميل الأخضر ، ثم اسع سعياً شديداً إلى العلم الآخر الذي بعده ، وكان في عهده ﷺ وأدي أبطح فيه دفاق الحصن ، وقال ﷺ : « لا يقطع الأبطح إلا شداً »<sup>(١)</sup> .

ثم امش صُعداً حتى تأتي المروة فترتقي عليها ، وتصنع فيها ما صنعت على الصفا من استقبال الكعبة والتكبير والتوحيد والدعاء ، وهذا شوط .

• ثم تعود حتى ترتقي على الصفا ، تمشي موضع مشيك وتسعى موضع سعيك ، وهذا شوط ثان ، ثم إلى المروة وهكذا حتى يتم لك سبعة أشواط نهاية آخرها على المروة ، وإن دعوت في السعي بقولك : « رب اقفر وارحم »

(١) أخرجه أحمد (٤٠٤/٦) ، وصححه الألباني (٢٤٣٧) في «الصحيحة» .



إنك أنت الأهمز الأكرم»<sup>(١)</sup>، فلا بأس ؛ لقوته عن ابن مسعود وابن عمر  
والمسيب بن رافع وهريرة بن الزبير .

### مشاهد العبودية في العمرة :

#### للمشهد الأول : استشعار الحنة :

لا بد في البداية من معرفة فضل الله عليك بأن أذن لك بهذه العمرة ،  
فالكعبة حجة لك أو عليك ، الملك جل جلاله أدخلك بيته . . أتستحق  
هذا ؟ ، والله لا أحد من المخلوقين يستحق ذلك ولكنه فضل الله الكريم ، ولو  
عامل الله العباد بما يستحقون ؛ فمن ذا الذي يستحق أن يدخله الله بيته ؟ ! ،  
فلذلك ينبغي أن تظل مستشعرا بفضل الله عليك ، أن أكرمك ، وأدخلك بيته ؛  
فاحمده على ذلك .

الكعبة حجة لك أو عليك ، فكم من أناس أكثر منك مالا ، وأصح منك  
جسدا ، وأعلى منك همة في طلب الدنيا ؛ ولكنه لم يذهب إلى العمرة اليس  
كذلك ؟ . . وكم من أناس معهم المال الكثير ويستطيع أحدهم أن يأتي بتأشيرة  
العمرة في ساعة واحدة وهو جالس في بيته ؛ أولا يحتاج إلى تأشيرة أصلا بل  
هو من أهلها ولكنه حُرِمَ من العمرة ؛ لأنه لا يهتم بذلك ، لا يعنيه ذلك ، لم  
يقذف الله في قلبه هذه الرغبة ، ليس عنده شوق إلى بيت الله ؛ لذلك نريد  
الشوق إلى بيت الله . .

كنت جالسا ذات يوم في الحرم أمام الكعبة وفوجئت ببعض الإخوة  
يقولون : تعال يا شيخ من فضلك ، قلت : ماذا حدث ؟ ، قالوا : هناك رجل  
نريد أن نراه ، دقيقة واحدة ، لن نأخذ من وقتك كثيرا ، فذهبت معهم ،

(١) صحيح موقوفنا على ابن مسعود وابن عمر ، وصححه الألباني في « مناسك الحج » ص ٥٣ .



فوجدت رجلاً كبير السن يرتدي ملابس الإحرام ويجلس على الأرض فقالوا: هذا الرجل طاف ثلاثة أشواط فقط من طواف العمرة ولا يريد أن يكمل الطواف، فقلت له: لماذا يا حاج؟ هل أدبت العمرة؟ قال: لا، قلت: فلا بد أن تطوف سبعة أشواط، فقال: لقد تعب، قلت: إذا تأتيت بكمرسي متحرك لتكمل عليه الطواف، فقال: لماذا، وهل أنا مقعد مشلول؟

قلت: لا عليك، استرح قليلاً، ثم ساعة أو ساعتين في الفندق ثم تعال اصعل عمرة من البداية مرة أخرى، أو تكمل الطواف بعد أن تستريح الآن، يمكن أن تستريح ثلث ساعة ومادام الفاصل لم يطل أكمل الطواف وليس ثمة مشكلة، هيا أكمل أربعة أشواط أخرى، فقال: لا، يكفيني ذلك!، قلت: إذا أرجع ولكن احتفظ بشباب الإحرام ثم تعال غدا لتؤدي العمرة، فقال: لا، لقد مللت من هذه الثياب وسوف أخلعها!، عندئذ شعرت أنني سأجن... ماذا حدث؟، كم من ملايين الناس يتمنون المعجزة إلى هنا ولا يستطيعون، وهذا يأتي أمام الكعبة ولا يريد إكمال العمرة!!

ولما جلست وحدي أخذت أفكر في هذا، فلله الحجة البالغة، قلت: هذا من باب إقامة حجة الرب على العبد؛ لأن العبد يظل يقول: يا رب أريد أن أعتصر... أتمنى عمرة... لو أدبت العمرة فسوف أهتدي وسوف تتحسن أحوالي، وحتى لا يأتي يوم القيامة ويقول: يا رب لو وفقتني لعمرة لاهتديت، فيقول الله له بهذه المواقف: بل هانذا أعطيتك عمرة، وأتيت بك حتى وصلت إلى بيتي، ولكنك لم تهتد ولم تتحسن، فيكون وجود الكعبة وذهابك إلى هناك وأدائك للعمرة من باب إقامة الحجة عليك أو لك.



## المشهد الثاني : شعار العمرة . . ليك ليك ، لا تنس ملازمة الطاعة

### والعبادة :

أيها الإخوة ، إنك إذا ذهبت إلى العمرة ، فلا بد أن يكون لك برنامج تقوم به ، تفاجأ بأن كثيراً من الناس يضع وقتاً في لا شيء ، لا يدري أين يذهب ، ولا يدري ماذا يصنع ، ويبحث عن الشيخ فلان والشيخ فلان فيقول : رأيت الشيخ فلاناً هنا ، وتجد من يذهب يتجول في شوارع مكة ، ويهتم بالشراء والتليفونات وشراء الملابس والهدايا .

لماذا جئت ؟ ! ! ، هذا السؤال لابد أن يحكم تصرفاتنا ، لماذا جئت ؟ .

لابد من برنامج : سنطوف كم مرة في اليوم ؟ ، ولا تقل لي : كيف أكثر من الطواف مع هذا الزحام ؟ ، بل حلف وأكثر من الطواف .

واعلم أن الزحام رحمة ، كان علي بن أبي طالب عليه السلام يجلس في الحرم ، فرأى رجلاً يطوف وهو يحمل أمه على رأسه ، فأسرع وقام وحطاف خلفه ، ثم بعد أن قضى طوافه قال : واللّه ما كانت لي رغبة في الطواف غير أنني لما رأيت هذا يطوف وهو يحمل أمه ، ظننت أن سيقول الله عليه رحمة ، فأردت أن يصيبني شيء منها .

لذلك أقول لك : قد يكون من بين هؤلاء الطائفين رجل مرحوم فتتزل عليه وعلى رحمة ، أنت لا تدري من الذي سيرحم في كل هؤلاء ، ولا تدري من هو المخلص في كل هؤلاء الناس ، لا تدري من في هؤلاء الناس ينظر الله إليه برحمة ، فلا تخف من الزحام .

### يوم في حياة معتمر :

رتّب لك برنامجاً ، ولو أردنا أن نضع برنامجاً يومياً ثابتاً فسيكون لأصحاب



الهمة العالية الراغبين في الفردوس الأعلى من الجنة ، الذين يريدون أن يرجعوا من العمرة وقد رضي عنهم ربهم ؛ فأقترح عليك :

- ١- أن تطوف في اليوم أربع مرات .
- ٢- تقرأ كل يوم عشرة أجزاء لتختتم كل ثلاثة أيام .
- ٣- تصلي مائة ركعة في اليوم .
- ٤- استغفر ألف مرة .

ولا أقصد ألف مرة تحديدًا وإنما للكثير ، لا أقصد تحديد العمل وإنما أقصد كثرة العمل ، لو عشت حياتك الإيمانية هكذا في مكة أثناء العمرة تكون قد وصلت للهدف من العمرة ، وإياك والمشاغل الفارغة هناك .

✽ وأريدك وأنت تصلي في الحرم أن ترى الكعبة أمامك ، دعك من أولئك الذي يصلون على السطوح بحجة أن صحن الطواف مزدحم وفيه نساء ، أريد أن تظل الكعبة أمام عينيك طول الوقت ؛ لكي تؤثر فيك ، وتلهب مشاعرك ، وتوقظك ، وتثيقك ، اقترب منها ، فقد تنزل عليها رحمة فتنال منها نصيبًا ، والقرب من الكعبة أيضا يجعلك في وقار واحترام . . يجعلك في هبة واحتشام على الدوام .

✽ وأنبهكم إلى أن النبي ﷺ قال : « صلاة في مسجد الكعبة بمائة ألف صلاة فيما سواه »<sup>(١)</sup> ، الصلاة في المسجد بمائة ألف صلاة ، وخارج باب الحرم بواحدة .

المقصود : اجعل لك برنامجًا ولا تترك نفسك على هواها ، والتزم وناقس

(١) أخرجه الطبراني (٧٠٠/١) في «الأوسط» ، وصححه ابن عبد الهادي في «التقييع» (١١١/٢) .



غيرك ، ونابع وحاسب كل ليلة ، في هذا البرنامج تنوي أن تطوف أربع مرات في اليوم ، هذا على الأقل ، قال رسول الله ﷺ : « من طاف بالبيت أسبوعاً لا يلغ فيه غفر له ما تقدم من ذنبه »<sup>(١)</sup> ، قف أمام الحجر الأسود وارفع يدك لتشير إليه ، وانر بقلبك الطواف ، واجعل في نيتك أنك ستطوف ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك .

وتجد من يأتي ليأل : لو لمست امرأة في الطواف يتنفض وضوئي أم لا ؟ ، إذا أحسست أنك مستها توفراً ، ولكن الأصل أنك تطوف بكل جوارحك فلا تشعر بأي شيء يحدث حولك .

طف حول الكعبة . . حول بيت ربك وعينك على الكعبة ، وتخيل كيف كان سيدنا إبراهيم يني وإسماعيل يساعده . . وكيف كان المشهد عندما كان النبي ﷺ يضع الحجر الأسود . . تذكر عبد الله بن مسعود عندما ضرب وهو يقرأ سورة الرحمن . . تطوف بالكعبة وتذكر سيدنا موسى وهو يطوف حولها . تذكر النبي محمد ﷺ وهو مضطجع في ظل الكعبة وخباب بن الأثر يقول له : يا رسول الله ، ألا تدعو لنا ؟ ، ألا تستنصر لنا ؟ .

تلك هي الحياة وهذا هو الإيمان ، تلك هي الطاعات ، هذا هو الطعم واللذة الحقيقية .

نحتاج أن تطوف في ذروة الحر ولا نبالي ولو مرة واحدة ، وفي ظلمة الليل ولا نبالي بالنوم . . وفي شدة الزحام ونشعر أنك تطوف وحدك . . عيشوا هذه الحياة أيها الإخوة . . عيشوا هذه المعاني ، دعوكم من هذه الحياة الكدرة التي نعيشها هنا . . لتتخلص منها قليلاً ، ولنعيش معاني الإيمان بقلوبنا .

(١) أخرجه ابن حبان (٣٦٩٧) ، وصححه الألباني (١١٤٣) في «صحيح الترغيب والترهيب» .



الركعة هناك بمائة ألف كما أخبر النبي ﷺ ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿رَأْسُكَ وَأَنْزَلَهُ﴾ [الملئ : ١٩] ، وقال النبي ﷺ لربيعة بن كعب الأسلمي : « فأمني على نفسك بكثرة السجود »<sup>(١)</sup> ، وقال الثوريان : « عليك بكثرة السجود ، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة »<sup>(٢)</sup> .

صل ألف ركعة . . صل ألف ركعة . . صل عشرة آلاف ، وهناك يستحب عدم إطالة الصلاة بل تكثر الركعات ، فليس من الله أن تمسك المصحف وتظل طوال الليل في ركعتين ، بل زد عدد الركعات .

ومن عجب أن ترى من يجلس والإمام في الصلاة ، الإمام يصلي القيام وهو يجلس يتكلم في الدنيا ، قم يا بني صل ، يقول لك : الرسول ﷺ لم يزد في رمضان ولا غيره على أحد عشرة ركعة ، ويظل يناقش ويخرج بغير فائدة . دعك منه .

أكثر الصلاة ، صل صلاة الضحى من بعد الشروق حتى قبل الظهر بثلاث ساعة ، صل خمسين أو ستين ركعة من الظهر إلى العصر ، ومن المغرب إلى العشاء ، ومن العشاء إلى الفجر ، صل ركعات كثيرة . . الركعة بمائة ألف ، ولا تدري ماذا سيقبل ؟ ، ربما تقبل سجدة فترحم بها ، صل وزد في الصلاة واستشعر معانيها .

### المشهد الثالث : أنت هنا في بيته ، فاطلب وأنت قريب :

ومن العجيب أنك تجد في الطواف مجموعة من الناس يشنون خلف واحد منهم يمسك كتاباً ويقرأ أدعية الطواف : دعاء الشوط الأول ، وهم يرددون

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٨) .



خلفه بغير أي فهم لما يقول : هل هو يقرأ أم يدعو؟ ، هل هم يرددون فقط أم  
يدعون ويطلبون من الله جل جلاله ؟ . . . دعك من هذا الكلام الرسمي .  
أريدك أن تدعو من قلبك . . . قل ما في قلبك . . . اطلب من الله ما تريده . . .  
أشك لربك . . . قل :

يا رب ، أنا متعب . . . أنا ضعيف . . . ومفتون .

يا رب . . . هذه المعاصي التي ارتكبتها لا أدري كيف نجرات علي  
فعلها . . .

يا رب ، خذ بيدي . . . يا رب تب علي . . .

يا رب اصرف عني السوء والفحشاء والمعاصي . . . يا رب نجني . . . يا رب  
لو تركني سأضيع . . .

يا رب ليس لي غيرك ، قل ما في نفسك وادع الله بما في قلبك ودعك  
من التكلف ، واستشعر عظمة الطواف ، واستشعر وأنت تطوف وعينك على  
الكعبة أنك تكلم الله من جوار بيته . . . يا رب . . . جئت إليك في بيتك فهل  
ستطردني ؟

يا رب ، إن كل مزور يكرم زائره ، وقد جئت إليك ، فهل تتركني أرجع  
بذنوبي كما جئت بها ؟ ، يا رب ، أنت أكرم . . . أنت أعظم . . . أنت أعلم . . .  
يا رب ، اغفر لي . . . لن أرجع مرة أخرى إلى داري محملاً بالذنوب ، وإلا  
فالموت هنا أفضل لي . . . يا رب ، اقبض روحي أمّتي ، لكن لن أرجع كما  
جئت . . . يا رب ، جئت إليك وأنت الطيب تعالجنني . . .

هكذا كلّم ربك ، ناجه واطلب منه . . . اشك إليه . . .

ابداً دعائك بحمد الله ثم الصلاة على رسول الله ﷺ ، فإن النبي ﷺ سمع



رجلاً يدعو في صلاته فلم بحمد الله ولم يصل على نبيه فقال : « لقد جعل هذا »<sup>(١)</sup> ، قيل أن تطالب أي شيء من الله ابداً بالحمد والثناء عليه سبحانه ، واشكره على نعمه ، ثم صل على النبي محمد ﷺ ثلاثاً ، ثم بعد ذلك اطلب .  
النبي ﷺ علمنا في دعاء القنوت أن نقول : « اللهم اهْدني فيمن هديت »<sup>(٢)</sup> ، فهو الذي هدى سحرة فرعون يملك أن يهدينا . .

سبحان الملك ! ، فلانة الممثلة وفلان المطرب ! الله هداهم ، فنقول :  
يا رب ، اهْدني فيمن هديت ، يا رب ، كما هديت هؤلاء اهْدني ، وكما تبث عليهم تب علي ، وكما أصلحتهم أصلحني . . تضرع إلى الله واخفض صوتك وابك له .

اقرب من الكعبة وقف تحت الباب في الملزم ونعلق ، وتكلم من تحت عتبة الباب ، باب الكعبة ، بث همك لربك ، أدخل رأسك في الحجر الأسود وقبله وابك ، ثم صل ركعتين في حجر إسماعيل كأنك داخل الكعبة ، واركن على الكعبة وقل : يا رب ، أسلمت ظهري إليك ، ووجهي وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك .

هكذا عشر حياتك الإيمانية : طواف وصلاة ، وقراءة قرآن وذكر ودعاء ، هناك في عمرة رمضان أعمال فذة تمثل طقوسات في الإيمان ، انقردت وحدك ، تركت زوجتك وأولادك وأهلك وجئت هنا في الحرم فلا بد أن تنظم وقتك ، لا سيما مع عدم وجود المشاكل عندك الآن .

وهنا يبدو للبعض أن يسأل : أيهما أفضل : حج المرأة مع صحبة أو

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، والألباني في « صفة الصلاة » ص ٨٦ .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٠) ، وصححه الألباني (٢٠) في « مشكاة المصابيح » .



الاعتناء مع صحبة ، أم وحدك ؟ ، لا شك أن الصحبة معينة ، والمنافسة نافعة ، والمتابعة مشجعة ، ولكن الانفراد هو الأولي ؛ فلذلك يمكنك أن تجمع بين الأمرين ، أن تجلس معهم ساعة الإفطار ، أن تراهم في صلاة الجماعة ، وفي غير ذلك انفراد بنفسك بعيدا عنهم ، اجلس بين أناس لا يعرفك فيهم أحد ، اجلس وحدك ، وابدأ في عمل بل أعمال لم تعملها قبل ذلك في عمرك ، كما فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ختم القرآن في ركعة واحدة أوتر بها في الحججر .

#### المشهد الرابع : طفرات إيمانية :

لا بد من طفرات إيمانية ، وفرصتك هناك في العمرة أفضل لكي تخرج من بئر الحرمان ، وتجربة الحشرات ، ومن وهذه الغفلة ، ومن وادي المعاصي ، لا بد من طفرات إيمانية ترفعك عاليًا لتخرج من هذه الغفلات المتتالية .

#### أولاً : ختم القرآن في ركعة :

في هذه الأوقات والأماكن اختتم القرآن في ليلة كما فعل عثمان ، قد تقول لي : وهل هذا ممكن ؟ ، هل يمكن ختم القرآن في ليلة ؟ ، أقول : نعم ، وهذا هو فعل عثمان .

استمعن بالله وصوف يوققك الله لذلك ، اقرأ بعد الفجر ، وبعد الظهر وبعد العصر ، وبعد المغرب ، وبعد العشاء ستختتم ختمة وأنت مستريح بنزدة . . قم بعملها مرة ، إنك محتاج إلى طفرة كهذه . . طفرة كبيرة في أعمال الإيمان ؛ لتخلص من رق الذنوب التي تعيش فيها .

#### ثانيًا : طواف وصلاة :

أيضًا من الطفرات المطلوبة أن تطوف سبعة أشواط ثم تصلي ركعتين ، ثم



تطوف سبعة أخرى وركعتين ، ثم سبعة أخرى وركعتين ، هكذا طوال الليل من بعد العشاء حتى الفجر ، تيقن في الطواف فقط ، صحيح ستؤلمك قدماك ، وستألم من ظهرك وقد تصاب بالصداع ؛ ولكنها مرة لله عز وجل .

ثالثاً : قيام الليل مئة ركعة :

ومن الطفرات المطلوبة أيضاً أن تصلي من العشاء إلى الفجر ركعتين ركعتين ، وتعتبر حاجز المائة ركعة لتسجل عند الملك في السابقين الفائقين ؛ لأنك ذكرت الله فذكرك .

رابعاً : قلة النوم :

ومن الطفرات الإيمانية أيضاً أن تقلل ساعات نومك ما استطعت . ، رحم الله مشايخنا ، كنا قديماً نعيش الثلاثين يوماً من رمضان في الكعبة على التمر وماء زمزم فقط .

طعام خفيف لا تحتاج معه إلى حمام ولا تصاب بمغص في البطن ، ولا تشعر بكثرة النوم ، بل نجد خفة ورقة ، ودائماً أقول : لو لم يكن في كثرة الأكل أنه إلا كثرة دخول الحمام لكفى .

خامساً : طفرة حياتية :

نريد طفرة حقيقية في حياتك عموماً ، جرب أن تقلع عن الشاي شهراً ، تترك أكل اللحوم شهراً ، لن يحدث لك شيء لن تموت ، لا بد من طفرة في حياتك الإيمانية ، أصنع أشياء لم تعملها من قبل ، صل صلاة النبي ﷺ في الليل ؛ صل في الركعة الأولى بالبقرة وآل عمران والنساء ، واجعل ركوعك مثل ذلك وسجودك مثل ذلك ، ثم تصلي الركعة الثانية بالمائدة والأنعام ، فتقضي الليل في ركعتين عملاً بسنة النبي ﷺ كما ثبت في حديث حذيفة في الصحيحين .

افعلها ولو لمرة واحدة في حياتك .



### المشهد الخامس : الأنس بالله :

قال رسول الله ﷺ : « عمرة في رمضان تعدل حجة معي »<sup>(١)</sup> ، ليست مجرد حجة ، بل حجة مع النبي ﷺ ، تستشعر وأنت تقوم بأداء العمرة في رمضان أنك مع النبي محمد ﷺ ، حين تشعر أنك تحج مع النبي ﷺ تشعر بالأنس ، وكثيراً ما قلت : قال العلماء : إن في معاني الإيمان معالم على الطريق ، من لم يرها فإنه لم يسر قط ، لم يسلك الطريق .

أول معلم منها : الأنس بالله ، من لم يشعر بالأنس فهذا لم يسر في الطريق ؛ فإن أول معلم في الطريق الأنس بالله ، هذا المعلم إذا أحسست به اطمانت أنك تسير في الطريق ، نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الأنس به ، وعلامة الأنس به الاستيحاش من الخلق ، فلا تاتس بالناس ، فتحب الخلوة ، والانفراد عن الناس ؛ لتأنس بالله ، وخصوصاً وأنت في بيته عنده سبحانه ، جئت إليه فاراً من الناس ، مهاجراً إليه ، طالباً للجوء الإيماني كي يؤويك ، استشعر المعنى ثم اطلبه بالحاج تحبه .

### المشهد السادس : تعظيم أمر رمضان :

رمضان شهر عظيم كريم ، وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب أجره ورحمته وبركته للناس قبل أن يدخله »<sup>(٢)</sup> ، الله كتب رحمته للناس في رمضان قبل دخول رمضان ، وكتب إنمه وشقائه وحرمانه قبل أن يدخله ، يكتب الله من هو المرحوم ومن هو المحروم ، فمن تعظيم أمر رمضان أن تتحرى مواطن الرحمة ، فإذا ذهبت عند الكعبة اجتمع لك شرف

(١) متفق عليه ، البخاري (١٧٦٤) ، مسلم (١٢٥٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٧٤) ، وصححه شعيب الأرنؤوط .



المكان وشرف الزمان ومضاعفة الأعمال ، فليس الصيام فقط ينضاعف ، بل هناك قيام وذكر وتلاوة قرآن وطواف وإطعام طعام ، وأعمال بر وتقى لا تعد ولا تحصى ، وشرب ماء زمزم ، وسعي بين الصفا والمروة وتقبيل الحجر ، وصلاة في الحجر .

ومن الركن البهائي ، والوقوف في الملتمزم ، والصلاة خلف المقام ، والصلاة في حجر إسماعيل ، كل هذه أعمال لا تيسر إلا هناك ؛ فلذلك نعتز في هذا الشهر التماساً لبركة تلك الأعمال مجتمعة هناك ، فأشعر قلبك أنك أتيت إلى هنا وتفعل كل هذه الأفعال طلباً لتعظيم هذا الشهر العظيم لأن الله عظمه .

### سألة المكث في مكة أفضل من المكث في المدينة :

تجد بعض الناس يقول : سوف أنتهي من العمرة ثم أذهب إلى المدينة ؛ لأن مكة مزدحمة ، وأنا أشعر بارتياح قلبي في المدينة أكثر .

وهذه مسألة الترجيح فيها بالهوى ، مسألة تقليد الناس واتباع أقوال العامة أن المدينة أكثر راحة عن مكة ، وهذا مفهوم خاطئ ، ومن تلبس إبليس .

لا نريد أن نناق وراه كلام الناس ، لابد أن يكون كلامنا منضبطاً بالشرع : في مكة توجد الكعبة بيت الله ، وفي المدينة يوجد مسجد رسول الله ﷺ ، ولا ينبغي أن نخلط بين ما لله من حق ، وما لرسوله ﷺ من حق ، الرسول ﷺ دعا للمدينة فقال : «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشده»<sup>(١)</sup> ، وقال ﷺ : «اللهم إن إبراهيم حرم مكة وأنا أحرم المدينة»<sup>(٢)</sup> ، فالدعاء أن تكون

(١) متفق عليه ، البخاري (١٧٩٠) ، مسلم (١٣٧٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٩٣) ، وصححه شعيب الأرنؤوط .



المدينة مثل مكة ، والمقارنة بين مكة والمدينة واضحة : الصلاة في مكة بمائة ألف ، وفي المدينة بألف ، فأيهما يكون أريح ؟

إنك تجد في كتاب الله عز وجل الشاء كل الشاء على مسجد الكعبة ، فأين ما يقابله في مسجد الرسول ﷺ ؟ ١٩ ، ولست بهذا أهون من أمر مسجد رسول الله ﷺ - عباداً بالله - ؛ وإنما نضع الأشياء في موضعها الصحيح ، نعطي كل شيء حجيجه اللائق به ، وهذا من العدل الذي أمرنا الله به ، ومن الفقه الذي نريد دلالة الأمة عليه حتى لا يفوتها عظيم الأجر ، أليس النبي ﷺ قال في مكة : «والله لآنت أحب بلاد الله إلى الله ، وأحب بلاد الله إليّ» (١) ، والمسجد الحرام هو أول مسجد وضع على ظهر الأرض ، وليس بقعة في الأرض يشترط لدخولها الإحرام والتجرد من الملابس إلا مكة .

إن مكة هي مكة ، والمدينة هي المدينة ، فحدد هدفك من عمرتك ولا تختر ما يوافق هواك ، بل اختر ما هو خير لك في آخرتك ، إننا نحب مسجد رسول الله ﷺ ليس من أجل النبي ﷺ فحسب بل نحب لله ابتداء ، هذه الأمور لا بد أن تنضبط انضباطاً صحيحاً لا غلو فيه ولا جفاء .

فاعتدك في مكة يختلف عن اعتدك في المدينة ، صلاتك في مكة تختلف عن صلاتك في المدينة ، لا نظن أني بذلك أناك عن الذهاب إلى المدينة ، كلا . . بل يستحب زيارة مسجد الرسول ﷺ فاحرص على ذلك . . أسأل الله جل جلاله أن يتابع لنا بين الحج والعمرة ، وأن يرزقنا العمرة في رمضان دائماً ولا يحرمنا منها ، وأن يرزقنا الإخلاص فيها .



(١) أخرجه أبو يعلى (٦٩/٥) ، وقال حسين سليم أسد : رجاله رجال الصحيح .







الفصل الحادي عشر

## نسائم الأسحار

اقعد على جانب وادي السحر؛ فلعل إبل القوم تمر بك . . منهم  
تعلمت الحمام النُوج والإبل الحنينا . . وأسف المتقاعد عنهم ، واحسرة  
البعيد منهم .

\*\*\*

yaqoo.com







## نسائم الأسحار

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ مَن شَهِدَ يَنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَشْهُامِهِ ۚ إِنَّهُ يُرِيدُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْهِدَىٰ ۚ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ عَلَىٰ مَا حَدَّثَكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥-١٨٦].

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

في وسط سياق الآيات التي تتحدث عن الصوم ، نجد لفظة عجيبة إلى أعماق النفس وخفايا السريرة ، نجد الموضع الكامل الحبيب المرغوب عن مشقة الصوم ، والجزاء المعجل على الاستجابة لله ، نجد ذلك الموضع وهذا الجزاء في القرب من الله ، وفي استجابته للدعاء ، تصويره ألفاظ شفاقة تكاد تثير : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ .

فإني قريب .. أجيب دعوة الداع إذا دعان .. آية رقة ١٩ ، وأي انعطاف ١٩ ، وأية شفاقة ١٩ ، وأي إيناس .

وأي تفع مشقة الصوم ومشقة أي تكليف في ظل هذا الود ، وظل هذا القرب ١٩ وظل هذا الإيناس .

وفي كل لفظ في الآية كلها تلك الندوة الحبية : إضافة العباد إليه سبحانه ، والرد المباشر عليه منهم سبحانه ، لم يقل لهم : فقل لهم إني قريب ، إنما



تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال .. قريب .. ولم يقل :  
 أسمع الدعاء .. إنما عجل بإجابة الدعاء : ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ ..  
 إنها آية عجيبة .. آية تسكب في قلب المؤمن الندوة الحلوة ، والود  
 المؤنس ، والرضى المطمئن ، والثقة واليقين .. ويعيش منها المؤمن في  
 جناب رضى وقربى ندية ، وملأه أسير وقرار مكين .

وفي ظل هذا الأئس الحبيب ، وهذا القرب الودود ، وهذه الاستجابة  
 السريعة من الله بوجه الله تعالى عباده للاستجابة له ، والإيمان به ، لعل هذا  
 يقودهم إلى الرشd والهداية والصلاح ، فالثمرة الأخيرة من الاستجابة هي لهم  
 كذلك ، وهي الرشd والهدى والصلاح ، فالله غني عن العالمين .

والرشd الذي ينشئ الإيمان وتنشئه الاستجابة لله هو الرشd المطلوب  
 للحياة السعيدة التي ترضي الله ، واستجابة الله للعباد مرجوة حين يستجيبون  
 له وهم يرشدون ، وعليهم أن يدعوه ولا يستعجلوه ، فهو يقدر الاستجابة في  
 وقتها بتقديره الحكيم ، فبحان من أطمع المطيع والعاصي ، والداني  
 والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمانى بقوله تعالى :  
 ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ ..

تدل هذه الآية على تعظيم حال الدعاء من وجوه :

الأول : كانه سبحانه وتعالى يقول : عبدي .. أنت إنما تحتاج إلى الوسطة  
 في غير وقت الدعاء ، أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك .

الثاني : أن قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ يدل على أن  
 العبد له ، وقوله : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ يدل على أن الرب للعبد .

والثالث : لم يقل : فالعبد مني قريب ؛ بل قال : أنا منه قريب ..



وانظر إلى كرم الجواد الذي إذا لم يُسأل يغضب ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَّوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَصْبِرُوا إِلَّا كَوَيْلٌ لَّيْلًا قُلْ لَّوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَوَاكُم ﴾ [الفرقان: ٧٧] ، وقال رسول الله ﷺ : « من لم يسأل الله يغضب عليه »<sup>(١)</sup>.

فالدعاء تذلل وخضوع ، وإخبات وانطراح على سُلَّةِ الكريم ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله حيي كريم ، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين »<sup>(٢)</sup>.

وإن لم يكن رمضان وقت الدعاء المستجاب ، ففي أي شهر يكون الدعاء ؟ ، وهو وقت الشفاة الذائلة والطاعة الكاملة ، والبطن الضامرة ، وقت نزول الملائكة ، وقت فتح أبواب الرحمة وأبواب السماء.

ولكن أبواب السماء تحتاج إلى مفاتيح تفتح بها ، فإن الله جل جلاله بحكمته ورحمته جعل لكل شيء سبباً ، وأمرنا بالأخذ بالأسباب لنصل إلى مراده سبحانه وتعالى من غير أن نعلق بها ، فهو سبحانه غني عن الأسباب ، ولكنها من سنن الله الربانية أن تكون البداية من العبد في إظهار الافتقار والحاجة والله ينعم له ويعطيه أكثر من مراده .

ولذلك جمع العلماء للدعاء آداباً وأسباباً يرجئ لعن التزامها أن يحوز دعاؤه القبول ، أحب قبل أن ندعو وقبل أن أذكر لك طرقاً من عيون دعاء الصالحين ؛ أن أسردها لك ابتداءً .

(١) أخرجه أحمد (٤٤٢/٢) ، وصححه الألباني (٢٤١٨) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه أبو دارود (١٤٨٨) وصححه الألباني (١٧٥٧) في «صحيح الجامع» .



**آداب الدعاء :**

(١) **أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة** كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل .

(٢) **أن يفتنم الأحوال الشريفة :**

وإليك بعض الأوقات والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء :

• وقت التنزل الإلهي :

قال ﷺ : « إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها غيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة »<sup>(١)</sup>.

• في السجود :

قال رسول الله ﷺ : « وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقمن أن يستجاب لكم »<sup>(٢)</sup>.

• أن يبيت على ذكر فينهار من الليل فيدعو :

قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يبيت على ذكر طاهرًا فينهار من الليل فيسأل الله تعالى غيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله له »<sup>(٣)</sup>.

• عند الأذان :

قال رسول الله ﷺ : « إذا نودي بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء »<sup>(٤)</sup>.

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(١) أخرجه مسلم (٧٥٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٤/٥)، وصححه الألباني (٥٧٥٤) في «صحيح الجامع».

(٤) أخرجه أحمد (٢٤٢/٣)، وصححه الألباني (٨٠٣) في «صحيح الجامع».



## \* بين الأذان والإقامة :

قال رسول الله ﷺ : « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد »<sup>(١)</sup>.

\* عند نزول المطر ، وعند التقاء الجيوش ، وعند إقامة الصلاة :

قال رسول الله ﷺ : « اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش ، وإقامة الصلاة ، ونزول الغيث »<sup>(٢)</sup>.

## \* آخر ساعة من شهر الجمعة :

قال رسول الله ﷺ : « يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة ، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا آتاه الله إياه ، فالتسوية آخر ساعة بعد العصر »<sup>(٣)</sup>.

## \* دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب :

دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير ؛ قال الملك الموكل به : آمين ، ذلك بمثل .

قال رسول الله ﷺ : « دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد »<sup>(٤)</sup>.

\* دعوة المسافر ، والمظلوم ، والوالد لولده ، ودعوة الصائم :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ، ودعوة المسافر »<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١١٩/٣) ، وصححه الألباني (٢٦٥) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

(٢) أخرجه البيهقي (٦٢٥٢) ، وصححه الألباني (١٠٢٦) في « صحيح الجامع » .

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٨) ، وصححه الألباني (٨١٩٠) في « صحيح الجامع » .

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٣) .

(٥) أخرجه ابن خزيمة (١٩٠١) ، وصححه الألباني (٣٠٣٠) في « صحيح الجامع » .



• عدم العجلة :

قال رسول الله ﷺ : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : قد دعوت فلم يستجب لي »<sup>(١)</sup>.

• دهاء رمضان :

فهو وقت صيام وزمان شريف ، وهناك علاقة وطيدة بين فتح أبواب السماء وأبواب الرحمة وإجابة الدعاء ، وهي حاصلة في رمضان ، وقال رسول الله ﷺ : « لله في كل يوم ليلة عتقاء ، لكل عبد منهم دهوة مستجابة »<sup>(٢)</sup>.

(٣) أن يدعو مستقبل القبلة ، ويرفع يديه إلى السماء .

(٤) خفض الصوت بين المخافة والجهر ، قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَيْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخْلُفُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠] ، قالت عائشة رضي الله عنها : أي بدعائك ، وقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب »<sup>(٣)</sup>.

(٥) أن لا يتكلف السجع في الدعاء ، ادع بلسان الذلة والافتقار ، لا بلسان الفصاحة والانطلاق .

(٦) التضرع والخشوع والرقة والرهبة .

(٧) أن يعجز بالدعاء ، ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه : قال سفيان بن عيينة : لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه ، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> قَالَ ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ [المعجم: ٣٦-٣٧] .

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٨١) ، ومسلم (٢٧٣٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٤) ، وصححه الألباني (٢١٦٩) في « صحيح الجامع » .

(٣) متفق عليه ، البخاري (٢٨٣٠) ، مسلم (٢٧٠٤) .



(٨) أن يلج في الدعاء ، ويعظم المسألة ، ويكرر الدعاء ثلاثاً : قال ابن مسعود : كان رسول الله ﷺ إذا دعا دعا ثلاثاً ، وإذا سأل سأل ثلاثاً ، وقال ﷺ : « إذا تمنى أحدكم فليكثر ، فإنما يسأل ربه » (١) .

قال المناوي : إذا تمنى أحدكم خيراً من خير الدارين فليكثر الأمانى فإنما يسأل ربه الذي ربه وأنعم عليه وأحسن إليه ، فيعظم الرغبة ويوسع المسألة ، ويسأله الكثير والقليل حتى شسع النعل ، فإنه إن لم يسره لا يتيسر ، فينبغي للسائل إكثار المسألة ولا يختصر ولا يقتصر فإن خزائن الجود سحاء الليل والنهار ، ولا يفتبها عطاء ، وإن جل وعظم فعطاه بين الكاف والتون ، وليس ذا بمناقض لقوله سبحانه : ﴿وَلَا تَسْتَعْتُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء : ٣٢] ، فإن ذلك نهي عن تمنى ما لأخيه بغيا وحسداً ، وهذا تمنى على الله سبحانه خيراً في دينه ودنياه وطلب من خزائنه اهـ .

(٩) أن يفتح الدعاء بذكر الله والثناء عليه ، وأن يختمه بالصلاة على رسول الله ﷺ ، قال رسول الله : « كل دعاء محبوب حتى يصلي على النبي ﷺ » (٢) .

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم يسأل حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين ، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما .

(١٠) وهو الأدب الباطن ، وهو الأصل في الإجابة ، التوبة ورد

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٣٠١) وصححه الألباني (٤٣٧) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٧٥) ، وحسنه الألباني (٤٥٢٣) في «صحيح الجامع» .



المظالم والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة ، فذلك هو السبب القريب في الإجابة .

قال مالك بن دينار : إنكم تستبطنون المطر ، وأنا أستبطئ الحجارة ، أي نزول الحجارة .

وقال ابن المبارك : قدمت المدينة في عام شديد القحط ، فخرج الناس يستقون فخرجت معهم ، إذا أقبل غلام أسود ، فجلس إلى جنبي فسمعتة يقول : **إلهي** .. أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الأعمال ، وقد حبست عنا غيث السماء فتؤدب عبادك بذلك ، فأسألك يا حليماً ذا أناة .. يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة ، فلم يزل يقول : الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب ، قال ابن المبارك : فجئت إلى الفضيل فقال لي : مالي أراك كئيبي ؟ قال : أمرٌ سَبَقْنَا إليه غيرنا فتولاه دوننا ، ونصصت عليه القصة فخر الفضيل مغشياً عليه .

### إخوانه ..

الدعاء والمناجاة والتضرع والافتقار بالأسحار ؛ عبادة لها لذة ، وفي رمضان لها طعم آخر ، لها في رمضان مذاق خاص ، والسعيد السعيد من قام في السحر يناجي ربه ويتعلقه ؛ ليستنشق نسيم الأنس بالله ، فوالله ثم قاله لو شملت نسيم الأسحار لاستفاق منك قلبك المغمور .

وفي هذا الفصل المفعم بالبهائم على النفس ، والرجاء لفضل الله ، والخوف من النيران وطلب الجنان ، تتعرض لأمثلة عطرة من مناجاة وأدعية السلف الأكابر ، لتتعلم كيف تتعلق ربنا ونستفتح لديه بالدعاء ، ولم تتعرض لأدعية القرآن الكريم والسنة ؛ فهي بفضل الله معروفة لديكم ومشهورة .



## إخوته . .

قال يحيى بن معاذ الواعظ : طوبى لعبد أصبحت العبادة حرقته ، والفقر منيته ، والعزلة شهوته ، والآخرة همة ، وطلب العيش بلغته ، وجعل الموت فكرته ، وشغل بالزهد نيته ، وأما بالذل عزته ، وجعل إلى الرب حاجته ، يذكر في الخلوات خطيئته ، وأرسل على الوجنة عبرته ، وشكا إلى ربه غربته ، وسأله بالتوبة رحمته ، وطوبى لمن كان ذلك صفة ، وعلى الذنوب ندامته ، جئنا الليل والنهار ، ويكاه إلى الله بالأسحار ، يتاجي الرحمن ، ويطلب الجنان ، ويخاف النيران .

## إخوته . .

لو وأيتم أرياب القلوب والأسرار ، وقد أخذوا أهبة التعبد في الأسحار ، وقاموا في مقام الخوف على قدم الاعتذار ، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ .

عقدوا عزم الصيام وما جاء النهار ، وسجنوا الألسنة فليس فيهم مهادر ، وغضوا أبصارهم ولازم غُصُ الأبصار ، فانظر مدحهم إلى أين انتهت وحصار ، أحزانهم أحزان تكلى مالها اصطبار ، ودموعهم لولا التحري لقلت كالأنهار ، ووجوههم من الخوف قد علاها الصفار ، والقلق قد أحاط بهم ودار ، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ .

جُدُوا في انطلاقتهم إلى خلاقهم ، وراضوا أنفسهم بتحسين أخلاقهم ، فإذا بهم قد أذاهم كرب اشتياقهم ، أتدري ما الذي حبسك عن لعاقهم : حب الدرهم والدينار .

أيقظنا الله وإياكم من هذه السُّنة ، ورزقنا اتباع النفوس المحسنة ، وآتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ورقنا عذاب النار .



### من أدعية السلف . . ومتاجعهم :

• **رب** ، ما أحكمك وأمجذك وأجودك وأرفك ، وأرحمك وأعدلك وأقربك ، وأقدرك وأقهرك ، وأوسعك وأفضاك ، وأبينك وأنورك وألطفك وأخبرك ، وأعلمك وأشكرك وأحلمك ، وأحكمك وأعطفك وأكرمك . .

• **رب** ، ما أرفع حجتك وأكثر مدحتك ، **رب** ما أبين كتابك وأشد عقابك ، **رب** ما أكرم مآبك وحسن ثوابك ، **رب** ما أجزل عطاءك وأجل ثناءك ، **رب** ما أحسن بلاءك وأسبغ نعماءك ، **رب** ما أعلی مكانك وأعظم سلطانك ، **رب** ما أمتن كيدك وما أغلب مكرك ، **رب** ما أعز ملكك وأتم أمرك ، **رب** ما أعظم عرشك وأشد بطشك ، **رب** ما أوسع رحمتك وأعرض جنتك ، **رب** ما أعز نصرك وأقرب فتحك ، **رب** ما أعمر بلادك وأكثر عبادك ، **رب** ما أوسع رزقك وأزید شكري ، **رب** ما أسرع فرجك وأحكم صنعك ، **رب** ما ألطف خيرك وأقوى أمرك ، **رب** ما أنور عفوك وأجل ذكرك ، **رب** ما أعدل حكمك وأصدق قولك ، **رب** ما أرفق عهدك وأنجز وعدك ، **رب** ما أحضر تفعلك وأتقن صنعك . .

• **إلهي** . . تم نورك فهديت فلك الحمد ، عظمت حلمك فغفرت فلك الحمد ، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد ، ربنا وجهك أكرم الوجوه ، وجهك أعظم الجاه ، وعظمتك أفضل العطية وأمنها ، تطاع ربنا فتشكر ، ونعصى فتغفر ، وتحيب البضطر ، وتكشف الضر ، وتنفي الشقم ، وتغفر الذنب ، وتقبل التوبة ، ولا يجزي بالآلئك أحد ، ولا يبلغ مدحك قول قائل .

• **إلهي** . . يا حسن التجاوز ، يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يا من لا يؤاخذ بالجريرة ، ولا يهتك السر ، يا واسع المغفرة ، يا واسع اليدين بالرحمة ، يا صاحب كل نجوى ، ويا مستهين كل شكوى ، يا كريم الصفح ،



يا عظيم المَن ، يا مبتدئًا بالنعم قبل استحقاقها ، يا ربِّنا ورسيدنا ومرلانا ،  
ويا غايةَ رَغبتنا ، أسالك يا الله ، أن لا تشوي وجهي بالنار .

• **اللهم** ، أنتَ أحقُّ من ذُكر ، وأحقُّ من عُبد ، وأعظمُّ من ابْتغى ، وأَرأفُّ  
من مَلِك ، وأجودُّ من سَل ، وأوسعُّ من أعطى ، أنتَ البَلِك لا شريك لك ،  
والفرد لا بُدُّ لك ، كلُّ شيءٍ هالك إلا وجهُكَ ، لن تطاع إلا بإذنك ، ولن  
تعصى إلا بعلمك ، تطاع فنشكر ، وتعصى فتغفر ، أقربُّ شهيد ، وأدنى  
حفيظ ، حُلَّتْ دون النفوس ، وأخذت بالنواصي ، وكتبت الآثار ، ونسخت  
الآجال ، القلوب لك مُفضية ، والسر عندك علانية ، الحلال ما أحللت  
والحرام ما حرمت ، والدين ما شرعت ، والأمر ما قضيت ، الخلق خلقك ،  
والعبد عبدك ، وأنتَ الرؤوف الرحيم ، اللهم لا تحرمني خير ما عندك بسوء  
ما عندي .

• **يا سيدي وأملي** ، ومن به تم عملي ، أعوذ بك من بدن لا يتصب بين  
يديك ، وأعوذ بك من قلب لا يشاق إليك ، وأعوذ بك من دعاء لا يصل  
إليك ، وأعوذ بك من عين لا تبكي عليك .

• يا من أنسي بقربه ، وأوحشي من خلقه ، وكان عند مسرتي ، أرحم  
اليوم قبرتي .

• شهد لك قلبي في النوازل بمعركة الفضل لك ، وكيف لا يشهد لك قلبي  
بذلك ، ولا يحسن بقلبي أن يالف غيرك ، هيهات ، لقد خاب لديك  
المنصرون .

• **إلهي** ، أصبحت وأمسيت وقلبي مُصرٌّ على حبك سيدي ، ومشتاق إلى  
لقائك ، فمجل بذلك قبل أن يأتي سواد الليل .



• قام البطالون وقمت معهم ، قعنا إليك ونحن متعرضون لجودك ، فكم من ذي جُرم قد صفحت له عن جرمه ، وكم من ذي كُربٍ عظيم قد فرجت له عن كربه ، وكم من ذي حُرٍّ كبير قد كشفت له عن ضره ، فبعزتك ما دعانا إلى مسألتك بعدما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذي عرفتنا من جودك وكرمك ، فأنت المؤئل لكل خير ، والمرجو عند كل نائبة .

• **سيدي** .. قصدك عبدٌ وروحهُ لديك ، وقيادهُ بيدك ، واشتياقه إليك ، واحسرتاه عليه ، ليله أرق ، وشواهه قلق ، واحشاؤه تحرق ، ودموعه تسبق ، شوقاً إلى رؤيتك ، وحباً إلى لقاءك ، ليس له راحةٌ دونك ، ولا أملٌ غيرك .

• **سيدي** .. أحلى العطايا في قلبي رجاؤك .. وأعذب الكلام على لساني ثناؤك .. وأحب الساعات إليّ ساعةٌ يكون فيها لقاءك .

• **إلهي** .. أغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح للسائلين ، غرات النجوم ، ونامت العيون ، وأنت الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، إلهي .. قرشت الفرش ، وخللا كل حبيب بحبيبه ، وأنت حبيب المتهجدين وأنيس المستوحشين ..

• **إلهي** .. إن طردتني عن بابك فالن باب من الشجي ، وإن قطعني عن خدمتك فخدمة من أرغمني ..

• **إلهي** .. إن عذبتني فإني مستحق العذاب والنقم ، وإن عفوت عني فأنت أهل الجود والكرم ، يا سيدي لك أخلصي العارفون ، وفضلك نجا الصالحون ، وبحمتك أناب المقصرون ، يا جيل العقو ، أذني يرد عفوك وحلاوة مغفرتك ، وإن لم أكن أهلاً لذلك ، فأنت أهل التقوى وأهل العفوة .

• **إلهي** .. أنت الذي خلقتني ، وفي الرحم صورتني ، فأرحمني إلهي ،



فكما مننت عليّ بالإسلام ؛ فامتن عليّ بطاعتك ، وبترك معاصيك أبدًا  
ما أبقيتني ولا يسرائري ، ولا تخذلني بكثرة فضائلي ..

• **سبحانك خالقي** .. أنا الذي لم أزل لك عاصيًا ، فمن أجل خطيئتي  
لا تَقْرُ عيني ، وهلكك إن لم تعف عني ..

• **سبحانك خالقي** .. بأي وجه أفاك ، وبأي قدم أقف بين يديك ، بأي  
لسان أناطقك ، بأي عين أنظر إليك ؟ ، وأنت قد علمت سرائر أمري ، وكيف  
أعذر إليك إذا ختمت على لساني ، ونطقت جوارحي بكل الذي قد كان  
مني !!

• **سبحانك خالقي** .. فأنا نائبُ إليك ، فأقبل توبتي ، واستجب دعائي ،  
وارحم شبابي ، وأقلني عثرتي ، وارحم طول غيبي ، ولا تفضحني بالذي  
قد كان مني ..

• **سبحانك خالقي** .. أنت غياثُ المستغيثين ، وقرّةُ أعين العابدين ،  
وحبيب قلوب الزاهدين ، قلبك مستغاثي ومنقضي ، فارحم شبابي ، وأقبل  
توبتي ، واستجب دعوتي ، ولا تخذلني بالمعاصي التي كانت مني ..

• **إلهي** .. علمتني كتابك الذي أنزلته على رسولك محمد ﷺ ، ثم وقعتُ  
على معاصيك وأنت تراني ، فتمن أشقني مني إذ عصيتك وأنت تراني ، وفي  
كتابك المنزل قد نهيتني ، **إلهي** ، أنا إن ذكرت ذنوبي ومعصيتي لم تَقْرُ عيني  
للذي كان مني ؛ فأنا نائبُ إليك فأقبل ذلك مني ، ولا تجعلني لنار جهنم  
وقودًا ..

• **اللهم** .. نور دنيانا بنور من توفيقك ، واقطع أيامنا في الاتصال بك ،  
وانظم شتاتنا في سلك طاعتك ، عجبًا لمن عرفك ثم أحب غيرك ، ولمن



سمع منادبك ثم تأخر عنك ، **إلهي** . لا تعذب نفسك قد عذبت الخوف منك . .  
ولا تخرس لسانا كل ما يروى عنك . . ولا تُقَدِّ بصراً طالما يبكي لك . .  
ولا تحيب رجاء وهو منوط بك .

• **إلهي** . . ضع في ضعفي قوة منك ، ودع في كفّي كفى عن غيرك ،  
ارحم عبدة تترقق على ما قاتها منك ، برّد كبدًا تحترق على بعدها عنك .

• **إلهي** . . عرفتنا بربوبيتك ، وأغرقتنا في بحار نعمتك ، ودعوتنا إلى دار  
قدسك ، ونعمتنا بذكرك وأنسك .

**إلهي** ، إن ظلمة ظلمنا لأنفسنا قد عميت ، وبحار الغفلة على قلوبنا قد  
طمعت ، فالعجز شامل ، والحصر حاصل ، والتسليم أسلم ، وأنت بالحال  
أعلم .

• **إلهي** . . ما عصيتك جهلاً بعقابك ، ولا تعرضاً لعذابك ، ولكن سولت  
لنا نفوسنا ، وأعانتنا شقوتنا ، وغرنا سترك علينا ، وأطمعنا في عفوك برك بنا ،  
فالآن من عذابك من يستغفنا ؟ ، وبحل من نعصم إن قطعت حبلك عنا ؟ ،  
واخجلاه من الوقوف غداً بين يديك !! ، واقضيتنا إذا عرضت أعمالنا  
القيحة عليك !! ، اللهم اغفر ما علمت ، ولا تهتك ما سرت .

• **إلهي** . . إن كنا عصيناك بجهل ، فقد دعوناك بعقل ، حيث علمنا أن لنا  
رباً يغفر الذنوب ولا يبالى . .

يا من أقام لي غرس ذكرى ، وأجرى لي أنهاراً تجري ، وجعل لي أيام عيد  
في اجتماع الوردى ، وأقام لي فيهم أسواق التقوى ؛ أقبلت إليك معتمداً  
عليك ، معتلئ القلب من رجائك ، ورطب اللسان من دعائك ، في قلبي من  
الذنوب زفرات ، ومعى عليها ندامات ، إن أعطيتني قبلت ، وإن منعتني



رضيت ، وإن تركتني دعوت ، وإن دعوتني أجبت ، فأعطني إلهي ما أريد ،  
فإن لم تعطني ما أريد ؛ فارزقني الصبر على ما تريد .

• اللهم ، ارحم غربتي في الدنيا ، وارحم مصرعي عند الموت ، وارحم  
قيامي بين يديك .

• اللهم ، إن خطيئي تعذبني ، وتوبيخي تذويني ؛ فعميتي طول دهري بين  
تعذيب وتذويب .

• واسألناك منك ، إذا شاهدتني رخصتي تسبق إلى سراك ، أم كيف لا أضئ  
في طلب رضاك .

• إلهي . . ما أشوقني إلى لقاءك ، وأعظم رغبتني لجزائك ، وأنت الكريم  
الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ، ولا يبطل عندك شوق المشتاقين .

• إلهي . . إن كان دنا أجلي ولم يقربني منك صلي ، فقد جعلت الاعتراف  
بالذنب وسائل علي ، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك ؟ ، وإن عدلت فمن  
أعدل منك هنالك ؟ .

• إلهي . . قد جرت على نفسي بالنظر لها ، وبقي لها حسن نظرك ، فالويل  
لها إن لم تسعدنا .

• إلهي . . إنك لم ترك بي برا أيام حياتي ، فلا تقطع عني برك بعد مماتي ،  
ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي بإحسانه أن يسعفني عند مماتي بخبراته .

• إلهي . . كيف أياش من حسن نظرك بعد مماتي ، ولم تولني إلا الجميل  
في حياتي .

• إلهي . . إن كانت ذنوبي قد أخافتني ؛ فإن محبتني لك قد أجارتني ، فتول  
من أمري ما أنت أهله ، وحذ بفضلك على من غره جهله .



• **إلهي** .. لو أردت إهانتني لما هديتني ، ولو أردت فضيحتني لم تسترني ،  
فمتعني بما له هديتني ، وأدم لي ما به سترتني .

• **اللهم** ، يا واسع المغفرة ، وبيا باسط اليدين بالرحمة ، افعل بي ما أنت  
أهله .

• **إلهي** .. أذنبت في بعض الأوقات ، وأمئت بك في كل الأوقات ، فكيف  
يغلب بعض عمري مذنباً جميع عمري مؤمناً ؟!

• **إلهي** .. لو سألتني حسناتي لجعلتها لك مع شدة حاجتي إليها ، وأنا  
عبد ، فكيف لا أرجو أن تهب لي سيئاتي مع غناك عنها ، وأنت رب ؟! ، فبا  
من أعطانا خير ما في خزائنه ، وهو الإيمان به قبل السؤال ، لا تمنعنا أوسع ما  
في خزائنك ، وهو العفو مع السؤال .

• **إلهي** .. حاجتي حاجتي ، وعدتي فاقني ، فارحمني .

• **إلهي** .. كيف أمتنع بالذنب من الدعاء ، ولا أراك تمتع مع الذنب من  
العطاء ؟! ، فإن غفرت فخير راحم أنت ، وإن عذبت فقير ظالم أنت .

• **إلهي** .. أسالك تذلاً ، فأعطني تفضلاً .

• **اللهم** ، اجعل طاعتك همي ، وقوّ عليها جسدي ، وشخّ نفسي عن  
الدنيا ، واشغلتني بما ينفعني ، وبارك لي في قراها حتى ينقضي مني حالي ،  
وامن عليّ وارحمني ، حين تعبد بعد الموت خلقي ، ومن سوء الحساب  
فعافني ، يوم تبعثني فتحاسبي ، ولا تعرض عني ، يوم تعرضني بما سلف من  
ظلمي وجرمي ، وآمني يوم الفرع الأكبر ، يوم لا هممني إلا نفسي ، وارزقني  
نفع عملي ، يوم لا ينفعني عمل غيري ، وكما منت عليّ بالإسلام قامن عليّ  
بطاعتك ، ويترك معاصيك أبداً ما أبقيتني ، ولا تفضحني بسرائري ، ولا تخذلني  
بكثرة فضائحي .



• **سبحانك خالقي** ، أنا تائب إليك فاقبل توبتي ، واستجب دعائي ، وارحم شبابي ، وأقبل عثرتي ، وارحم طول عبرتي ، ولا تفضحتني بالذي قد كان مني ، سبحانك خالقي ، أنت غياث المستغيثين ، وقوة أمين العابدين ، وحبيب قلوب الزاهدين ، فالبك مستغاثي ومقطعي ، فارحم شبابي ، واقبل توبتي ، واستجب دعوني ، ولا تخذلني بالمعاصي التي كانت مني ، ولا تجعلني لنار جهنم ونودًا ، بعد توحيدتي وإيماني بك .

• **الهي** . وسيلتي إليك : نعمك علي ، وشفيعي إليك : إحسانك إلي ، **اللهم** ، إليك تقصد رغبتي ، وإليك أسأل حاجتي ، ومنك أرجو نجاح طلبي ، وبيدك مفاتيح مسألتي ، لا أسأل الخير إلا منك ، ولا أرجو من غيرك ، ولا أياس من روحك بعد معرفتي بفضلك ، يا من جمع كل شيء بحكمتك ، ويا من نفذ في كل شيء حكمه ، يا من الكريم اسمه : لا أحد لي غيرك فأسأله ، ولا أثق بسواك فأمله ، ولا أجعل لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها ، وأتركك عليه ، فمن أسأل إن جهلك ١٩ ، ويمن أني بعد إذ عرفتك ١٩

• **اللهم** ، إن ثقتي بك ، وإن ألهتني الغفلات عنك وأبعدتني العثرات منك بالاغترار ، أنا نعمة منك أجري في نعمك ، لا أزداد على سابقة علمك ، ولا أنتقص من عزيمة أمرك ، فأسألك يا منتهى السؤالات ، وأرغب إليك يا موضح الحاجات ، سؤال من قد كذب كل رجاء إلا منك ، ورغبة من رغب عن كل تقوى إلا عنك ، أن تهب لي إيمانًا أقدم به عليك ، وأوصل به عظم الوسيلة إليك ، وأن تهب لي يقينًا لا توهمه بشبهة إنك ، ولا توهمه خطرة شك ، ترحب به صدري ، وتيسر به أمري ، ويأوي إلى محبتك قلبي ، حتى لا ألهو عن شكرك ، ولا أنعم إلا بذكرك .

• يا من لا تُعلم حلاوة ذكره ألسن الخائفين ، ولا تكل من الرغبات إليه



مدامع الخاشعين ، أنت مستهن سرائر قلبي في خفايا الكتم ، وأنت موضع رجائي بين إسراف الظلم ، من ذا الذي ذاق حلاوة مناجاتك فلها بمرضاة بشر عن طاعتك ومرضاتك ؟ يا من يعصني ويناب إليه ، فيرضني كأنه لم يعص ، بكرم لا يوصف ، وتحنن لا ينعت ، يا حنانا بشفقتك ، يا متجاوزا بعظمتك ، لم يكن لي حول فانتقل عن معصيتك إلا في وقت أيقظتني فيه لمحبتك ، خضعتُ لك وخشعتُ لك إلهي لتعزني بإدخالني في طاعتك ، ولتنظر إليّ نظر من ناديتَه فأجابك ، واستعملته بمعونتك فأطاعك ، يا قريب ، لا تبعد عن المغترين ، يا ودود ، لا تعجل على المذنبين .

• **اللهم** ، استعملنا بسنة نبينا ، وتوقنا على ملكك ، وأوزعنا بهديه ، وارزقنا مرافقته ، وعرفنا وجهه في وضوانك والجنة ، اللهم خذ بنا إلى سبيله وسسته ، نعوذ بك أن نخالف سنته وسبيله ، اللهم أقر عين بمن يتبعه من أمته ، واجعلنا منهم ، وأوردنا حوضه ، واسقنا مشربا رويّا لا نظما بعده أبدا ، اللهم الحقنا بنينا غير خزايا ولا غاديين ، ولا خارجيين ولا فاسقين ، ولا مبدلين ولا مرتابين ، واجعلنا من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

• **إلهي** . . إن كان صغر في جنب طاعتك عملي ، فقد كبر في جنب رجائك أُملي .

• **إلهي** . . كيف انقلب من عندك محروما وقد كان حسن ظني بك منوطا ؟ .

• **إلهي** . . فلا تبطل صدق رجائي لك بين الأدميين .

• **إلهي** . . إن كانت أسفطتني الخطايا من مكارم لطفك ، فقد آنسني اليقين إلى مكارم عطفك .



• **إلهي** . . إن أمتنتي الغفلة من الاستعداد للفائلك ، فقد فُتيتي المعرفة لكرم  
آلائك .

• **إلهي** . . إن دعائي إلى النار أليم عقابك ، فقد دعائي إلى الجنة جزيل  
ثوابك .

• **اللهم** ، اجعلنا من الذين تفكروا فاعتبروا ، ونظروا فأبصروا ، وسمعوا  
فتعلقت قلوبهم بالمنازعة إلى طلب الآخرة ، حتى أناخت وانكسرت عن النظر  
إلى الدنيا وما فيها ، ففتقوا بنور الحكم ما رتقه ظلم الغفلات ، وفتحوا أبواب  
مخاليق العمى بأنوار مفاتيح الضياء ، وعشروا مجالس الذاكرين بحسن مواظبة  
استيدام الثناء ، **اللهم** ، اجعلنا من الذين ترأست عليهم ستور عصمة الأولياء ،  
وحصنت قلوبهم بطهارة الصفاء ، وزينتها بالفهم والحياء ، وطيرت همومهم في  
ملكوت سمواتك حجاباً حتى تنتهي إليك ، فرددتها بظرائف القوائد ، **اللهم**  
اجعلنا من الذين سهل عليهم طريق الطاعة ، وتمكنوا في أزمنة التقوى ، وفتحوا  
بالتوفيق منازل الأبرار ، قزبنوا وقربوا وكرموا بخدمتك .

لك الحمد يا ذا العز والعلو والآلاء والسعة ، إليك توجهنا ، وبفنائك  
أنحنا ، ولمعروفك تعرضنا ، وبغربك نزلنا ، يا حبيب التائبين ، ويا سرور  
العابدين ، ويا أنيس المنفردين ، ويا حرز اللاجئين ، ويا ظهر المتقطعين ، ويا  
من حبيب إليه قلوب العارفين ، ويه أنست أفئدة الصديقين ، وعليه عطفت رهبة  
الخاضعين ، يا من أذاق قلوب العابدين لذيذ الحمد ، وحلاوة الانقطاع إليه ، يا  
من يقبل من تاب ويعفو عمن أناب ، ويدعو المولئين كرمًا ، ويرقع المقبلين إليه  
تفضلًا ، يا من يتأنى على الخاطئين ، ويحلم عن الجاهلين ، ويا من حل عقدة  
الرغبة من قلوب أوليائه ، ومحا شهوة الدنيا عن فكر قلوب خاصته وأهل  
محبتة ، ومنحهم منازل القرب والولاية ، ويا من لا يضيع مطيعًا ، ولا ينسى



صبيًا ، ويا من منع بالنوال ، ويا من جاد بالاتصال ، يا ذا الذي استدرك بالتوبة  
ذنوبنا ، وكشف بالرحمة غمومنا ، وصنع عن جرمنا بعد جهلنا ، وأحسن إلينا  
بعد إساءتنا ، يا أنس وحشتنا ، ويا طيب سقمنا ، يا غياث من أسقط بيده ،  
وتمكن حبل المعاصي من رقبته ، وأسفر خنز الحيا عن وجهه ؛ هب لنا رحمة  
منك وعافية بين يديك ، يا خير من قدر ، وأوأف من رحم وعفا .

• **إلهي** .. قلني أعترف لك اللهم بما ذك عليه صنعك ، وشهد لك فعلك ،  
فهب لي اللهم تطلب العزيمة إليك ؛ لأن من لم يشبعه الولوع باسمك ؛ ولم  
يروه من غلمته ورود غدران ذكرك ، ولم ينسه جميع الهموم رضاه عنك ؛ ولم  
يله عن جميع العلاهي تعدد آلائك ، ولم يقطع عن الأنس بفيرك مكانه منك ؛  
كانت حياته ميتة ، وميسته حسرة ، وسروره حُصّة ، وأنسه وحشة .

• **إلهي** .. عرفني عيوب نفسي ، وافضحها عندي لأتضرع إليك في التوفيق  
للتزء عنها ، وأبتهل إليك بين يديك خاضعًا ذليلاً في أن تغسلني منها ،  
واجعلني من عبادك الذين شهدت أبدانهم رغابت قلوبهم ، تجول في ملكوتك  
وتفكر في عجائب صنعك ، ترجع بفوائد معرفتك وعوائد إحسانك ، قد  
ألبسهم خُلْع محبتك ، وخلعت عنهم لباس التزين لغيرك .

• **إلهي** .. لا تترك بيني وبين أقصى مرادك حاجبًا إلا هتكته ، ولا حاجزًا  
إلا رفعتة ، ولا وعرًا إلا سهلتة ، ولا يابًا إلا فتحتة ، حتى تقيم قلبي على الحق  
في معرفتك ، وتذيقني طعم محبتك ، وتبرد بالرضا منك قوادي وجميع  
أحوالي ؛ حتى لا أختار غير ما تختاره ، وتعمل لي مقامًا في ميدان  
طاعتك .

• **إلهي** .. كيف أسترزق من لا يرزقني إلا من فضلك ؟ أم كيف  
أسخطك في رضا من لا يقدر على ضري إلا بتمكينك ؟ ، فيا من أسأله إيمانًا



به وإيحاشاً من خلقه ، ويا من إليه التجائي في شدتي ورجائي ؛ ارحم غيبي ،  
وهب لي من المعرفة ما أزداد به يقيناً ، ولا تكلني إلى نفسي الأمانة بالسوء  
طرفة عين .

• **إلهي** .. لو أصبحت مؤثلاً في الشدائد خبرك ، أو ملجأ في المنازل سواك ،  
لحق لي أن لا أعرض إليه بوجهي عنك ، ولا أختاره عليك ؛ لتقديم إحسانك  
إلي وحديثه ، وظاهر منك عليّ وباطنها ، ولو تقطعت في البلاد إرباً إرباً ،  
وانصبت عليّ الشدائد صبا صبا ، ولا أجد مشتكى غيرك ، ولا مفرجاً لما بي  
عني سواك ، فيا وارث الأرض ومن عليها ، ويا باعث جميع من فيها ؛ ورت  
أصلي بك من أصلي ، ويبلغ همي بك متتهن وساتلي .

### نعم إخوتاه :

هذه أدعية سلقنا .. ما أطبها .. ما أرقها .. ما أطيب أملهم في  
المناجاة ، ما أقربهم من طريق النجاة ، ما أقل ما تعبوا ، وما أيسر ما نصبوا ،  
وما كان إلا القليل ثم نالوا ما طلبوا ، لو ذاق الغافل شراب أنيسهم في الظلام ،  
أو سمع الجاهل صوت حنينهم في القيام ، وقد نصبوا لما انتصبوا له الأقدام ،  
وترنموا بأشرف الذكر وأحلى الكلام ، وضرىوا على شواطين أنهار الصدق  
الخيام ، وركزوا على باب اليقين بالحق الأعلام ، وزموا مظايا الشوق إلى دار  
السلام ، وسأوت جنود حبهم والناس في الغفلة نيام ، وشكوا في الأسحار ما  
يلقون من وقع الغرام ، ووجدوا من لذة الليل ما لا يخطر على الأرواح ، وإذا  
أسفر النهار نلقوا بالصيام ، وصابروا الهواجر بهجر الشراب وترك الطعام ،  
وتدبروا دروغ التمنى خوفاً من الزلل والآثام ، فنورهم يُخجلُ شمس الضحى  
ويؤذي بندر القمام ، فلاجلهم ثبت الأرض ، ومن جرأهم يجري القمام ، وبهم



يُسامح الخطاءون ويُصفح عن أهل الإجرام ، فإذا نازلهم الموت طلبَ لهم  
كأسَ الحمام ، وإذا دُفِنوا في الأرض فُخِّرَت بحفظها تلك العظام ؛ فعلى الدنيا  
إذا ماتوا من بعدهم السلام .

\*\*\*

ياقوب  
yaqob.com



وَكُلَّ رَمَضَانَ

لِقَاءِ الْفُقَرَاءِ وَالْغَنَاءِ وَالنَّحَارِ

وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى

الْأَدْوِيَةِ الرَّمَضَانِيَةِ







## وداع رمضان

**أيها الإخوة . . أنا أحبكم في الله . .**

ها هو الضيف الكريم يلوح بالرحيل ، تمضي أيامه مسرعةً وكأنها حلم جميل .

فيأيها الضيف الكريم هلنِ رِسلك ؛ فقلوبنا لازالت مشتاقةً إلى وَصْلِكَ .  
انتظر . . تمهل فما أجل مقامك ، وما أحلى أيامك . . وما أمتع صيامك !  
لقد ذقنا فيك لذةً في غيرك ما ذقناها ، لقد عشنا فيك عيشةً في غيرك  
ما عشناها !

فكيف ترحل عنا بعد أيام لنا خلوة قضيناها ١٩ ، إن رحيلك عنا مصيبةٌ أبدًا  
لن ننساها . .

ولكن تلك مفادير ربي قدرها وسواها ، فاللهم أجرنا في مصيبتنا يا رب . .

**إخوانه . .**

وُلّت أيامُ رمضانَ مسرعةً ، ولم يبقَ منه إلا أيامٌ قلائل ، ووجب علينا  
التنبيه ، والتتويه لما فات ولما بقي . . بقي إخوانه عشرة أيام . . فانتبهوا فسوف  
تمر هي الأخرى كلمح البصر .

ألا فسيروا عن مساعد الجد في هذه العشر ، واهجروا لذبد العنام ، واقتدوا  
بشيكم ﷺ ، فقد كان يخص العشر الأواخر بأعمال لا يعملها في بقية الشهر ؛  
يخصها بالاعتكاف والقيام ، والاعتسال كل ليلة بين العشاءين ، والتنظف  
والتطيب ، وإحياء الليل كله ، فمن عائشة رضيها قالت : « كان رسول الله ﷺ



يجتهد في رمضان مالا يجتهد في غيره ، وفي العشر الأواخر منه مالا يجتهد في غيره<sup>(١)</sup> ، وروي عنه عليه السلام أنه «كان يخلط العشرين الأول بعشرة ونوم ، فإذا دخل العشر ؛ لم يَلْدُقُ حُمْضًا»<sup>(٢)</sup> ، طوى فراشه ، واعتزل نساءه ، وأحيا ليله ، واجتهد في دعاء ربه .

وقد كان السلف إذا دخلت العشر ؛ رفعوا الهمة إلى منتهاها ، وبذلوا كل الطاقة ، وكيف لا والعشر هي آخر السباق .

قال طلحة بن عبيد الله : إن الخيل إذا قاربت رأس مجراها ؛ أخرجت كل ما عندها .

فالسعيد من اغتم موسم العمر قبل ذهابه ، وحاسب نفسه قبل قراءة كتابه ، وراقب مولاه مراقبة من يعلم أنه يراه في ذهابه وإيابه .

فينبني إخوانه أن تراعي هذا الفضل مدة عمرنا ، ولا تضيع هذه الليالي المباركات ، التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم قطعاً أن ليلة القدر فيها ؛ ففعل أحدنا يكون قد مات قبل أن يدرك العشر الأواخر في العام القادم : ﴿أَنْ تَقُولَ نَقَسٌ جَعَرَكَ عَلَى مَا قَرَأْتَ فِي حُسْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لَيْنَ التَّغْيِيرِ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٧] ، أو تقول : ﴿يَنْبَلِّغُنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٧٣] .

### إخوانه . .

الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَعَلُوا عَمَلُهُمْ السَّعْيَ وَالْأَرْضَ أُعِدَّتْ لِلْعَاقِلِينَ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين : ٢٦] .

(١) أخرجه مسلم (١١٧٥) . (٢) ضعفه ابن حجر في (اللسان) (٣٨١/٤) .



وهذه الأيام في آخر الشهر نحتاج للمناقشة حتى يستطيع الإنسان الحصول على أعلى الدرجات ، ونحتاج إلى المسارعة بل ومسايرة الأنفاس لأنها تمر مر السحاب ، وكل لحظة مرت لا تعود ولا تعوض ؛ فمابق أخي الحبيب أجلك ، وأدرك رضا الله بعملك ، واشحذ همتك ؛ فهذا أوان جدك .

### وظائف آخر الشهر :

#### أولاً : وقفة صادقة مع الله ومع النفس :

لا بد أيها الإخوة من وقفة صادقة دون كذب أو خداع أو مواربة ، لم يبق من الشهر إلا القليل فماذا أنت صانع فيه ؟

#### في هذه الرقعة تنظر فعلياً وبعد تفرغ تام :

- هل أدبت العبادات على وجهها ؟
- هل عشت رمضان حقيقة كما يحب ربنا ويرضى ؟
- هل ذاق قلبك طعم العبادات ؟
- هل حصلت التقوى المنشودة المقصودة من وراء هذا الصيام ؟
- هل تلوت القرآن وسمعته وأحبا الله به مرآت قلبك ؟
- هل تغير البيت وتحول نمط الحياة عندك قصرت عبداً ربانياً ؟
- هل أحسست بتغيير فعلي في قلبك فرأيت نوراً جديداً ؟
- هل بعد هذا التغيير عازم على الثبات فلن تعود إلى المعاصي ؟
- هل تظن بعد هذه الليالي الطويلة أنك قد أعصت رقيبك من النار ؟
- هل بعد كل تلك الليالي وفيها من فرص المغفرة ما فيها ؛ تظن أنك قد غفر لك ما تقدم من قبلك ؟



أيها الحبيب المحب ، لا تحامل ، ولا تتجاهل . .

قف وقفاً صادقة واستعن بالله على نفسك واصدقني ، لا ؛ بل اصدق الله  
بصدقك وأجب عن الأسئلة ، وما زالت أمامك فرصة ، هيا ركز في الأيام الباقية  
واعمل عمل رجل يريد أن يستترك ما فات .

هيا انطلق وتخلص من عبودك ، وتبرأ من عيوبك ، والتعس رضا ربك . .  
هيا اعمل ودعك من الكل ، وودع الأمل ، وسارع الأجل ، ولا تترك  
فرصة للعمل إلا وعملت بها . .

اعتكف كل الباقي ، وداوم على العبادة ، واجتهد في البكاء وطلب  
العفو . .

**أيها الإخوة . .** كان السلف الصالح يجهدون في إتمام العمل وإكماله  
وإنقائه ، ثم يسمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ  
يَقُولُونَ مَا آتَا قُلُوبُهُمْ وَتَكَلَّمُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ نَجْمَهُمْ فِي أَعْيُنِنَا﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

قال علي بن أبي طالب : كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ،  
ألم تسمعوا الله عز وجل يقول : ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ١٧٧] ،  
أنت قد عملت ، ولكن هل قبل عملك ؟ ، هذا هو الأخطر ، قبول العمل ،  
فكم من عمل يقنه صاحبه ويحسّه ويزينه ثم يرده الله عليه ولا يقبله ، وذلك  
بسوء نية صاحبه ، اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم .

**لذلك قال بعض السلف :** الخوف على العمل ألا يتقبل أشد من العمل ، وقال  
عبد العزيز بن أبي رواد : أدركتهم يجهدون في العمل الصالح ، فإذا فعلوه وقع  
عليهم الهم أينبل منهم أم لا ، هذا هو قلق السلف وفهمهم ، فكم من مغرور بعمله  
وليس له منه شيء ، كم من ممجّب بصلاته وليس له فيها حسنة !!



ولذلك خرج عمر بن عبد العزيز على الناس في يوم عيد القنطرة ، فقال في خطبته : أيها الناس ، إنكم صمتم لله ثلاثين يوماً ، وقبتم ثلاثين ليلة ، وخرجتم اليوم تطلبون من الله أن يتقبل منكم . . . فإلهم تقبل منا يا رب . وكان عبد الله بن مسعود يقول في آخر ليلة من رمضان : من هذا المقبول منا فنهيه ، ومن هذا المحروم منا فنعزيه ، أيها المقبول هنيئاً لك ، أيها المردود جئِ الله مصيبتك .

فيا أرباب الذنوب العظيمة ، الغنيمة الغنية ، في هذه الأيام الكريمة ، فما منها عوض ولا قبة ، فمن يعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة ، والمنحة الجسيمة ، يا من اعتقه الله من النار ، إياك أن تعود بعد أن صرت حراً إلى رق الأوزار ، أبعذك مولاك عن النار وتقرّب منها !! ، ويتخذك منها وأنت توضع نفسك فيها ولا تحيد عنها !! . . . يا أيها العاصي ، لا تنقط من رحمة الله بسوء أعمالك ، فكم يعتق من النار في هذه الأيام من أمثالك ، فأحسن الظن بمولاك وتب إليه ، فإنه لا يهلك على الله إلا هالك .

### ثانياً : ملازمة الاستغفار :

**أيها الاخوة ،** لقد رأيت أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بعد الحج بالاستغفار فقال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَكُمُ الْكَافِرُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ لَكُمْ إِنَّهُ كَانَ شَفِيعَ الْمُظْلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٩] ، وذكر الله عن العابدين المتجهدين أنهم كانوا يختمون صلاتهم بالاستغفار ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٨-١٧] .

قال الحسن : تدّوا الصلاة إلى الشجر ثم جلسوا يستغفرون .

وكان من هدي النبي محمد ﷺ إذا انتهت من الصلاة أن يستغفر ثلاثاً فيقول : استغفر الله . . . استغفر الله . . . استغفر الله . . .



لذلك نقول : أكبر من الاستغفار في نهاية صيامك ، استغفر الله كثيراً مرقع ما افتق من صيامك .

كان بعض السلف إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر العذنب من ذنبه ، سبحان الله ، إذا كان هذا حال السلف الذين أحسنوا عبادتهم وأنقروها وأخلصوا فيها ، فكيف حال المبشرين مثلنا في عباداتهم !! وقال عمر بن عبد العزيز في كتابه إلى الأمصار بمناسبة آخر رمضان : قولوا كما قال أبوكم آدم : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] ، وقولوا كما قال نوح عليه السلام : ﴿ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَهْلَكُنْ مِنِّي الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود : ٤٧] ، وقولوا كما قال موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [التقصص : ١٦] ، وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

ويروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الغية تحرق الصيام والاستغفار يرقعه ، فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع فليفعل .

وعن ابن المنكدر قال : الصيام جنة من النار ما لم يخرقها ، والكلام السيء يخرق هذه الجنة ، والاستغفار يرفع ما تحرق منها .

فصيامنا هذا يحتاج إلى استغفار نافع ، وعمل صالح له شافع ، كم نخرق صيامنا بسهام الكلام ، ثم نرقعه وقد اتسع الخرق على الراقع ، كم نرفق خروقه بمخيط الحسنات ثم نقطعه بحسام السيئات القاطع .

يا رب ، أرحم من حسناته كلها سيئات ، وطاعاته كلها غفلات .

وقريب من هذا أمر النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها في ليلة القدر بسؤال العفو ، فإن المؤمن يجتهد في شهر رمضان في صيامه وقيامه ، فإذا قرب فراغه وصادف ليلة القدر لم يسأل الله تعالى إلا العفو كالمسيء المفصر .



كان جِلَّةً بَيْنَ أَهْلِيهِم يُحْيِي اللَّيْلَ ثُمَّ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ عِنْدَ السَّحَرِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ ، أَوْ مِثْلِي يَجْتَرِي أَنْ يَسْأَلَكَ الْجَنَّةَ ١٤

**أنفع الاستغفار** ما قارنته التوبة وهي حل عقدة الإصرار ، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معفود ، وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد الشهر ؛ فمردود ، وباب القبول عنه مسدود ، قال كعب : من صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان أنه لا يعصي الله ؛ دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب ، ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان عصي ربه فصامه عليه مردود .

**عباد الله** . . شهر رمضان قد أوشك على الانتهاء ، فمن منكم حاسب نفسه فيه لله وانتصف ، من منكم قام في هذا الشهر بحقه الذي عَرَفَ ، من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبنى له فيها غرقاً من فوقها غرف ، ألا إن شهركم قد أخذ في النقص ؛ فزيدوا أنتم في العمل فكأنكم به وقد انصرف ، فكل شهر عسى أن يكون منه خلف ، وأما شهر رمضان فمن أين لكم منه خلف ١٥

**ثالثاً : سؤال الله العفو ، والتركيز على هذا السؤال ، والانشغال بذلك :**

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : أرايت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها ؟ ، قال : «قولي اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني» ١٦ .

العفو من أسماء الله تعالى ، وهو يتجاوز عن سيئات عباده ، الماحي لآثارها عنهم ، وهو يحب العفو فيحب أن يعفو عن عباده ، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض ، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه ، وعفوه

(١) أخرجه أحمد (١٧١/٦) ، وصححه الألباني (٣٣٣٧) في «الصحيحة» .



أحب إليه من عقوبته ، وكان النبي ﷺ يقول : «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك» (١) .

قال يحيى بن معاذ : لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه ؛ لم يثقل بالذنوب أكرم الناس عليه ، يشير إلى أنه ابتلي كثيرا من أوليائه وأحبابه بشيء من الذنوب ، ليعاملهم بالعفو فإنه يحب العفو ، قال بعض السلف الصالح : لو صلحت أحب الأعمال إلى الله تعالى ، لأجهدت نفسي فيه ، فرأى قائلا يقول له في منامه : إنك تريد ما لا يكون ، إن الله يحب العفو ، أن يعفو ، وإنما أحب أن يعفو ، ليكون العباد كلهم تحت عفوه ، ولا يدل أحد منهم بعمل .

وقد جاء في حديث ابن عباس مرفوعا أن الله ينظر ليلة القدر إلى المؤمنين من أمة محمد ﷺ فيعفو عنهم ويرحمهم إلا أربعة : مدمن خمر ، وعاقا ، ومشاحنا ، وقاطع رحم .

لما عرف العارفون بجلاله خضعوا ، ولما سمع المذنبون بعفوه طمعوا ، ما ثم إلا عفو الله أو النار ، لولا طمع المذنبين في العفو لا احترقت قلوبهم بالباس من الرحمة ، ولكن إذا ذكرت عفو الله استروحت إلى برد عفوه .

كان بعض المتقدمين يقول في دعائه : اللهم إن ذنوبي قد عظمت ، فجئت عن الصفة ، وإنها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني .

وقال آخر منهم : جرمي عظيم ، وعقوبك كثير ، فاجمع بين جرمي وعقوبك يا كريم . اللهم اعف عنا .

يا كبير الذنوب عفو الله من ذنبك أكبر ، أكبر الأوزار في جنب عفو الله يصغر ؛ وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي



ليالي المشر ، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحاً ولا حالاً ولا مقالاً ، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر ، قال يحيى بن معاذ : ليس بعارف من لم يجعل غاية أمله من الله العفو .

كان مطرف يقول في دعائه : اللهم ارض عنا ، فإن لم ترض عنا فاعف عنا ، من عظمت ذنوبه في نفسه لم يطمع في الرضا ، وكان غاية أمله أن يطمع في العفو ، ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلا في هذه المنزلة .

### وابتغا : بذل أقصى حد في الاجتهاد :

في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يجتهد في المشر ما لا يجتهد في غيره » .

**أخي الحبيب ،** ينبغي أن يكون الاجتهاد في أواخر الشهر أكثر من أوله لشهين :

أحدهما : لشرف هذه العشر ، وطلب ليلة القدر .

والثاني : لوداع شهر لا يدرى هل يلقي مثله أم لا .

وقد يحصل من بعض الناس العكس ، أنك تجد في أول رمضان شيئاً من النشاط والهمة في العمل ، ثم يعاب بالفتر بعد ذلك ، أو ينشغل بظواهر تشغله عن إكمال الشهر كما ينبغي .

رغم أن المفروض هو العكس لو كان للعمل ثمرة ، فإنه كلما زاد من الطاعات والعبادات التي يؤديها كل يوم في رمضان يرقى درجة إن كان من المقبولين ، فتزداد طاعاته وقرباته في اليوم التالي ، حتى يصل إلى أقصى علو همة عند نهاية الشهر ، كما كان هذا شأن النبي ﷺ وأصحابه ، فإنه كما مر معنا كان ﷺ إذا دخل العشر شد الجُزر ، وأيقظ أهله ، وأحيا الليل كله .



وقد ذكر عن بعض السلف أنه حين أتاه الموت وفي سياق السكرات ، كان يقوم ويثعد - يعني يصلي - ف قيل له : غي مثل هذه الحال ؟ ، أرح نفسك ، فقال : إن الخيل إذا بلغت إلى رأس مجراها ، أخرجت أقصى ما عندها ، وأنا أسابق بأنفاسي ، فانت الآن - أيها الحبيب - تسابق الساعات ، فرمضان على وشك الانتهاء ، فابدل أقصى ما تستطيع ، ولتضي هذه الأيام العشر إن مضت بغير أكل ولا شرب ولا نوم وليكن ما يكون .

قيل لبعض السلف : لا تبك ، فإنك إن بكيت عميت ، قال : ذلك لعيني شهادة ، فبكى حتى عمي ، أفهم ما قصدت الإشارة إليه ، وارغب فيما عند الله ، واستعن بالله .

### خاتمة : إياك والمعجب والغرور :

عن أبي بكر بن محمد بن أبي النجى رحمته الله قال : **« لا يقولن أحدكم : صُنْتُ رمضان كُلَّهُ ، ولا نَعْتُ رمضان كُلَّهُ »**<sup>(١)</sup> ، فلا أدوي أكره التزكية أم لا بد من غفلة .

أخي الحبيب ، إياك والأمراض القلبية ، إنما شرع الصيام والقيام وتلك الأعمال التي أديتها في رمضان لتزكية النفس وإصلاح القلب ؛ ولكن هناك بعض الأمراض المستوطنة التي يصعب اقتلاعها بسهولة ، منها هذا الداء الدفين والمرض الخبيث : المعجب وروية النفس .

قال ابن القيم - عليه رحمة الله : بين العمل وبين القلب مسافة ، وفي تلك المسافة قطّاع طرق تقطع الطريق على العمل أن يصل إلى القلب ، فتجد الرجل كثير الصلاة كثير الصيام ، كثير الذكر وتلاوة القرآن ولم يصل إلى قلبه من عمله شيء ، لا خوف ، ولا رجاء ، ولا محبة . ولا يقين ، ولا رضا ، وقد تستولي

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٦٥) ، وضمحه الألباني (٢٠٦٢) في «ضعيف أبي داود» .



النفس على العمل الصالح فتصيره جتدًا لها فتصول به وتطغى ، فتري الرجل أعبد ما يكون ، أزهد ما يكون ، وهو عن الله أبعد ما يكون .

الشاهد من هذا الكلام أن النفس قد تستولي على العمل الصالح فتصول به وتطغى ؛ فاحذر من ذلك ، أن تستولي نفسك على مشاق الأعمال في رمضان ، من صيام وقيام وقرآن وذكر واحتكاف وغيرها ، وتصول بها على سبيل الفخر ، وتستفخ بها بالزهو والتعالي على الآخرين ، فتخسر كل ذلك ، وتفقد ثواب العمل ، ونتيجة العمل ، فاحذر الحذر .

إن من علامات القبول أن يزداد الإنسان انكسارًا ودُّلاً وخضوعًا للرب جل جلاله .. فازدد دُّلاً ؛ تزدد قُرباً .

**عبادة الله ..** إن شهر رمضان قد حزم على الرحيل ، ولم يبق منه إلا القليل ، فمن منكم أحسن فعله بالتعام ، ومن فرط فيه فعله بالحسن والعمل بالختام ، اغتنموا منه ما بقي من الليالي اليسيرة والأيام ، واستودعوه عملاً صالحاً يشهد لكم عند الملك العلام ، وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام .

**إخوتاه ..** قلوب المتقين إلى هذا الشهر تجم ، ومن ألم فراقه تئن ، كيف لا تحجري للهموم على فراقه دموع ، وهو لا يلدي هل بقي له في عمره إليه رجوع .

يا حسرة من فاته الخير في رمضان ، كم أصبح المسكين فما قبل النصيح ، كم دعي إلى المصالحة فما أجاب إلى الصلح ، كم شاهد الواصلين فيه وهو متباعد ، كم مرت به زمر السائرين وهو قاعد ، حتى إذا ضاق به الوقت ، وخاف المقت قدم على التفریط حيث لا ينفع الندم ، وطلب الاستدراك في وقت العدم .



## إخوته . .

أيام العشر أيام الحياة . فيها الخيرات والبركات ، والأجور الكثيرة ،  
والفضائل الجزيلة ، فيها تزكو الأعمال ، وتُنال الآمال ، كيف لا والنبي ﷺ  
كان يسهر ليلته ، ويحوم ليله ، ويقوم الليل كله .

هذه العشر تُعلا فيها المساجد ، ويخشع فيها الراع والساجد ، وينهض إلى  
الخيرات كل قاعد ، ويصير الراغب كالزاهد ، شرف الله أوقات رمضان على  
سائر الأوقات ، وخص العشر الأواخر بمزيد فضل وإكرام ، فأجرل فيها  
الإفصال والإنعام ، ودليل فضله أن فيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر .



الشيخ ياقوب  
yaqob.com



## ليلة القدر

فضلها عظيم ، وخيرها عظيم ، وكيف لا وقد شهدت نزول القرآن الكريم ، الذي يفود من اعتصم به إلى جنات الخلد والنعيم ، كفى بقدر ليلة القدر أنها خير من ألف شهر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ﴿١﴾ وَمَا أَفْزَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ غَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمٍّ ﴿٤﴾ مَلَكٌ مِنْ حَيْثُ مَطْلَعُ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ [القدر: ١-٥] .

ليلة مباركة ، من حرم خيرها فقد حرم الخير كله ؛ ولذلك يستحب للمسلم الحريص على طاعة الله أن يحييها إيماناً وطعناً في أجرها العظيم ، بالقيام والذكر والقرآن والدعاء ، ومن فعل ذلك غفر له كل ما مضى من ذنوبه ، قال رسول الله ﷺ : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من قبّه » (١) .

ويستحب فيها الدعاء والإكثار منه ؛ وخاصة بما جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، أرايت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ؟ ماذا أقول ؟ قال ﷺ : « قل : اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني » (٢) .

وقد كان السلف يخصصون ليلة القدر بمزيد اهتمام ؛ فكان ثابت البناني يلبس أحسن ثيابه ، ويتطيب ، ويتطيب المسجد بالتضويع والدخنة في الليلة التي يُرجى فيها ليلة القدر .

وكان لتميم الداري رحمه الله حلة اشتراها بألف درهم ، وكان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٥) ، مسلم (٧٦٠) .

(٢) أخرجه أحمد (١٧١/٦) ، وصححه الألباني (٣٣٣٧) في الصحيحة .



وكما كانوا يستمدون لها بالترزين الظاهر؛ فإيهم علموا أنه لا يكمل تزيين الظاهر إلا بتزيين الباطن بالتوبة والإتابة إلى الله تعالى، وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها؛ فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تنفي شيئاً.

فلا يصلح لمناجاة المملوك في الخلوات إلا من زين ظاهره وباطنه، وطهرهما؛ خصوصاً لملك المملوك الذي يعلم السر وأخفى، فمن وقف بين يديه فليزين له ظاهره باللباس وباطنه بلباس التقوى.

روي عن مالك بن أنس أنه إذا كانت ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب، ولبس حلة وإزاراً ورداء، فإذا أصبح طواهها فلم يلبسهما إلا مثلها من قابل.

فعلى المسلم إذا أن يتحرى هذه الليلة، فهي فرصة عمره وحياته، ومعلوم من السنة أن معرفتها رفعت؛ لأن الناس تخاصموا: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ ليلة القدر، فتلاحى وجلان من المسلمين (أي: تخاصموا)، فقال: «إني خرجت لأخبركم ليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتسموها في التاسعة والسابعة والخامسة»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أريت ليلة القدر، ثم أبقتني بعض أهلني فنسيتها، فالتسموها في العشر الغواير»<sup>(٢)</sup>.

وورد أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه التمسها في الوتر من العشر الأواخر، فقال ﷺ: «التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان في وتر؛ فإني قد رأيتها فأنسيتها»<sup>(٣)</sup>.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٦).

(١) أخرجه البخاري (٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٨٠).



قال البيهقي : وبالجمللة ، أبهم الله هذه الليلة على الأمة ؛ ليجتهدوا في العبادة ليالي العشر طمعا في إدراكها ، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة . . وأخفى رضاء في الطاعات ليرغبوا في جميعها ، وسخطه في المعاصي ليتفروا عن جميعها ، وأخفى قيام الساعة ؛ ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها .

فخلاصة القول : أن المسلم يتحرى ليلة القدر في أواخر العشر الأواخر : ليلة إحدى وعشرين ، وثلاث وعشرين ، وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، وتسع وعشرين ، فإن ضعف وعجز عن طلبها في الوتر الأواخر ؛ فليطلبها في أواخر السبع البواقي : ليلة خمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، وتسع وعشرين ، والله تعالى أعلم .

قال ابن رجب الحنبلي رحمته الله : كل زمان فاضل من ليل أو نهار فإن آخره أفضل من أوله ، كيوم عرفة ويوم الجمعة ، وكذلك الليل والنهار عمومًا آخره أفضل من أوله ، وكذلك عشر ذي الحجة والمحرم آخرهما أفضل من أولهما . ولقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ اعتكف في العشر الأوسط من رمضان ، قبل أن يعتكف العشر الأواخر التماسا لليلة القدر قبل أن يتبين له ﷺ أنها في العشر الأواخر ، ثم لما تبين له ذلك اعتكف العشر الأواخر حتى قبضه الله عز وجل .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد منزله ، وأحبا ليله ، وأيقظ أهله »<sup>(١)</sup> ، وشد منزله أي اعتزل النساء ، ويحتمل أن يريد به الجد في العبادة ، ولم يكن النبي ﷺ إذا بقي عشرة أيام من رمضان يدع أحدا

(١) متفق عليه ، البخاري (١٩٢٠) ، مسلم (١١٧٤) .



من أهله يطبق القيام إلا أقامه ، وتأكد إيقاظهم في أكد الأوتار التي ترجى فيها ليلة القدر .

**وسميت ليلة القدر** لأنها أنزل فيها كتاب ذو قدر ، على لسان ملك ذي قدر ، على رسول ذي قدر ، وعلى أمة ذات قدر .

**أخي . .**

يهون العمر كله إلا هذه الليلة ، الليلة التي نزل فيها القرآن جملة إلى السماء الدنيا ، الليلة التي يُقدَّرُ فيها أحكام تلك السنة ، وتكتب فيها الملائكة الأقدار ، الليلة التي تنزل فيها الملائكة .

لقد كان رسولكم ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها ، ويعتكف السماء لتلك الليلة ، كان يواصل ابتغاء لتلك الليلة ، فيا من ضاع عمره في لا شيء ، استدرك ما فاتك في ليلة القدر ، فإنها تُحسبُ بالعمر .

ليلة . . يقبل الله فيها التوبة من كل تائب ، يكتب فيها من أم الكتاب ما يكون في سنتها من موت وحياة ورزق ومطر .

وعن مجاهد : صيامها وقيامها أفضل من : صيام ألف شهر وقيامه ليس فيها ليلة القدر .

وعن كعب الأحبار : نجد هذه الليلة في الكتب خطوطاً تحط الذنوب .

وهي ليلة مباركة نشرف فيها الأرض بالملائكة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ليلة القدر ليلة السابعة ، أو التاسعة والعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصى»<sup>(١)</sup> .

**ومن علامات ليلة القدر** أنها تكون ليلة لا باردة ولا حارة ، وتشرق الشمس

(١) أخرجه أحمد (٥١٩/٢) ، وحسنه الألباني (٢٢٠٥) في «الصحيحة» .



يومها بلا شعاع : قال رسول الله ﷺ : « ليلة القدر ليلة سمحة ، طلقة ، لا حارة ولا باردة ، تصبح الشمس صبيحتها ضميقة حمراء »<sup>(١)</sup> ، وقال ﷺ : « نطلع الشمس صبيحة تلك الليلة ليس لها شعاع ، مثل الطست حتى ترتفع »<sup>(٢)</sup> ، ولها علامات أخرى تظهر أكثرها بعد انقضاء الليلة .

ومن حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال : « في ليلة القدر لا يعمل لكوكب أن يرمى به حتى يصبغ ، وإن أمارها أن الشمس تخرج صبيحتها مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، لا يعمل للشيطان أن يخرج معها يومئذ »<sup>(٣)</sup> ، وروى عن ابن عباس أن الشيطان يطلع مع الشمس كل يوم إلا ليلة القدر ؛ وذلك أنها تطلع لا شعاع لها .

وقال مجاهد في قوله تعالى : « مَلَكُوتُ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ » : سلام أن يحدث فيها داء أو يستطيع شيطان أن يعمل فيها شيء ، وعن الضحاك عن ابن عباس قال : في تلك الليلة تصفد مرقة الجن ، وتغل صفاريت الجن ، وتفتح فيها أبواب السماء كلها ، ويقبل الله فيها التوبة لكل نائب .

**ابن آدم .** لو عرفت قدر نفسك ما أهتمها بالمعاصي ، أنت المختار من المخلوقات ، ولك أجدت الجنة إن اتقيت فهي أقطاع المتقين والدنيا إقطاع إبليس ، فهو فيها من المنظرين ، فكيف رضيت لنفسك بالإعراض عن أقطاعك ومزاحمة إبليس على أقطاعه ، وأن تكون غداً معه في النار من جملة أتباعه ، إنما طردناه عن السماء لأجلك حيث تكبر عن السجود لأبيك ، وطلبتنا قربك لتكون من خاصتنا وحزينا ، فعاديتنا وواليت عدونا .

(١) أخرجه الطبراني (١٣٩) في « الكبير » ، وحسنه الألباني (٥٤٧٢) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٧٨) ، وصححه الألباني (١٢٢٩) في « صحيح أبي داود » .

(٣) أخرجه أحمد (٣٧٤/٥) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حسن .



وتحزن النساء لفوات قيام ليلة القدر بسبب حيض أو نفاس ، ولكن عليهن بإحسان العمل طوال الشهر لكي يتقبله الله منهن ، قال جوير : قلت للضحاك : أرايت النساء والحائض والمافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب ؟ قال : نعم ، كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر ، ومعنى هذا أن الذي أحسن العمل في شهر رمضان يتقبل الله منه ، والذي يتقبل الله منه لم يحرمه نصيبه من ليلة القدر .

### إخوانه . .

ليلة القدر . . ليلة يفتح فيها الباب ، ويُقرب فيها الأحياب ، ويُسمع الخطاب ، وتُرد الجواب ، ويُعطى للعاملين عظيم الأجر .

ليلة . . ذاهبة عنكم بأفعالكم ، وقادمة عليكم غداً بأعمالكم ، فباليت شعري ماذا أودعتموها ، وبأي الأعمال ودعتموها ، أثراها ترحل حامدة لصنيعكم . . أو ذامة قضيعكم .

ليلة القدر . . عند المحييين ليلة الخطوة بأنس مولاهم وقربه ، وإنما يفرون من ليالي البعد ، ففيها تنزل الأملاك بالأنوار والبر .

### إخوانه . .

في العشر الأواخر ، احترسوا من الغفلات القرائل ، وتيقظوا فيها قبل لحاق الأواخر بالأوائل ، واعتزلوا فيها فإنها فلانل ، قبل أن يرد اعتذار المعاصي بتكذيبه ، عظموها فإنها عظيمة الأمر ، وانتظروا وارقبوا فيها بحسن اليقظة ليلة القدر ؛ فإنها غريبة غريبة ، وعجيبة عجيبة .

### إخوانه . .

هذه فرصتكم الأخيرة في هذا الشهر للنجاة . . فتأهبوا للعشر بالعزم



الصادق على الخير ، واجملوا محكم مصروفة إلى خراستها لا غير ؛ فإنها عشر بالبركات الواقعة قد حُفَّت ، وبالكرامة الظاهرة قد رُقَّت ، فأعدوا لقدمها عُدَّة ، واسألوا الله فيها التوفيق إلى أن تكملوا العُدَّة ، والحذر الحذر من التضيُّط والإهمال والتكاسل فيها عن صالح الأعمال .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَوَّىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ لَكُمْ شُكْرًا ﴾ [الاسراء : ١٩] .

### إخواناه . . يا مؤمنون . .

﴿ بِمَنَافِقِهِمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مَا لَكُم مِّنْكُمْ إِذَا قِيلَ لَهُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَدْ أَخَّرْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْحَبًا بِالْحَقِيقَةِ الَّذِينَ مِنْكُمْ الْأَخِرَةُ فَمَا تَتَّبِعُ الْحَقِيقَةُ الَّذِينَ فِي الْأَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۖ ﴾ [١] إِلَّا تَنْفِرُوا يُمْدِدْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَتَبَدَّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة : ٣٨-٣٩] .

### إخواناه . .

إن شهر رمضان قد تَرَبَّ رحيلُهُ وأَزِفَ ، وهو ذاهبٌ عنكم بأفعالكم ، وقادمٌ عليكم غداً بأعمالكم ، فباليأسِ شعري ماذا أودعتموه ، وبأي الأعمال ودعتموه ، أترأه يرحل حامداً صنيعكم أو ذامناً تضييعكم ، ما كان أعظم بركات ساعاته ، وما كان أحلى جميع طاعاته ، كانت لباليه عنفاً ومباهاة ، وأوقاته أوقات حُذْمٍ ومناجاة ، ونهاره زمان قربة ومصافاة ، وساعاته أحيان اجتهاد وصعابة ، فبادروا البقية بالتقبة قبل فوات البر ونزول البرية وتخلل عنك جميع البرية .

أين المخلص المتعبد ، أين الراهب المتزهّد ، أين المنقطع المتفرد ، أين العامل المجود ، هيهات . . بقى عبد الدنيا ومات السيد ، وهلك من خطوه خطأ وعاش المتعمد ، وصار مكان الخاشعين كل منافق متبرّد . . رحل عنك شهر الصيام ، وودعك زمان القيام ، والحق التصيحُ وقد لام ، أفشرق شمسُ



الإيقاظ وتنام ؛ فاستدرك ما قد بقي من الأيام ، قد رأيناك توائمت في الأولى  
والثانية والثالثة ؛ فما بعد أن دنا الصبح .

أشرك من عجب وأنت حار      وتطلبهم وقد يمد المرار  
وتبكي بعد تأييم اشتباها      ونسأل في المنازل أين ساروا  
تركت سؤالهم ولم حذور      وترجو أن تحببك الديار  
تففسك لم ولا تلم الخطايا      ومث كمننا فليس لك اهتذار

حنائك يا شهر الصيام . . إيه يا شهر الشهور . . مررت كالطيف وأسرعت  
الخطا . . فكنت كالحلم لا كبقية الآمال . . وعليكم السلام يا شهر الإيمان . .

السلام عليك يا شهر رمضان ، السلام عليك يا شهر الصيام والقيام وتلاوة  
القرآن ، السلام عليك يا شهر التجاوز والغفران ، السلام عليك يا شهر البركة  
والإحسان ، السلام عليك يا شهر التحف والرضوان ، السلام عليك يا شهر  
الأمان ، كنت للعاصين حيسا ، وللمتقين أنسا ، السلام عليك يا شهر النسك  
والتعب ، السلام عليك يا شهر الصيام والتهجد ، السلام عليك يا شهر  
الترايح ، السلام عليك يا شهر الأنوار والمصابيح ، السلام عليك يا شهر  
المتجر الربيع ، السلام عليك يا شهرا يترك فيه القيح ، السلام عليك يا أنس  
العارفين ، السلام عليك يا فخر الواصلين ، السلام عليك يا نور الواصلين ،  
السلام عليك يا روضة العابدين ، السلام عليك يا شهرا يتسابق فيه المتفون ،  
السلام عليك من فؤاد لفراقك محزون .

**في البيت شعري :** هل تعود أياك أو لا تعود ، وبنا لنا تحقنا ما شهد به علينا  
يوم الورد ، وبنا لنا علما من المقبول منا ومن المطرود ، وهل إذا حدث  
أيامك فنحن في الوجود ، وننافس أهل الركوع والسجود ، أم قد انطبقت علينا  
اللحود ، ومزقنا الليل والدود ، فبا أسفا لتصرمك يا شهر السود .



وَإِذَا هَرَمْتَ عَلَى الرَّجِيلِ مُلْتَمًا حَزَنُ الْفِرَاقِ يُحْزِرُ فِي الْأَكْبَادِ

فيا شهرنا غير مُؤَدِّع ودعناك ، وغير مقلبي فارقناك ، كان هازك صدقة وصياما ، وليك قراءة وقيامًا ، فعليك منا تحية وسلامًا ، أتراك تعود بعدها علينا ، أو يذركنا العنود فلا تزل إلينا ، مصابيحنا فيك مشهورة ، ومساجدنا منك معمورة ، فالآن تطفأ المصابيح ، وتنقطع التراويح ، ونرجع إلى العادة ، ونفارق شهر العادة .

يا شهر رمضان ترقق ، دموع السجيين تدفق ، قلوبهم من ألم الفراق تشقق ، عسى وقفة للوداع تطفى من نار الشوق ما أحرق ، عسى ساعة توبة وإقلاع ترفو من الصيام ما تحرق ، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق ، عسى أسيرو الأوزار يطفى ، عسى من استوجب النار يعتق .

**اللهم** أعفنا من النار يارب ، **اللهم** تقبل منا رمضان ، **اللهم** تقبل منا الصلاة والصيام والقيام وسائر الأعمال ؛ إنك سميع عليم . **اللهم** سلمنا لرمضان ، وسلم رمضان لنا ، وتسلمنا منا مستقبلًا . **اللهم** أعز علينا ورمضان أعوامًا عديدة ، وأزمنة مديدة .

**اللهم لك الحمد** على أن وفقنا لصيام رمضان وقيامه . **لك الحمد** يارب على أن وفقنا لقيام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا . **لك الحمد** بالإيمان ، **ولك الحمد** بالإسلام ، **ولك الحمد** بالقرآن ، **ولك الحمد** بالصلاة والصيام والقيام والصدقة والإحسان وقراءة القرآن . **لك الحمد** أولًا وأخيرًا . **لك الحمد** لا نحصي ثناء عليك ؛ أنت كما أثنيت على نفسك . . . نحمدك حمدًا بؤافي بعمك ويكافئ مريدك . . . ونستغفرك ربنا من جميع الذنوب والخطايا والطاعات ونتوب إليك ؛ إنك أنت الثواب الغفور الرحيم .









# وَمَا لَنَا بِعَدْرِ مِثْقَالِ

( رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ )







## وماذا بعد رمضان ؟

## جاء رمضان .. رمضان رمضان ..

سوق قام ثم انفض ، ربح فيه من ربح ، وخسر فيه من خسر ، ويتوقع المسلم لغراق رمضان ويظل يتذكر أيامه ولياليه كيف كانت عامرة بالخيرات ، وممتلئة بالعبادات ، منيرة بالطاعات ..

وينتهي رمضان وإذا بالمساجد تعود مرة أخرى خاوية على عروشها إلا من أهلها الذين هم أهلها ، ويتباكي الدعاة إلى الله على جهد على مدار شهر بذلوه ؛ وإذا هم في نهاية الأمر لم يجدوا له الأثر الذي ظنوه وانتظروه ..

لماذا يتكسب الناس بعد رمضان ويتشغلون مرة أخرى بدنياهم بعد أن ذاقوا حلاوة القرب من مولاهم ؟

لما مات رسول الله ﷺ وقف أبو بكر يقول : من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ..

وهأنذا أقول : من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد انقضى ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَتَنٌ ﴿١٠﴾ وَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ مَرَّةً أَلْفًا مَرَّةً ﴿١١﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ يُقْرَأُ السُّورُ وَالَّذِي يُرْسَدُونَ ﴿١٢﴾ [القصاص: ٨٨] .

## أحبي في الله ..

قال ربكم جل جلاله : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَدِيدٍ قُوَّةٌ أَنِصَحَتْكُمُ﴾ [النحل: ٩٢] .. هل رأيت امرأة تغزل ثوباً وتغزل ثم تغزل ، وبعد أن تم لها ذلك قامت فنقضت غزلها .. أعادت الثوب خيطاً كما كان ، فهل هذا



فعل إنسانٍ عاقل ..

هكذا حالك : إنك بعد أن كنت تقوم الليل إحدى عشرة ركعة يومياً في رمضان ؛ تريد أن تترك هذا كله فلا تقوم الليل ولو بأربع ركعات ، فأين أثر القيام فيك إذا ؟!

أأنت قد وجدت لذّة في قيام رمضان ؟ ، فلماذا تحرم نفسك من هذه اللذّة ؟ ، لماذا تحرم نفسك من الأجر ؟ ، لماذا تترك سوسة الكسل تنخر في إيمانك ؟!

**إخواناه ..** إن ديننا هو دين الاستقامة لا يصلح فيه التلون والتفلت والزوغان ، قال الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن كَلِمَةٍ مَّعَكَ ﴾ [هود: ١١٢] ، فاستقم على أمر الله .. استقم على طاعة الله حتى تلقاه فيكون ذلك يوم عبدك الحقيقي ، قال ربنا جل جلاله : ﴿ وَأَعِذْ رَبِّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] ، واليقين : الموت ، فكن ربانياً ولا تكن رمضانياً .

### استقم على طاعة الله ولا تتلون .

لما جاء حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل رضي الله عنه الموت جلس عبد الله بن مسعود عند رأسه فقال : أوصني ، فقال له : ألم يأتك اليقين ؟ ، قال ابن مسعود : بلى وعزوة ربي ، فقال له حذيفة : فإياك والتلون ؛ فإنه دين الله واحد .

إنك لابد أن تخرج من رمضان بقلب قد أُلِفَ الطاعة وأحبها واعتمادها حتى صارت له كالهواء والماء للإنسان ، فإياك أن تقتل إيمانك بالتناقل إلى الأرض ، والإخلاد إلى الكسل ، والرضا بالقعود والتكوص .

إنني أريدك أيها الحبيب أن تكون شخصيةً ربانيةً مدني حيانك ، لا على



فترات مقطعة في حياتك فتكون رجل المناسبات ، إياك أن تهجر الطاعة ، لا تهجر حفظ القرآن وتلاوته . . فالأعمال لم تنقطع بعد انتهاء رمضان ، لم يرفع عنك القلم بعد رمضان ، قيل لأحد الصالحين : أيهما أفضل : رجب أم شعبان ؟ ، فقال : كن ربانيا ولا تكن شعبانيا !! ، لا بد أن تثبت وتصطبر وتربي نفسك وتلزمها .

إن أول خطوات طريق الفشل والضياع أن تتحكم فيك نفسك وتسبك كيف شئت ، ثم تقوم ، اخرج تخرج ، ثم تنام ، كل تأكل ، لا بد أن تمتلك أنت زمام المبادرة ، لا بد أن تتحكم أنت في نفسك وتذلّلها لطاعة الملك جل جلاله .

### أيها الإخوة ، لازالت الأعمال بعد رمضان لم تنقطع .

فالقرآن لا يهجر بمجرد انتهاء رمضان ، بل حافظ على وردك الثابت فيه ، دُم على ذلك فالقرآن هو الذي يزكّي نفسك ويصلح قلبك ، ويثبتك على طريق الحق ، فلتستمر في قراءة القرآن جزءين في اليوم على الأقل ، ثم زد إلى ثلاثة ثم إلى خمسة لتختتم كل أسبوع كما كان يفعل الصحابة .

كذلك القيام لم ينقطع ، قم كل ليلة بإحدى عشرة ركعة ، قالني رحمه الله كان لا يترك قيام الليل ، فإذا فاتته يوماً من وجع أو غيره صلى من النهار ثني عشرة ركعة ، وذكر أن الحسن بن صالح باع جارية له ، فلما انتصف الليل قامت فنادتهم : يا أهل البيت ، الصلاة . . الصلاة ، قالوا : طلع الفجر ؟ ، قالت : وأنتم لا تصلون إلا المكتوبة ١١٢ ، ثم جاءت إلى الحسن فقالت : بعني إلى قوم لا يصلون إلا المكتوبة ١١٩ . . . ودّني .

والصيام لم ينقطع ، فعليك أن تبادر بصيام ستة أيام من شوال حتى تكون كأنك صمت السنة كلها ، رمضان ثلاثون يوماً ، والحسنة بعشر أمثالها فيكون ثلاثمائة ، وستة أيام بعشر أمثالها إذا سترت يوماً ، فتكتمل السنة ، كأنك صمت



سنة كاملة ، قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان ثم أتبعه سنًا من شوال ؛ كان كصيام الدهر»<sup>(١)</sup> ، وهناك ثلاثة أيام في كل شهر كان النبي ﷺ يصومها ويأمر بصيامها هي الأيام البيض : ثالث عشر ، ورابع عشر وخامس عشر من كل شهر عربي .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث لن أدعهن ما عشت : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الفجر ، وألا أتام حتى أوتر»<sup>(٢)</sup> ، وأريدك أن تنتبه جيدًا إلى قوله ﷺ : لن أدعهن ما عشت .

وهناك غير ذلك صيام الاثنين والخميس ، قال ﷺ : «تعرض الأصنام يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يُعرض عملي وأنا صائم»<sup>(٣)</sup> .

وهناك الصوم في المحرم ، فيستحب فيه الصيام استحبابًا عظيمًا ، قال رسول الله ﷺ : «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم»<sup>(٤)</sup> .

باع قوم من السلف جارية ، فلما قرب شهر رمضان وأتتهم يتأهبون له ويستعدون بالأطعمة وغيرها ، فآلتهم فقالوا : نتهيا لصيام رمضان ، فقالت : وأنتم لا تصومون إلا رمضان ! ، لقد كنتُ عند قوم كل زمانهم رمضان ، رُدوني عليهم ..

وأنواع الصيام كثيرة كصيام العشر الأوائل من ذي الحجة ، وصيام شعبان ؛ بل كان رسول الله ﷺ يصوم حتى يقول الصحابة : لا يفطر ، ويفطر حتى

(١) أخرجه مسلم (١١٦٤) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (١١٢٤) ، مسلم (٧٢٩) .

(٣) أخرجه أحمد (٢٠١/٥) ، وصحيحه الألباني (١٠٤١) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٣) .



يقولوا : لا بصوم ، فالصيام مدرسة لتزكية النفس ، وهي وصيتي الخاصة للشباب وخصوصاً في هذه الأيام التي امتلأت بالفتن ، أسأل الله أن ينجينى وإياكم منها .

والأعمال الصالحة كلها لم تنقطع بانقطاع رمضان .

قيل لبشر : إن قوماً يتعبدون ويجهدون في رمضان فقط ، فقال : بشس القوم لا يعرفون لله حقاً إلا في رمضان .

إن الصالح الذي يتعبد ويجهد السنة كلها ، فأكثر من الصدقة والإنفاق في سبيل الله ، كلما من الله عليك بفضل ، وأكثر من ذكر الله وتسيحه في كل أحوالك وفي كل أحيائك .

حتى الاحتكاف لم ينقطع بانتهاء رمضان ، فالاحتكاف مشروع طيلة السنة .

**إخوتاه ..** بادروا بالأعمال الصالحة فطوبى لمن بادر عمره القصير ، فعمّر به دار العصور ، وغنياً لحساب الناقد البصير ، قبل فوات القدرة وإعراض النصير .

كان الحسن يقول : عجبته لأقوام أمروا بالزاد ، ونودي فيهم بالرحيل ، وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون !!

وكان يقول : يا ابن آدم ، السكينُ تُشحذ ، والتُّور يُسجر ، والكبشُ يُعتلف .

وقال أبو حازم : إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها في أوان كسادها ؛ فإنه لو جاء وقت تفاقمها لم تصلوا فيها إلى قليل ولا كثير .

وكان عون بن عبد الله يقول : كم من مستقبل يوم لا يستكمل ، وكم من مؤمل لغد لا يدركه ، إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره ؛ لأبغضتم الأمل وغروره .



وكان أبو بكر بن عياش يقول : لو سقط من أحدكم درهم لظل يومه يقول :  
إنا لله . . ذهب درهمي ، وهو بذهب عمره ولا يقول : ذهب عمري ، وقد  
كان لله أقوام يبادرون الأوقات ، ويحفظون الساعات ، ويلزمون بها بالطاعات .  
هذا القاف عمر رضي الله عنه ما مات حتى سرّ الصوم .

وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تسرد ، وسرد أبو طلحة بعد رسول الله  
أربعين سنة .

وقال نافع : ما رأيت ابن عمر صائماً في سفره ، ولا مفطراً في حضره .  
وقال ثابت البناني : ما تركت في المسجد سادنة إلا وختمت القرآن  
عندها .

وقيل لعمر بن هانئ : لا نرى لسانك يفتر من الذكر فكم تسبح كل يوم ؟ ،  
قال : مائة ألف ، إلا ما تخطى الأصابع .

وصام المنصور بن المعتمد أربعين سنة وقام ليلاً ، وكان الليل كله يكي ،  
فتقول له أمه : يا بني ، قلت قليلاً ؟ ، فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي .  
قال الجعاني : لما حضرت أبو بكر بن عياش الوفاة بكى أخيه ، فقال : لا  
تبك ، وأشار إلى زاوية في البيت ، إنه قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية  
عشر ألف ختمه .

كان بعض السلف يقول : صم الدنيا واجعل فطرك الموت ، الدنيا كلها  
شهر صيام المتقين يصومون فيه عن الشهوات المحرمات ، فإذا جاءهم الموت  
فقد انقضى شهر صيامهم واستهلوا عيد فطرهم .

وقد صمت عن لذات دغري كلها ونزمت لقاكم ذاك فطر صباي  
من صام اليوم عن شهواته أفطر عليها بعد معاته ، ومن تعجل ما حرّم عليه



قبل وفاته ؛ عوقب بحرمانه في الآخرة وفواته ، قال الله تعالى : ﴿ أَذْقَمَتْكُمْ مَبِيتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ﴾ (الأحزاب : ٢٠) .

كان الإمام علي يقول في آخر ليلة من رمضان : ليت شعري من هذا المقبول فنهيه ، ومن هذا المحروم فنعزيه .

وكذلك كان يقول ابن مسعود رضي الله عنه : من هذا المقبول منا فنهيه ؟ ، ومن هذا المحروم منا فنعزيه ؟

وكان المستند من ذلك أولاً أن قبول الأعمال غيب ، وأن غاية ما كان من سعي المكلفين إنما هو في تحصيل صور الأعمال ومظاهرها ، وأما المعول والذي عليه المدار في القبول ؛ إنما هو حقائق الأعمال ومقاصدها .

قلت شعري من هذا المقبول فنهيه ، ومن هذا المحروم فنعزيه ؟

إن ذلك غيب ، لا بدري أحد أين المقبول ؟ ، وأين المحروم ؟

واستفدنا كذلك أنه لا بد بعد انقضاء العمل من وقفة المحاسبة للنفس ، والنظر فيما كان فيه هذا العمل ، وهل وقع هذا العمل من الله تعالى موقع القبول ، أو كان هذا العمل في محل الرد والحرمان ؟

فاكتسبت النفس لذلك وجلاً بعدما ظنت انقضاء زمان السعي والمجاهدة ، جاءها زمان آخر . . زمان المحاسبة للنفس ، والمعاقبة على تقصيرها ، والمجاهدة لشكر نعم الله عز وجل عليها .

قال بعض السلف : كانوا يجتهدون في العمل الصالح ، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم : أيقبل منهم أم لا ، فما يفكرون من وجلهم وإشفاقهم في أثناء أعمالهم ، وما يذهب عنهم وجلهم ولا إشفاقهم بعد انقضاء تلك الأعمال ، لا يدرون قبلت منهم أعمالهم أم ذهبت تلك الأعمال في غير محل القبول ؟



واستفدنا كذلك من قول الصحابييين الجليلين أن لا يزال العبد واثقاً بباب الله ، فهذا المقبول لا يقتضي بعمله المقبول سعيه ، بل يقتضي هذا العمل المقبول سعيًا موصولاً في شكر نعمة الله عز وجل التي آتاه ، وفي القيام بحق الله عز وجل في التوفيق للعمل الصالح ، وفي مزيد التنعم بما أذاقه الله عز وجل من حلاوة الطاعة .

وكذلك ذلك المحروم ، لا ينقطع به الرجاء من ربه الكريم جل جلاله سبحانه وتعالى ؛ بل إن حرمانه ذلك يعني ذهاب جولة من جولات السعي بسبب سوء فعله ومرذول قصده ، فإذا حصل له التنبيه لذلك فلا بد أن تكون جولة سعيه الأخرى أحظن بالقبول وأرجى لاستحقاق رحمة أرحم الراحمين .

من هذا المقبول الذي أعين على الصيام والقيام ، وعلى إصلاح وظائف الأعمال من الصلوات المكتوبات والجمعات .

من هذا المقبول الذي أعين على وظيفة الصدقة ووظيفة تلاوة القرآن ، وختم له رمضان بالسداد في الأعمال الصالحات ؟

من هذا المقبول فنهيه ؟

### مقتضيات القبول :

#### أولاً : الانكسار لعظمة الله :

وتمتتنا له وتمتتنا إليه بفضل الله عز وجل الذي آتاه ، وأن ذلك يعني منه مزيد انكسار لعظمة الله ، وعرفان بنعمة الله عز وجل ، ومزيد سعي لشكران تلك النعم .

فمن أبي عمران الشيباني : قال موسى يوم الطور : يا رب . . إن أنا صليت فمن قبلك ، وإن أنا تصدقت فمن قبلك ، وإن أنا بلغت رسالاتك فمن قبلك ، فكيف أشكرك ؟ ، فقال الله تعالى لموسى : الآن شكرني .



فهذا قول الكليم . . . كليم الله عز وجل . . . وهو قول العارف بفضل الله العفو بإحسانه ، قال : يا رب ، إن أنا صليت فمن قبلك ، لا من سعي نفسي ، ولا من تحصيلها ، فلو وُكِّلْتُ إلى نفسي ، ولو وُكِّلْتُ النفس إلى ما فيها ، لما كان من العبد إلا العجز والتقصير ، والتواني والذنب ، والخطيئة والسيئات .

يا رب . . . إن أنا صليت فمن قبلك ، وإن أنا تصدقت فمن قبلك ، فكذلك ليس المال من تحصيلي ؛ بل هو من رزقك وفضلك وعطائك ، ولو شئت لم أكتسب شيئا من ذلك المال ، وقد أحضرت الأنفس الشح ، ونجيت على الإمساك والبخل ، فلو لا أن تجود علي بمساعدة شح نفسي ، ما كان مني صدقة ولا إنفاق .

يا رب ، إن أنا تصدقت فمن قبلك ، فليس لي من ذلك العمل أي شيء .

ويا رب ، إن أنا بلغت رسالاتك فمن قبلك ، فليس ذلك البيان ، ولا الشفقة على المكلفين ، ولا الإعانة على البلاغ ، ولا إيصال ذلك إلى قلوب المكلفين ، ولا حركة المكلفين بموجب ذلك ، وليس شيء من ذلك من سعي العبد ولا من تحصيله ؛ بل كل ذلك بفضل الله عز وجل وإحسانه .

وإن أنا بلغت رسالاتك فمن قبلك ؛ فكيف أشكرك ؟

فلو كانت الصلاة شكرا ، فما هي من سعيي ، والشكر فعل ينسب إلى العبد لا إلى صاحب الإنعام والإكرام .

وإن كانت الصدقة شكرا ، فهي كذلك من فضلك ؛ فليس ينسب إلى العبد شيء من ذلك .

وإن كان البيان عن الله والبلاغ لرسالاته شكرا ؛ فهو كذلك من الله عز وجل لا من المخلوقين .



ذهبت حيل السعاة في شكر الله ، وعجزوا عن شكر الله عز وجل على نعمه ، فأصبح إقرارهم بالعجز هو إعلانهم بالشكر لله عز وجل على نعمائه . فكان جواب الكريم للكليم : الآن شكرتني .

إقرارك بعجزك عن الشكر هو حقيقة ذلك الشكر ، فإن شكر نعمة الله عز وجل يكون بنعمة أخرى من الله عز وجل وفضل وإحسان ، يستوجب شكرًا آخر ، حتى يكون الشكر الآخر نعمة أخرى تستوجب شكرًا آخر ، وهكذا . فيقتضي الحال إلى الإقرار بالعجز ، والإعلان بالفصور ، وأن شكر نعمة الله عز وجل هو الإعلان بالعجز عن شكره .

### ثانيًا : شهود بثة الله :

فليت شعري من هذا المقبول فنهيه ، على فضل الله الذي آتاه ، وأن ذلك يقتضي الإعلان بشكر نعمة الله ، والإعلان بالعجز عن القيام بذلك ، وأن ذلك يقتضي مع تلك التهمة الالتفات للعمل والنظر إليه ، حتى يشهد بثة الله عز وجل فيما كان ، وحتى يرى تقصير نفسه في كل عبادة يرى فيها أوجه عجزه وأبواب قصوره وضعفه وتواثيه وتباطئه مع فضل الله عز وجل السابق ، وإحسان الله تعالى الغالب عليه .

### ثالثًا : مطالعة عيب النفس والعمل :

وتهمة المقبولين تعني التفاتًا إلى نعمة رب العالمين ، وتعني وجوعًا إلى هذه الأعمال التي كانت ، بالنظر إليها ، والتفتيش في أوجه القصور والنقص فيها ، وأنه كان ينبغي أن تكون هذه الأعمال أفضل مما تأدت ، وأن حق الله عز وجل أعظم من ذلك ، وأن حق خطايا هؤلاء المقبولين وسيئاتهم يقتضي عملاً أكثر ، فما يُزيل أدران قلوبهم أضعاف أضعاف ما قدموا ؛ بل إن هذه السيئات والعيوب



تقتضي منهم شيئاً موصولاً وعبادة غير منقطعة وشغلاً دوماً بذكر الله عز وجل ومحبة إلى السموات ، لا يقوم حق الله عز وجل بدون ذلك .

فليت شعري من المقبول ؟ ، حتى يستحق تلك التهاني ، ويثاب مع تلك التهاني تنبيهات على سعيه .

### رابعاً : استقامة القلب :

ليت شعري من هذا المقبول فنتيه ؟ ، حتى تكون تهنتنا له على ما نال قلبه من ذل الله عز وجل وتعظيم لأمره ، وانكسار من ذلك القلب ، ورقة على الخلق لاستديم ذلك الحال ، وليتحول إلى شخص آخر بعد منحة الله عز وجل له في رمضان ، وعطائه إليه وإحسانه .

### خامساً : الثبات على العمل الصالح :

ليت شعري من المقبول فنتيه ؟ ، بأن يرجو موسم رمضان آخر بينهما عبادة موصولة ، وشغل بالله عز وجل وطاعته وخدمته ومحبة ، شغل دائم غير منقطع .

ليت شعري من هذا المقبول فنتيه ؟ ، حتى تكون تهنتنا له سبباً لثباته على ما وثقه الله عز وجل له من العمل الصالح .

فما ينقضي مع انقضاء رمضان صيامه . .

وما يذهب مع ذهاب ليالي رمضان قيامه . .

وما يعود إلى ما كان منه من وحشة بينه وبين مصحفه وورده قرآنه . .

ليتحول إلى شخص مقبل بالنبي ﷺ « فقد كان عمله ﷺ ديمة »<sup>(١)</sup> .

(١) متفق عليه ، البخاري (١٨٨٦) ، مسلم (٧٨٢) .



وأخبر ﷺ : « إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل أدومها وإن قل »<sup>(١)</sup> ، فأحب العمل أدومه وإن قل ، فيكون تهتنا للمقيولين سبباً لدوامهم على ما أنامهم الله عز وجل من أسباب الترفيق ، فيقتدون في ذلك بسنة النبي ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

### تهانينا . . تهانينا

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن لا تفتخر ، إنما قبلت بشرفيق الله ، وتسدّد الله ، وفضل الله ورحمته ، وليس منك ؛ فليتعلق قلبك بالله شكراً لله .

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن لا تفرح بعملك ؛ فإن الله يستحق أكثر من ذلك .

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن احرس قلبك حتى لا تضعي لذة الطاعة التي حصلتها في رمضان .

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن احذر المشي والقعود مع البطالين والاعتذار .

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن اعلم أن علامة القبول الازدياد كل يوم من الطاعة .

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن سل نفسك : هل قوة الاندفاع للعبادة ضعفت عندك أم لا ؟

أيها المقبول ، **تهانينا** ؛ ولكن هل لو مت الآن ستجد الله راضياً عنك .

(١) مثنى عليه ، البخاري (٦٠٩٩) ، مسلم (٧٨٢) .



أيها المقبول ، **ثانيًا** ، ولكن هل نفسك : هل عملي يلتمني أعماله الجنان  
أم يكفي لمجرد تجاتي من النار ؟

أيا المقبول ، **ثانيًا** ، ولكن احذر الفتور والعود عن طاعة الله .

أما المقيول ، **هانيئا** ، ولكن إذا لعبت أو لهوت بعد رمضان فهذه علامة الخسران .

أيها المقبول ، **هنا** ، ولكن احذر أن يعود قلبك لنفساوته بعد أن انجلت في رمضان .

أما العقول ، **فإننا** ؛ ولكن احذر أن تهدم ما بنيت ، وتعيث فيه وسهرت من أجله .

أيها المقبول، **هنا هنا**؛ ولكن احذر أن تكون مضاتيًا، تتعامل مع الله شهرةً وتتركه أحد عشر.

أيها المقبول ، **تهانينا** ، ولكن احذر أن تزوغ بقلبك بعد أن دفعت وعرفت ،  
حتى لا تثبت على نفسك الحجة يوم القيامة .

أيها المقبول ، **هاتينا** ؛ ولكن اعلم أن واجب الشكر لله يحتم عليك أن تشكر نعمة الطاعة التي وفقك الله إليها وأعانك عليها بالعمل ، قال تعالى : ﴿ اذْكُرُوا لِلّٰهِ اِلَاقًا مَّا لَكُمْ مِنْهُ نِعْمَةٌ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

أيها المقيول ، **هانيئا** ! ولكن لا تُهِنُ نفسك بعد أن أكرمك الله بالعبودية له وحده .

أيتها المقبول، **هاتيناه** ولكن احذر أن تعصي ربك وتهجر كلامه .

أليها المقبول ، **ثانيًا** ، ولكن احذر جهود العين وسوء الأخلاق .



أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن احذر تضيق الأوقات ، فكما كنت حريصاً على الوقت في رمضان حافظ عليه بعد .

أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن حافظ على الشحنة الإيمانية الكبيرة التي معك وزد عليها ولا تنقص .

أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن هل أنت حزين بانتهاء الشهر أم فرحان ؟

أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن أريدك أن تقارن بين قلبين : قلبك في رمضان ، وقلبك بعد رمضان .. انظر وتأمل .

أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن سل نفسك : هل أنا بعد رمضان مقلّ على الدنيا بقلبي وعقلي أم أن الآخرة مازالت أكبر همي ؟

أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن احذر أن ينتهي الصيام بانتهاء رمضان .

أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن السعيد من استعد ليوم العيد .

أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن احذر من الاعتماد على ما قدمت ؛ فإن من يحب مولاه يواصل السير إليه .

أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن احذر الالتفات والمكر ؛ فإله معك يسمعك ويراك .

أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن اعلم أن الحقيقة ، حقيقة القلب لا الظاهر فحسب ، قال تعالى : ﴿ وَذِكْرُكُمْ أَكْبَرُ فَمَا فِي مَنُوبِكُمْ ﴾ إِنَّ تَكُونُوا سَابِقِينَ فَإِنَّمَا كُنَّا فِي الْأَوَّلِينَ صَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٥] .

أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن احذر ضياع القوى التي حصلتها .

أيها المقبول ، **هائيتنا** ؛ ولكن احذر أن يقال لك : تعازينا ..



وليت شعري من هذا المحروم فتعزیه ؟

حتى يرى أن مصيبة الدين أعظم من مصيبة الدنيا ، وأن الضر الذي يكون في عمله الصالح ينبغي أن يكون أشد عليه من ضره في يده أو ماله ، وأنه مهما أصابه من مصائب الدنيا ، فحق جيرانها وتمويضها مضمون ، وأما مصيبة الدين فحفظه من الله عز وجل قد ذهب ، وحفظه من الآخرة قد ولّى .

مقتضيات الحرمان :

فليت شعري كيف يستدرك ذلك ، وقد فات وذهب بذهاب أيامه وأزماته ؟

أولاً : الإقرار بظلمه لنفسه :

ليت شعري من هذا المحروم فتعزیه ؟ ، وكلنا ذلك المحروم ، حتى يعلم أن ما أصابه بكلية ومردول عمله وسبباته في قصده ووجهته ، وأن ذلك مع إحسان الله عز وجل وفضله غير لائق منه ، وغير مناسب لعقله وإيمانه ، وأن الله تعالى لم يظلمه شيئاً ، ولكن ظلم نفسه .

قال سبحانه في الحديث القدسي : « يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوليكم بها ، فمن وجد غيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »<sup>(١)</sup>.

ثانياً : التنبه لشوم السيئات :

ليت شعري من هذا المحروم فتعزیه ؟ ، ويعلم أن هذه السيئات والتفريطات إنما هي نتائج سابق السيئات والتفريطات ، وأن جزاء الحسنات التوفيق لحسنات بعدها ، وأن عقوبة السيئة الخذلان حتى يقع في سيئة تلوها وتكون بعدها .

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) .



### ثالثًا : لزوم الوقوف بالباب :

ليست شعري من هذا المحروم حتى نعزيه ؟ ، ويكون عزائنا أن فضل الله عز وجل الواسع يقتضي لزوم الوقوف بالباب ، ألا يفارق العبد باب ربه مهما كان من ظلم العبد أو سوء فعله ، فلا يزال من الله عز وجل الكرم والجود ، وإن كان من العبد البخل والإسك ، ولا يزال من الله عز وجل الإحسان والعطاء ، وإن كان من المكلفين الإساءة وسوء الفعل .

### رابعًا : لزوم التوبة :

ليست شعري من هذا المحروم فتعزيه ؟ ، ويعلم أن الله عز وجل يسط يده بالله ليتوب مسيء النهار ، ويسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس في مغربها ، ويعلم أن باب الله عز وجل لا يزال مفتوحًا ، وأن الله تعالى لا يرد توبة التائب ، الله عز وجل أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم وقع على يديه وقد أضل في أرض فلاة<sup>(١)</sup> .

فلا تزال التوبة متاحة ما لم تبلغ روحك أيها المحروم حلقومك ، فمتى أمدك الله عز وجل وأفصح في أجلك فلا تزال مدة تراجعك قائمة ، لا يزال أمر توبتك لازماً غير معفي أنت منه .

### خامسًا : إصلاح العمل :

ليست شعري من هذا المحروم فتعزيه ؟ ، حتى يعلم أنه لا بد له من أن يصلح عمله ، حتى يكون عمله ذلك بالثبة الخالصة لرب العالمين . .

وحتى يكون عمله ذلك وفق سنة النبي ﷺ . .

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٤٩) ، مسلم (٢٦٧٥) .



وحتى يكون عمله ذلك خالبا من آفة الغرور وآفة العجب ، فلا يرى عملا يُعجب به ؛ بل يرى فضل الله الذي يستوجب انكساره وذلة لربه ، وإعلانه بالعجز عن شكره ، ولا يرى نفسه التي تأدى منها العمل ، بل يرى نفسه التي هي أسباب القصور في العمل والعجز عن القيام بحق الله تعالى .

### سادسا : إنما يتقبل الله من المتقين :

قال علي رضي الله عنه : « كونوا لقبول العمل أشد منكم اهتماما بالعمل ، ألم تسموا الله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقال بعضهم : لأن أكون أعلم أن الله يتقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقال بعضهم : كانوا يدعون الله عز وجل ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أخرى أن يتقبل منهم رمضان .

كل ذلك يعني أن رمضان بذهاب أيامه لم ينقض ، وأن وظائف رمضان لا تزال قائمة ، وأن ما كان من عمل في رمضان فلا يزال يتأدى على المكلفين ويستجيب اهتمامهم بقبول ذلك العمل ، بعدما رقع منهم العمل ، فقد كانوا يجتهدون في العمل الصالح ، فإذا نعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا ، وكان خوفهم ألا يقبل منهم عملهم أشد عليهم من العمل نفسه ، فما يلعب بذهاب مواسم الطاعات الإقبال على الله عز وجل ، ولا الاهتمام بالأعمال الصالحات .

بل إذا ذهب مواسم الطاعات ؛ بقي بعد ذلك استكمال حرق هذه الطاعات ، واستتمام ما يكون من لوازمها ، من النظر فيها ، والتفكير في آفاتنا ، والحذر من إفسانها ؛ حتى نكون أبعده عن الرياء .



## تعازيننا .. تعازيننا

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ أيها المحروم جَبَّرَ اللَّهُ مَصِيبَتَكَ ؛ ولكن لم تنته الدنيا بانتهاء رمضان وما زال في العمر بقية ، وما زال ربنا جل جلاله يسطر يده بالنهار ليشرب مسيء الليل ، ويسطر يده بالليل ليشرب مسيء النهار ، فكتب وقد قاب الله عليك .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن لا تيأس : ﴿أَلَا تُحِشُّونَ أَنَّ بُغْيَرَ اللَّهِ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] ، إذا كان في الصوم دعوة مستجابة ؛ ففي كل ليلة ربك يقول في الثلث الآخر : «هل من سائل فأعطيه» ، ما زالت أمامك فرصة لم تته ، القضية أنك لن تُحْدَثَ في جهنم مادمت مُوَحِّدًا ، ما زالت أمامك فرص .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن قف لتنظر من أين أتيت ، لم تُحْدِلت ، هم أنكست ، لا شك أنه من عند نفسك ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْقَاسِدِ﴾ [الصافات: ٤٦] ، الفرص كانت أمامك متاحة وأنت حْدَلت نفسك ، أنت أوكست نفسك ، ﴿وَمَا عَلَّمْتَهُمْ وَلَٰكِن كَلَّمْنَا مِمَّنْ أَقْلِيلٍ﴾ [الزمر: ٢٦] ، فلذلك قف لتخلص من النفس الأمارة بالسوء ، قف لتأمل كيف ضاع منك رمضان كما ضاع مئين ، قف فالمرء لا يُلْدَغُ من نخحرٍ واحدٍ مرتين .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن إن كان قد ضاع منك رمضان ؛ فإن الله الحي باقي معك على الدوام ، يدعوك للإقبال عليه والإنابة إليه ؛ فأقبل تُقبل .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن اعلم أن أبواب الرحمة مفتوحة طوال العام ، قال رسول الله ﷺ : «إن الله يقبل توبة العبد ما لم تطلع الشمس من مغربها»<sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٣) .



أيها المحروم ، **نعازيننا** ؛ ولكنك لازلت حيًا تستطيع أن تستدرك ما فاتك ؛ بالتوبة والعزم على استغلال رمضان القادم من الآن ؛ فاستعد .

أيها المحروم ، **نعازيننا** ؛ ولكن اعلم أن مواسم الطاعة متنوعة وكثيرة ، ومن فضل الله علينا أنها في كل شهر ، فبعد رمضان ست من شوال ، ثم عشر من ذي الحجة ، ثم الحج ، ثم شهر المحرم ، وهكذا مواسم وطاعات طوال العام .

أيها المحروم ، **نعازيننا** ؛ ولكن أمامك صيام الاثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر ، رقيام إحدى عشرة ركعة يوميًا ، والصدقة ، وقراءة القرآن وغير ذلك ، فهي أبواب للخير في رمضان وغيره ؛ فاقبل ولا تحزن .

أيها المحروم ، **نعازيننا** ؛ ولكن حاول أن تقوم بعمرة في الفترة القادمة ؛ لتعرض ما فاتك وتحببه .

أيها المحروم ، **نعازيننا** ؛ ولكن لا تخف ولا تحزن ؛ فالكريم سبحانه شكور يشكر على القليل ، ثم ينمي ، ولكن بشرط الإخلاص .

أيها المحروم ، **نعازيننا** ؛ ولكن اقتنص كل فرصة بعد ذلك تأتيك في طاعة الله .

أيها المحروم ، **نعازيننا** ؛ ولكن قل : قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فعل ، وتعلم من أخطائك حتى تتقدم بعد ذلك .

أيها المحروم ، **نعازيننا** ؛ ولكن في لحظة تستطيع أن تكون وليًا حقًا . . . تقيًا حقًا ، بالتوبة والإقبال على الله ، والندم على ما فات ، والعزم على الإصلاح .

أيها المحروم ، **نعازيننا** ؛ ولكن لا تيأس ؛ فإنه ﴿لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رَفِيعِ السَّمَوَاتِ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف : ٨٧] .

أيها المحروم ، **نعازيننا** ؛ ولكن معك سلاح قوي تستطيع أن تفتح به كل مغلق وهو الدعاء ؛ فالزم التضرع والافتقار .



أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن نندمك على ما فاتك يُرضي الله عنك  
فيرحمك ، فأبشر مادمث نادماً عازماً .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن أبشر فانت مسلمٌ موحدٌ تصلي وتذكر الله  
وتحب نبيك محمداً ﷺ ، فيرجي لك ومنك الخير .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن حاول مرة أخرى ، وتأس بالنمل ، المخلوق  
الضعيف الذي يحاول مرات ومرات ، حتى يسلك الطريق الذي يريد .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن أبشر ؛ فإن لك رباً هو الله ، الغني القوي  
الحثان الثنان الملك الرحمن الرحيم الودود اللطيف يقول : «من تقرب مني  
شبراً تقربت إليه قراعاً» .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن أبشر بجنة عرضها السموات والأرض إن  
استممت وعُذت إلى الله .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن لازالت معك الجوهرة العظيمة ، والمعجزة  
الخالدة ، تراها وتمسكها بيدك : القرآن الكريم ، فاصعد به وأثله ليلاً ونهاراً .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن أبشر وتعامل بندمك وتوبتك وتحسرك على  
ما فات منك ، فتلك علامة صحة قلبك ، وادع الله أن يبلغك الخير .

أيها المحروم ، **تعازيننا** ؛ ولكن انتظر أن تقول لك : عبايننا .

ليت شعري من المحروم فتعزيه ؟ ، حتى يحبس نفسه على طاعة الله  
ويمنعها من مآلوفاتها ومحبوباتها وشهواتها ، ويعلم أن ذلك الحرمان إنما أصابه  
لاستغراقه في تحصيل شهواته ، ولتركه سنن النبي ﷺ حتى قعدت به عاداته  
ومآلوفاته عن فوزٍ عظيم . يا حيرة على ما فاتته !! .

من صام رمضان وهو يعزم إذا ذهب رمضان أن لا يعصي الله تعالى ؛ فإنه



مقبولٌ بغير حساب ولا عذاب ، ومن صام رمضان وهو يعزم إذا ذهب رمضان أن يعصى الله تعالى ، فصومه مردود عليه ، وعمله غير مقبول منه .

فليت شعري من هذا المحروم فنعزبه ؟ ، حتى يكون عزاؤنا له إلزاماً له ببداية توبته واستكمال استقامته ، وحذره من أن لا يأتيه رمضان آخر ، حتى يكون ذلك تحذيراً له من أن يأتيه الموت بغتة ، ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِهَتَرَكُ عَلَى مَا قَرَّمْتُ فِي جَنِّ آلِهَةٍ وَإِنْ كُنْتُ لِيَنَّ الشَّيْخِيَّةَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لِيَنْ تَرَى الْمَلَائِكَةَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً مَا كَرَرْتُ مِنَ الْمُتَعِينِينَ ۝﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ تِلْكَ مَآبِقِي فَكَذَّبْتُ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتُ وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿ [الزمر: ٥٦-٥٩] .

### وقد يسأل : كيف أعرف أنني من المقبولين ؟

والجواب والله أعلم :

(١) أن يجد قلبه أقرب إلى الله ، وأنس به وأحب إليه ، فهذه ثمرة الطاعة وعلامة القبول .

(٢) أن يحب الطاعات ويقبل عليها ، ويشعر أن أبوابها تتفتح له ويسر له فعلها ، ويشعر أن أبواب المعاصي تغلق عنه ويصرف عنها ، ويكرهها ويستكف عن فعلها .

(٣) أن لا يفقد الطاعات التي كان يقوم بها في رمضان ، بل يواظب عليها ، بل ويستحدث بعد رمضان أعمالاً لم تكن له قبل رمضان .

(٤) أن لا يعود إلى الذنوب التي تاب منها في رمضان ، فقد تكلم العلماء لِمَنْ تاب من ذنب ثم عاد إليه ، أن هذا دليل على أن توبته لم تقبل ؛ لأنها لو قبلت لما عاد إلى الذنب مرة أخرى ، لذلك ثبت في الحديث أن «من أساء في



الإسلام اخذ بالأول والآخر<sup>(١)</sup>، أي عوقب بذنوبه السابقة أيضًا؛ لأن في الإساءة بعد التوبة حبوط للتوبة، ولعل من أسرار هذا، الأمر بالعمل الصالح بعد التوبة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُقْبَلُ أَلَّهُ سَعَاتِهِمْ حَسَنَاتٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، ﴿وَلَوْ لَفُتَدَّرَ لَمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أُنْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، وقال رسول الله ﷺ: «واتبع السيئة الحسنة تمحها»<sup>(٢)</sup>، فاشتراط العمل الصالح بعد التوبة حزم في منع الرجوع إلى الذنب.

#### (٥) استشعار العنة، وعدم الإدلال بالعمل:

قد يبتلى العبد بعد رمضان بشعور غامر أنه أدنى ما عليه، وحبس نفسه في رمضان عن أشياء كثيرة مما يشتهي، فتجده يوم العيد عاصيًا ١١، وهذه من علامات عدم القبول، أن ينقلب على عقبيه بعد رمضان مباشرة، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنُيَخِّرَنَّ اللَّهُ عَنْهُ أَجَلَهُ وَسَيُجَنَّبِيهِ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ولذلك من علامة القبول أن تجده خائفًا على العمل وجلًا ألا يتقبل، مستشعرًا فضل الله ونعمته عليه، متحدثًا بذلك، شاكرا لأنعم الله، مواصلا للذكر.

(٦) ذكر ابن رجب - عليه رحمة الله وبركاته - أن من علامات قبول رمضان: صيام ست من شوال، وذكر لصيام الست فوائد عظيمة لا يستطيع أن أغفلها، فخذها هنيئًا مريئًا، وانفرح إن صمت الأيام الست بهذه النيات، ولعل فعمك لهذه النواتد وعملك بها رزق ساقه الله إليك لقبلك، فيها أيها المقبول أبشر بعد أن تعمل:

(١) متفق عليه، البخاري (٦٥٢٣)، مسلم (١٢٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٣/٥)، وحسنه الألباني (٩٧) في «صحيح الجامع».



### قوائد صيام ست من شوال بعد رمضان :

(١) تحصيل ثواب صيام الدهر : وذلك أن صيام الدهر -والله يجزي على الحسنة عشر أمثالها - يعني أن يكتب للعبد صيام عشرة أشهر مقابل صيام شهر رمضان ، ويكون صيام الستة أيام قائما مقام ثواب صيام شهرين آخرين ، فيكون العبد بذلك قد استكمل ثواب صيام دهره .

(٢) صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها ، فيكمل بذلك ما حصل في الفرائض من خلل ونقص ، فإن الفرائض تكمل بالتوافل يوم القيامة ، كما ورد عن النبي ﷺ من وجوه متعددة ، وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل ، فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال ؛ ولهذا نهى النبي ﷺ أن يقول الرجل : صمت رمضان كله أو قمت رمضان كله ، قال الصحابي : لا أدري أكره التزكية ، أم لا بد من غفلة .

وكان عمر بن عبد العزيز رحمته الله يقول : من لم يجد ما يتصدق به فليصم ، يعني من لم يجد ما يخرج صدقة للفطر في آخر رمضان فليصم بعد الفطر ؛ فإن الصيام يقوم مقام الإطعام في تكفير السيئات ، كما يقوم مقامه في كفارات الأيمان وغيرها من الكفارات .

(٣) معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صيام رمضان ؛ فإن الله تعالى إذا قبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده ، كما قال بعضهم : ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها ؛ كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى ، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة ، كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها ، فمن رام أن يعلم مدى قبول عمله من ذلك ، فليعود نفسه على الصيام والقيام من جديد حتى يكون صيامه الثاني علامة قبول صيامه الأول ، وحتى يكون قيامه الآخر علامة على قبول قيامه السابق عليه .



من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها ، فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى ، وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية . . ما أحسن الحنة بعد السيئة تمحوها ، وأحسن منها الحنة بعد الحنة تلتوها ، وما أقيع السيئة بعد الحنة تمحقها وتعفوها . . ذنب واحد بعد التوبة أقيع من سبعين ذنبا قبلها ، النكسة أصعب من المرض وربما أهلكت ، سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات ، وتعودوا به من تقلب القلوب ، ومن التحوّر بعد الكوّر ، ما أرحس ذل المعصية بعد عز الطاعة ، وأفحش فقر الطمع بعد غنى الفساعة .

(٤) صيام رمضان يستوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب ، وأن الصائمين لرمضان يوقون أجورهم في يوم الفطر ، وهو يوم الجوائز ، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرا لهذه النعمة ؛ فإن شكر النعمة إنما يكون بفعل من جنبها ؛ حتى يكون الصيام نعمة تستوجب شكرا بصيام آخر ، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب ، ألم تر أن رسول الله ﷺ يقوم حتى تنفطر قدماءه ، فيقال له : تفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ، فيقول ﷺ : «أفلا أكون عبدا شكورا»<sup>(١)</sup> ، فكان قيامه ﷺ ذلك القيام الطويل حتى تنورم قدماءه . . ثم حتى تنفطر قدماءه . . ثم حتى تشقق قدماءه بعد نورمها ، كل ذلك شكرا لله عز وجل على مغفرته لذنوبه .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره ، وغير ذلك من أنواع شكره فقال : ﴿وَلْيُكْفِرُوا الْوَيْدَةَ وَلْيُكْفِرُوا اللَّهَ عَلَى مَا قَدَرْتُمْ وَلْيُكْفِرُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانتة عليه ، ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكرا عقيب ذلك .

(١) متفق عليه ، البخاري (١٠٧٨) ، مسلم (٢٨١٩) .



كان بعض السلف إذا وَفَّقَ لقيام ليلة من الليالي ؛ أصبح في ثوبها صائماً ،  
ويجعل صيامه شكراً للتوفيق للقيام .

وكان وهيب بن الورد يُسأل عن ثواب شيء من الأعمال كالطواف ونحوه  
فيقول : لا تسألوا عن الثواب ، ولكن سلوا ما الذي على مَنْ وَفَّقَ لهذا العمل  
من الشكر ؛ للتوفيق والإعانة عليه .

كل نعمة على العبد من الله عز وجل في دين أو دنيا تحتاج إلى شكر عليها ،  
ثم التوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان ، ثم التوفيق للشكر  
الثاني نعمة أخرى يحتاج إلى شكر آخر ، وهكذا أبداً فلا يقدر العبد على القيام  
بشكر النعم ، وحقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر .

(٥) أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تنقطع  
بانقضاء رمضان ؛ بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حياً ، وهذا معنى  
الحديث أن الصائم بعد رمضان كالكاثر بعد الفار ، يعني كالذي يفر من القتال  
في سبيل الله ثم يعود إليه ، وذلك لأن كثيراً من الناس يفرح بانقضاء شهر  
رمضان ؛ لاستئصال الصيام وملله وطوله عليه ، ومن كان كذلك فلا يكاد يعود  
إلى الصيام سريعاً ، فالعائد إلى الصيام بعد قطره يوم الفطر يذل عوده على  
رغبته في الصيام وأنه لم عمله ولم يستقله ولا تكرر به .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «أحب الأعمال إلى الله التحال  
المرحل»<sup>(١)</sup> ، وقسر بصاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره ، ومن آخره إلى  
أوله ، كلما حل ارتحل ، والعائد إلى الصيام سريعاً بعد فراغ صيامه ، شبيهة  
بقارئ القرآن إذا فرغ من قراءته ثم عاد إليه ، في المعنى ، والله أعلم .

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٤٨) ، وضعفه الألباني (١٦٣) في «السلسلة الضعيفة» .



(٦) في صيام هذه الأيام الستة من شوال استدراك لما فات العبد من وظائف الصيام ، من وظائف إصلاح نفسه ، وإقامتها على أمر الله عز وجل ، ومن الوظائف المرجوة كذلك من الصيام من الإحسان إلى الفقراء ، ومن إدراك نعمة الله عز وجل في الأموال ، ومن شكر نعم الله عز وجل ، ومن تحلي العبد للذكر والفكر ، فإن شأنه في الفطر أن يكون مشغولاً عن الذكر والفكر ، والصيام معين له على ذكر الله عز وجل والتشكر في آخرته .

(٧) في صيام أيام شوال إعلان ببقاء وظائف العبادة ما بقي العبد دهره ؛ فليست تذهب مع المواسم الطاعات ؛ بل إن ذهبت المواسم فلا يزال الله عز وجل أهل العفو وأهل المغفرة ، ولا تزال مغفرة الله عز وجل وعفوه يَرْجَوَان بالعبادة من الصيام والقيام ، فما تنقضي أهد الدهر وظيفته الصيام ، وما تنقضي مدة حياة العبد وظيفته القيام وتلاوة القرآن .

(٨) في صيام هذه الأيام من شوال ، وفي إتباعها رمضان من غير مهلة ولا تراخ ، إعلان بعدم سائمة العبد من العبادة ، وأنه لم ينتظر ذهاب رمضان وانقضائه ، وأنه ما ملّ وقوفه بباب ربه ، وما سئم التعرض لفضله وعطائه ونواله ، وأنه لا يزال باقياً مُصِراً ، باقياً على وظيفته العبادة ، مصراً على التعرض لفضل الله عز وجل وعطائه .

### سألة قضاء رمضان أولاً أم ست من شوال ؟

عن أم سلمة أنها كانت تأمر أهلها : من كان عليه قضاء من رمضان أن يقضيه الغد من يوم الفطر ، فمن كان عليه قضاء من شهر رمضان قليلاً بقضائه في شوال ؛ فإنه أسرع لبراءة ذمته ، وهو أولى من التطوع بصيام ست من شوال ، فإن العلماء اختلفوا فيمن عليه صيام مفروض ، هل يجوز أن يتطوع قبله أم لا ؟ ، وعلى قول من جوز التطوع قبل القضاء فلا يحصل مقصود صيام ستة أيام من شوال إلا لمن أكمل صيام رمضان ، ثم أتبعه ستاً من شوال .



فمن كان عليه قضاء من رمضان ثم بدأ بصيام ستٍّ من شوال تطوعاً لم يحصل له ثواب من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال ؛ حيث لم يكمل عدة رمضان ، كما لا يحصل لمن أفطر رمضان لعذر بصيام ستة أيام من شوال أجز صيام السنة بغير إشكال .

ومن بدأ بالقضاء في شوال ، ثم أراد أن يتبع ذلك بصيام ستٍّ من شوال بعد تكملة قضاء رمضان كان حسناً ؛ لأنه يصير حيث شئت قد صام رمضان وأتبعه بست من شوال ، ولا يحصل له فضل صيام ستٍّ من شوال بصوم قضاء رمضان ؛ لأن صيام الست من شوال إنما يكون بعد إكمال عدة رمضان .

### ومن علامات القبول أيضًا :

١- إذا كنت بعد رمضان تسارع إلى الطاعات محباً لها ، وترك المعاصي أنفةً منها ؛ فتلك من علامات القبول ، وإذا رأيت أبواب الخير تفتح لك مثل البكاء ، ورقة القلب ، والسهر ، وقلة النوم فهذه من ثمرات رمضان أيضًا ، كما هي في رمضان أو أزيد ، فهذه من علامات القبول .

٢- إذا كنت بعد رمضان أفضل مما كنت عليه قبل رمضان ، وتستشعر أن لك قلباً جديداً ينبض بحب الله ، وتحس أنك تحب ربك أكثر ، وتحب ذكره والقيام بين يديه ، وتحب شكره وتحب الإقبال عليه ، فهذه من علامات القبول .

### حراسة الطاعات :

ثم إنه أيها الأحبة في الله إذا كان حثي كل عمل إذا صُحِبَ بالإخلاص ، فكانت النية فيه غير مشوبة برياء أو سمعة ؛ كان لا بد في ذلك العمل من حراسة له ؛ حتى لا يتطرق إليه ضروب من ضروب الخلل .



## **والحراسة تكون :**

### **أولاً : بالحذر من الإدلال بالطاعة :**

أول ذلك حراسة ذلك العمل من أن يحصل من العبد به من على الله عز وجل ، أو على خلفه ، فما يرى ذلك العمل حتى ينتظر حقاً ينقضاء من الخلق ، أو شيئاً يوجب له شيئاً آخر من الرب عز وجل ، فهو وإن كان ثم عمل ، فلا يزال يرى نفسه أقل إخوانه وأكثرهم ذنباً وأشدهم عيوباً ، فما له عليهم حق ينقضاه بعمله .

وهو كذلك لا يُدِلُّ بذلك العمل على ربه ، لا يرى أنه صنع شيئاً له على الله عز وجل به حق أو ذلال ، بل يرى ذلك العمل نعمة الله عز وجل التي تستوجب منه شكراً آخر ، وسعيًا موصولاً ، واجتهاداً غير منقطع إلى الممات .

### **ثانياً : بالحذر من العجب :**

حق العمل بعد انقضائه الحذر من أن يدرك النفس به عجب ، ودفع العجب بشهود منة الله عز وجل عليك ، وتقصير نفسك ، فتندفع رؤيتك لملكك ، حين تكون مستغرقاً بروية نعمة الله عز وجل لا بروية عملك .

### **ثالثاً : بالحذر من الغرور :**

وحق ذلك العمل بعد انقضائه حذر النفس من الغرور ، فغرورها مبني على نسبة ما كان من السعي لكسبها ، ومن العمل لتحصيلها ، وهي نسبة كاذبة غير صحيحة ، فما كان من سعي أو كسب ، فذلك فضل الله عز وجل ، عطائه ومنته ، إحسانه وجوده ، لا نسبة لشيء من ذلك للعبد ألبتة .

### **رابعاً : بالمداومة على الطاعات :**

وحق ذلك العمل بعد انقضائه أن يعلم المرء أن علامة قبوله إنما هي



التوفيق لنظائره وأمثاله بعد انقضائه ، وأن يعلم أن انقضاء موسم ذلك العمل يعني استجماع عدوه قوته في حبه عن المزيد من ذلك العمل ، حتى يجمع العدو اللعين كل الموانع والقواطع عن الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، فيحصل بعد رمضان انحدار شديد لما كان من الأعمال الصالحة بنهاها وفواتها .

### خامساً : بالاستعانة بالله لدفع الشواغل :

فحتى تلك الأعمال التي أوتيتها وأعانكم الله عليها أن تحذروا لها من مكاييد العدو المتربص بها ، حتى إذا جمع الشواغل ، وكثر الهموم والموانع والقواطع ؛ كان عندكم من استعانتكم بالله عز وجل ، واستعدادكم لقوته ، كان عندكم من ذلك ما يدفع الشواغل والموانع والقواطع ، وإلا فإن أي استسلام لذلك يعني ذهاب رمضان وانقطاعه بأعماله الصالحات ، ويعني رجوع العبد إلى مردول عاداته وسنن مألوفاته التي هي حبس عن الله عز وجل ، وانقطاع عن التعبير إليه ، وتقصير في تحصيل أسباب النجاة .

### إخوتاه ..

اعلموا أن الراحة لا تُنال بالراحة ، ومعالي الأمور لا تُنال بالفثور ، ومن زرع حصداً ، ومن جد وجد .

لله ذر أقوام شغلهم تحصيل زادهم عن أهاليهم وأولادهم ، ومال بهم ذكر المال عن المال في معادهم ، وصاحت بهم الدنيا فما أجابوا شغلاً بمرادهم ، وتوسدوا أحزانهم بدلاً من وسادهم ، واتخذوا الليل مسلماً لجهادهم واجتهادهم ، وحرسوا جوارحهم من النار عن غيهم وفسادهم .

أقبلت قلوبهم ترعى حق الحق ؛ فذهلت بذلك عن مناجاة الخلق .

فالأبدان بين أهل الدنيا تسعن ، والقلوب في رياض الملكوت ترعى .



تأزلهم الخوف قصاروا واليهين ، وناجاهم الفكر فعادوا خائفين .  
 وجن عليهم الليل فباتوا ساهرين ، وناداهم منادي الصلاح : حي على  
 الفلاح ، فقاموا متجهين .  
 وهبت عليهم ريح الأسحار فثبقتوا مستغفرين ، وقطعوا بند المجاهدة  
 فأصبحوا واصلين .  
 فرجعوا وقت الفجر بالأجر .. فيا خيبة النادمين .

### إخوتي في الله ..

إن عمل الصالحات لا ينقطع عنك ما دامت فيك روح .. فعل الطاعات  
 لا ينفذ عنك ما دام يتردد فيك نفس .. وأيما وجدت خيراً فسارع إليه  
 وشارك .. اللهم ارزقنا فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ،  
 وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين .. ربنا آتنا في الدنيا حسنة ،  
 وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .. اللهم خذ بنواصينا إلى ما نحب  
 وترضى ؛ إنك على ما نشاء قدير .. وبالإجابة جدير .

### إخوتاه ..

هذه الشهور والأعمال والليالي والأيام كلها مقادير للأجال ، ومراقبت  
 للأعمال ، ثم تنقضي سريعاً ، ونعطي جميعاً ، والذي أوجدناها وابتدعها  
 وخصها بالفضائل وأودعها باقٍ لا يزول ، ودائم لا يحول ؛ هو في جميع  
 الأوقات إله واحد ، ولأعمال عباده رقيب شاهد .

فسبحان من قلب عباده في اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم ؛ ليسبح  
 عليهم فيها قواضل النعم ، ويعاملهم بتهاية الجود والكرم .

لما انقضت الأشهر الثلاثة الكرام التي أولها الشهر الحرام ، وآخرها شهر



الصيام ؛ أقبلت بعدها الأشهر الثلاثة ، أشهر الحج إلى البيت الحرام ، فكما أن من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه ؛ فمن حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه .

فما ينضي من عمر المؤمن ساعة من الساعات إلا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات ؛ فالعزم يتقلب بين هذه الوظائف ، ويتقرب بها إلى مولاه وهو راج خائف ، والمحبة لا تحل من التقرب بالنوافل إلى مولاه ، ولا يأمل إلا قربه ورضاه .



ياقوب  
yaqob.com







## المحتوى

### الصفحة

### الموضوع

- ٧ ■ مقدمة
- ١٣ ■ فضائل رمضان
- ٣٧ ■ الاستعداد لرمضان
- ٤٩ • تمرينات الاستعداد :
  - ٤٩ ١- التدريب على تجويد التوبة
  - ٥٩ ٢- التدريب على تعظيم الشعائر
  - ٦٠ ٣- التدريب على استقامة القلب
  - ٦١ ٤- تدريب القلب على الأنفة من المعاصي
  - ٦٢ ٥- الترويض على الانكسار لله عز وجل
  - ٦٤ ٦- اتصال الأرواح الخبيثة
  - ٦٨ ٧- إجراء بعض تمارين العزيمة
  - ٦٩ ٨- ترويض الحواس
  - ٧٠ ٩- الاستحضار الذهني للعبادات قبل الشروع فيها
  - ٧١ ١٠- لزوم جتاب الاحتشام ودوام الإطراق
  - ٧٣ ١١- ملاحظة الميتة
  - ٧٤ ١٢- نهضة نعط الحياة
- ٧٧ ■ كيف نستقبل رمضان؟
- ٧٩ • الوصايا العشر قبل دخول الشهر :
  - ٧٩ ١- هدنة مع المناقشات والجدال



- ٢- هذنة في العمل مع الزملاء والمستولين ..... ٨٠
- ٣- هذنة مع نفسك للتخلص من سحوم القلب ..... ٨١
- ٤- هذنة مع الأرحام والوالدين ..... ٨٥
- ٥- هذنة مع النفس لترك الذنوب والمعاصي ..... ٨٦
- ٦- هذنة مع طول الغياب خارج المنزل وكثرة الارتباطات ..... ٨٨
- ٧- هذنة مع كثرة النفقات والتبذير ..... ٨٨
- ٨- هذنة مع العقول والقلب من التفكير والتدبير للدنيا ..... ٩٠
- ٩- هذنة مع استهلاك الأعضاء ..... ٩١
- ١٠- هذنة مع الهموم ..... ٩٢
- **كيف تعيش رمضان** ..... ٩٥
- أولاً : تحديد الأهداف ..... ٩٧
- ثانياً : الطريق لتحقيق الأهداف ..... ١٠٣
- **روحانيات صائم** ..... ١٠٥
- يوم في حياة صائم ..... ١٠٧
- البرنامج ..... ١٣٠
- نصائح ..... ١٣٢
- وصيتي لك ..... ١٣٤
- **مشاهد العبودية في رمضان** ..... ١٣٧
- المشهد الأول : مشهد التوحيد ..... ١٣٩
- المشهد الثاني : مشهد الصبر والشكر ..... ١٤١
- المشهد الثالث : مشهد القبض والبسط ..... ١٤٢
- المشهد الرابع : حسن الخلق ..... ١٤٣



- المشهد الخامس : الزهد في الدنيا ..... ١٤٥
- المشهد السادس : مشهد الإيثار ..... ١٤٩
- المشهد السابع : استشعار المعاني الإيجابية للصوم ..... ١٥٤
- المشهد الثامن : مشهد الجود والإحسان ..... ١٥٨
- **رمضان والقرآن** ..... ١٥٩
- فضائل القرآن ..... ١٦٣
- تحصيل لذة التلاوة وقراءة القرآن : ..... ١٧١
- الآداب الظاهرة ..... ١٧١
- الآداب الباطنة ..... ١٧٣
- استدراك مهم ..... ١٨٨
- واقع الأمة مع القرآن ..... ١٨٨
- كيف رى النبي ﷺ الصحابة على القرآن ؟ ..... ١٩٢
- أهدافنا المحددة في قضية القرآن ..... ١٩٤
- المطلوب منك ..... ١٩٥
- **قيام رمضان** ..... ١٩٧
- فوائد صلاة التراويح ..... ١٩٩
- إحياء عمر لسنة الجماعة في التراويح ..... ٢٠٥
- فضل أداء التراويح جماعة ..... ٢٠٦
- تطور التراويح في العصر النبوي ..... ٢٠٧
- عدد ركعات قيام رمضان ..... ٢٠٧
- حضور النساء الجماعة في التراويح ..... ٢٠٨
- إذا ما الليل أظلم كابدوه ..... ٢١٠



- وصف المتجهدين وليلهم ..... ٢١١
- بكائهم وبحر الدموع ..... ٢١٦
- إذا قمت أبْقِظْ أهلك ..... ٢١٧
- لِمَ كُلُّ هذا الاعتصام بالليل؟ ..... ٢١٨
- ما يعين على التهجّد: ..... ٢١٨
- الأسباب الظاهرة ..... ٢١٨
- الأسباب الباطنة ..... ٢٢١
- المبشرات الباطنة لقيام الليل ..... ٢٢٥
- آداب القيام ..... ٢٢٥
- واذنبوا! ..... ٢٢٨
- **الاعتكاف** ..... ٢٢٩
- خلوة النبي ﷺ في غار حراء ..... ٢٣٢
- هدي النبي ﷺ في الاعتكاف ..... ٢٣٧
- مقاصد الاعتكاف ..... ٢٣٨
- حكم الاعتكاف ..... ٢٣٩
- شروط الاعتكاف ..... ٢٣٩
- أركان الاعتكاف ..... ٢٤٠
- زمانه وبداية وقته ..... ٢٤٠
- محظورات الاعتكاف ..... ٢٤٠
- أهداف الاعتكاف ..... ٢٤١
- المعنى الحقيقي للاعتكاف ..... ٢٥٨



- كيف نُحَصِّل حلاوة الاعتكاف؟ ..... ٢٥٨
- برنامج الاعتكاف ..... ٢٦٠
- نصائح الاعتكاف ..... ٢٦٦
- فتح ثغرات أخرى للذوي الهضم العالية ..... ٢٦٨
- في نهاية الاعتكاف ..... ٢٦٩
- **عمرة رمضان** ..... ٢٧١
- عظمة رمضان ..... ٢٧٣
- لماذا نعتمر؟ ..... ٢٧٤
- كيف نعتمر؟ ..... ٢٨٥
- مشاهد العبودية في العمرة ..... ٢٩٧
- مسالة المكث في مكة أفضل من المدينة ..... ٣٠٨
- **نسائم الأسحار** ..... ٣١١
- تعظيم حال الدعاء ..... ٣١٤
- آداب الدعاء ..... ٣١٦
- من أدعية السلف ومتاجاتهم ..... ٣٢٢
- **رباع رمضان** ..... ٣٣٥
- حال النبي ﷺ والسلف عند دخول العشر ..... ٣٣٧
- وظائف آخر الشهر : ..... ٣٣٩
- ١- وقفة صادقة ..... ٣٣٩
- ٢- ملازمة الاستغفار ..... ٣٤١
- ٣- سؤال العفو والتركيز فيه ..... ٣٤٣
- ٤- بذل أقصى حد في الاجتهاد ..... ٣٤٥



- ٣٤٦ • إياك والعجب والغرور
- ٣٤٨ • أيام العشر أيام الحياة
- ٣٤٩ • ليلة القدر !
- ٣٤٩ • فضلها
- ٣٤٩ • ما يُستحب فيها
- ٣٥٠ • تحريها
- ٣٥٢ • لماذا سُميت ليلة القدر ؟
- ٣٥٢ • علاماتها
- ٣٥٤ • احترس .. دخلت عليه العشر الأواخر
- ٣٥٥ • قُرِبَ الرحيل .. قَابِلُ المخلص المتعب
- ٣٥٦ • حنائيك يا شهر الصيام
- ٣٥٦ • السلام عليك يا شهر رمضان
- ٣٥٧ • فيا شهرنا غير مُودَّع ودعناك
- ٣٦١ • وماذا بعد رمضان ؟
- ٣٦١ • جاء رمضان .. ومضى رمضان
- ٣٦٣ • لا زالت الأعمال بعد رمضان لم تنقطع
- ٣٦٨ • من المقبول ومن المحروم ؟
- ٣٦٨ • مقتضيات القبول
- ٣٧٢ • تهاينا .. تهاينا
- ٣٧٥ • مقتضيات الحرمان
- ٣٧٨ • تعازينا .. تعازينا
- ٣٨١ • كيف أعرف أنني من المقبولين ؟



- فوائد صيام الست من شوال ..... ٣٨٣
- مسألة قضاء ومضان أولاً أم صيام الست ..... ٣٨٦
- ومن علامات القبول ..... ٣٨٧
- حراسة الطاعات ..... ٣٨٧
- وأخيراً: الراحة لا تنال بالراحة ..... ٣٨٩
- الفهرس ..... ٣٩٢





حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ = ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع / ١١٦٩٧٨

الترقيم الدولي XX - ٨٤ - ٦٠٩٢ - ٩٤٤

دار

مكتبة

التقوى للنشر والتوزيع

سوق الأخرى

شبرا الخيمة

هاتف

هاتف : ٤٧١٥٥٠٦

٣٢٨٧١٨٩ - ٠٢

٢٢٣١١٠٣ - ٤٧٣١٨٢٤

٠١٠١٦٥٧١٧٣